هذا تفسير قاضي البيضاوي من اوله الى آخر سورة يوسف الجزء الاول

٨٢

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قضى حاجة اخيه المسلم قضى الله له سبعين حاجة صدق رسول الله

كتاب انوار التنزيل واسرار التأويل تفسير قرآن العظيم لخاتمة المحققين والمدققين
مولانا قاضي القضاة ناصر الدين ابي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي
والبيضا قرية من عمل شيراز كان عالما بعلوم كثيرة صالحا خيرا وله التصانيف المشهورة
في انواع العلوم منها هذا الكتاب وهو في الحقيقة تهذيب الكشاف وتنقيحه واختصار
ما فيه من دنايس الاعتزال وتولى قضاء القضاة باقليمه مات سنة خمس وثمانين
وستمائة بتبريز وقيل سنة احدى وتسعين وستمائة ومن تصانيفه المنهاج في الاصول
وشرحه ايضا وشرح مختصر ابن الحاجب في الاصول وشرح المنتخب في الاصول
للامام فخر الدين وشرح المطالع في المنطق والايضاح في اصول الدين
وغاية القصوى في الفقه والطوالع في الكلام
وشرح الكافية لابن الحاجب وغير ذلك
كذا في بغية الوعاة في طبقات اللغويين
والنحاة

## سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد
بالكتاب اى تلك الايات آيات السورة الظاهر امرها فى الاعجاز او الواضحة
معانيها او المبينة لمن يدبرها انها من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روى
ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام
الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت انا انزلناه اى الكتاب
قرآنا عربيا سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض
وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا
او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه
او حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة
اى انزلناه مجموعا او مفرقا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا
فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور
الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص
على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والايات
والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره
اذا اتبعه بما اوحينا اى بايحائنا اليك هذا القرآن يعنى السورة و

ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت
من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط
وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة
اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال
او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا لصرف وقرئ
يوسف بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول
او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحاق
بن ابراهيم وعنه عليه الصلوة والسلام الكريم ابن الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء
تاء التانيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف تناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القرآن
لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز يا ابتا
ولم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها
مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها
لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب انى رايت
من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تاويل رؤياى
احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر رضى الله عنه ان يهوديا

جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن اسماء النجوم
التي رآهن يوسف عليه السلام فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك
فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم فقال جريان والطارق والذيال وقابس
وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
رآها يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال
اليهودي اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استيناف لبيان
حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم
قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتي عشرة
سنة وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام
من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم
وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما
بحرفي التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة
الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما
من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني
الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك
فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت

التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه
وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به
ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين
ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألو جهدا في تسويلهم
واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك
مثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك
للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته
لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك
من تأويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة
واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تأويل غوامض كتب الله
وسنن الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث
كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان تصل
نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله
استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك
بالرسالة وقيل على ابراهيم عليه السلام بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحاق
بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت
ابراهيم واسحاق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء

حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اى في قصتهم
آيات دلائل قدرة الله تعالى وحكمته او علامات نبوتك للسائلين
لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل
وشمعون ولاوى وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها
يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف
عليه السلام وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما واربعة اخرون دان ونفتالى
وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا
وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف
اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة
اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة
فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين
لتفضيله المفضول او لترك العدل في المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه
من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث
لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال
لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الاخرون او اطرحوه ارضا

ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت
كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه
ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد
وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد يوسف
او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم
او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين
في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني
يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف
فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته
عن اعين الناظرين وقرا نافع في غيابات الجب كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة
وغيابات بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون
في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم عازمين على ان تفعلوا
ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف
لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير
ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم
وقرئ باظهار النونين والمشهورة تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام
ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله

مَعَنَا غَدًا الى الصحراء يَرْتَعْ يتسع فى اكل الفواكه ونحوها من الرتعة

وهى الخِصب وَيَلْعَبْ بالاستباق والانتضال وقرا ابن كثير يرتع بكسر

العين على انه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرا الكوفيون

ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف عليه السلام وقرئ

نُرتِع من ارتع ماشيته ونرتع بكسر العين ونلعب بالرفع على الابتداء وَإِنَّا لَهُ

لَحَافِظُونَ ان يناله مكروه قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ لشدة مفار(قته)

على وقلة صبرى عنه وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ لان الارض كانت مذئبة

وقيل راى فى المنام ان الذئب قد شد على يوسف عليه السلام وكان

يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع فى رواية قالون وفى رواية

اليزيدى ابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا والباقون بترك

الهمزة واشتقاقه من تذأبت الريح اذا هبت من كل جهة وَأَنْتُمْ عَنْهُ

(صاحب الكشف وعدوه فان الذئب يفعل تذأب من الاب قال الاصمعى ان اشتقاق)

غَافِلُونَ لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قَالُوا

لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ اللام موطئة للقسم وجوابه

إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم

(مجاز بمعنى الضعف الهلاك استعمل من الخسار بمعنى خاسرون فيكون اشتقاق)

بالخسار والواو فى ونحن للحال فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ

فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس

او بئر بارض اردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب

(هامش: كان قيل اللام تخلص المضارع للحال عند جمهور النحاة والذهاب هنا مستقبل فيلزم تقدم الفعل على فاعله مع انه اثره قلنا ان التقدير قصد ان تذهبوا به والقصد حال ولا يبعد ان يقال الذهاب يحزننى باعتبار تقرره كما قيل نظيره فى العلة الغائية وقد يجاب ايضا بان اللام فيه لمجرد التاكيد مسلوبة الدلالة على تخليص المضارع للحال كما خرجت اللام للعوضية فى الاسم الشريف وسلبت معنى التعريف)

(هامش: ولعله سهو قلم وصوابه فى القاموس بضمتين وشد اللام وشد النون)

يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى

انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه

فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتمونى ان لا تقتلوه فاتوا به

الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه

بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى اتوارى به

فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها

القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى

فجاء جبريل عليه السلام بالوحى كما قال وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ وكان ابن سبع عشرة سنة

وقيل كان مراهقا اوحى الله تعالى اليه فى صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهما

السلام وفى القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار جرد عن ثيابه

فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم

عليه السلام الى اسحاق عليه السلام واسحاق عليه السلام الى يعقوب عليه السلام

وجعله فى تميمة علقها بيوسف عليه السلام فاخرجه جبريل عليه السلام والبسه

يوسف عليه السلام لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا لتحدثنهم بما فعلوا بك وَهُمْ لَا

يَشْعُرُونَ انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير

للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين

فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امرهم ايناسا له وتطييبا لقلبه

وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اى آنسناه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك

وجاؤا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم

والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء يبكون متباكين روى انه لما سمع بكاءهم

فزع وقال ما لكم يا بنى واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق

نتسابق فى العدو او الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال

والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق

لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك بيوسف وجاؤا على قميصه

بدم كذب اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر

للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكدب بالدال الغير المعجمة

اى كدر او طرى وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به

الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه

او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور وروى انه لما سمع بخبر يوسف

صاح وسأل القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه

بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه

قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا سهلت لكم وهونت لكم فى اعينكم

امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اى فامرى صبر جميل

او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه اى الى الخلق

اى الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك

يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة

يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث

من القائه فيه فارسلوا واردهم الذى يرد الماء ويستقى لهم

وكان مالك بن دعر الخزاعى فادلى دلوه فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى بها

يوسف عليه السلام فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى

بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له

ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة وقرئ يا بشرى

بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف واسروه

اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا

اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان

يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة

وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه وسكت يوسف عليه السلام مخافة

ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه

من البضع فانه بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه

اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفى

مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه

او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون

ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين

وكانوا فيه في يوسف عليه السلام. من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في كانوا

ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه

والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين

فانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل

بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم

على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر

وكان اسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي

وقد امن بيوسف عليه السلام ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عليه السلام

عاش اربع ماية سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات

والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال

الاباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة

سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن ماية وعشرين سنة

واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل

وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامراته راعيل او زليخا

اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا



ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا

نتبناه وكان عقيما لما هم به لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة

عزيز مصر وابنة شعيب عليه السلام التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر رضي الله عنه

حين استخلف عمر رضي الله عنه وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته

في قلب العزيز او كما مكنه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها

ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل

ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس

ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبئة عن الحوادث

الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه

والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف عليه السلام

اراد به اخوة يوسف سيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر

الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه

ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف

ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدا بلوغ الحلم

اتيناه حكما وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني

علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك

جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو

في بيتها عن نفسه طلبت منه ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب
لطلب الشيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير
او المبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة
على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك
وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط
وهي لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه يهمزه وقرئ هئت كجئت وهيت كجيت
من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا
انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في
اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن
منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء
وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم
بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه
ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة
الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح
والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم
كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنا وسوء
مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها

بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب
محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب
عليه السلام عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب
في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر
مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا
المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
ويعقوب بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب
اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف عليه السلام
فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته
من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها
وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب
اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف
واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن
قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له
من السجن او العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها
قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم
تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى

عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها إن كان
قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه
من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه
وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها
اتبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان
فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان
وكان على تاويل ان يعلم انه كان قد قميصه الخ ونحوه ونظيره قولك ان احسنت
الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك
بالاحسان السابق وقرئ من قبل ومن دبر لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد
وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى
قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان
السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها
او لسائر النساء إن كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب
واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس
به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث
اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل
انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير

والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار
غير حقيقي ولهذا جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال
اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي
والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه
تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى
فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذ قد شغفها حبا شق شغاف قلبها
وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه
وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال
مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن
وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف
او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن
قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه
من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكينا حين يتكئن والسكاكين
بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع على ايديهن
فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين
امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا
يتكئون للطعام ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا

وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزاً كان القاطع يتكئ عليه
بالسكين وقرئ متكاً بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكاً
وقيل الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ من تكأ يتكأ اذا اتكأ
وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن
من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف
على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا
الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها
بالسكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيهاً له من صفات العجز وتعجباً
من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه
الاخيرة تخفيفاً وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه
واللام للبيان كما في قولك سقياً لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله
وحاشاً لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا
الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه
ما هذا بشراً لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما
عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرىً اي بعبد

اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال
الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر
ولا يفوقه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني
الذي لمتنني فيه قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني
او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعاً لمنزلة المشار اليه
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلباً للعصمة اقرت لهن
حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره
اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف
ليسجنن وليكوناً من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغراً وصغاراً
والصغير من صغر بالضم صغراً وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون
كتبت فيه بالالف نحو لنسفعاً على حكم الوقف وذلك في الحقيقة لشبهها بالتنوين
قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه
اي آثر عندي من مؤاتاتها زناً نظراً الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه
النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعاً لانهن خوفنه عن
مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي
بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف

قال الطيبي روينا عن الترمذي عن معاذ رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا وهو يقول اللهم اني اسألك الصبر قال صلى الله عليه وسلم سألت الله البلاء فاسأله العافية سعد

عني كيدهن في تحبيب ذلك إليّ وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة أصب إليهن
أمل إلى إجابتهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل إلى الهوى
ومنه الصبا لأن النفوس تستطيبها وتميل إليها وقرئ أَصَبُّ من الصبابة وهي الشوق
وأكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل
القبيح أو من الذين لا يعملون بما يعلمون فإنهم والجهال سواء فصرف عنه كيدهن
فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن فاستجاب له ربه فأجاب الله
دعاءه الذي تضمنه قوله وإلا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة
حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان
إنه هو السميع لدعاء الملتجئين العليم بأحوالهم وما يصلحهم ثم بدا
لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الشواهد
الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء
أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين
وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه
أو يحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على أن بعضهم
خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل
ودخل معه السجن فتيان أي أدخل يوسف السجن واتفق أنه أدخل حينئذ
آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان يسمانه



يسمانه قال أحدهما يعني الشرابي إني أراني في المنام وهي حكاية حال ماضية
أعصر خمرا أي عنبا وسماه خمرا باعتبار ما يؤول إليه وقال الآخر إني أراني أحمل فوق
رأسي خبزا تأكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين
من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أو من العالمين وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه
في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن
إلينا بتأويل ما رأيناه إن كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما
بتأويله بتأويل ما قصصتما علي أو بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته و
كيفيته فإنه يشبه تفسير المشكل كأنه أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما
إلى الطريق القويم قبل أن يسعف إلى ما سألاه منه كما هو طريقة الأنبياء والنازلين
منازلهم من العلماء في الهداية والإرشاد فقدم ما يكون معجزة له من الإخبار
بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل أن يأتيكما ذلكما أي ذلك التأويل
مما علمني ربي بالإلهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم إني تركت
ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله
أي علمني ذلك لأني تركت ملة أولئك واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق
ويعقوب أو كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة وإظهار أنه من بيت النبوة
لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل أن
يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم

وتأكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء أن نشرك بالله
من شيء اى شيء كان ذلك اى التوحيد من فضل الله علينا بالوحى
وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس
المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون
او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم
لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها
يا صاحبى السجن اى ساكنيه او يا صاحبى فيه فاضافهما اليه على الاتساع
كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءأرباب متفرقون شتى متعددة متساوية
الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذى
لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما
من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
اى الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها
فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على
استحقاقه الالوهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما
تطلقون عليها ان الحكم فى امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث
انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره أمر على لسان انبيائه ألا تعبدوا
الا اياه الذى دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج

المعوج عن القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا
رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها
آلهة ويعبدونها لا يستحق الالوهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما
بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين
المستقيم الذى لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضيه العلم دونه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيخبطون فى جهالاتهم يا صاحبى السجن اما احدكما يعنى الشرابى
فيسقى ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر
يريد به الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه فقالا كذبنا فقال
قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه
وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين
لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذى ظن انه ناج منهما
الظان يوسف عليه السلام ان ذكر ذلك عن اجتهاد فان ذكره عن وحى
فهو الناجى الا ان يؤول الظن باليقين اذكرنى عند ربك اذكر حالى عند الملك
كى يخلصنى فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابى ان يذكره لربه
فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف عليه
السلام ذكر الله تعالى حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس

والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها
لا يليق بمنصب الانبياء عليهم السلام فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين
الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
يأكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس
وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد
انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال
البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع
الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه
عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ
افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم
عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصورة الخيالية الى المعاني
النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وقيل من عبرت الرؤيا
عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل
لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون
معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا
قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله

واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما
جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه
اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام
المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات
الصادقة كأنه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله وقال الذي نجا منهما
من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة
من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ بعد امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما
انعم الله عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسي و
الجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتأويله فارسلون اي الى من عنده
علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف عليه السلام
فجاءه فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب
احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان
يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك
لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن
فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما
لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا بعلمهم قال تزرعون
سبع سنين دأبا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر

باضمار فعله اى تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا
بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه
فى صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه فى سنبله لئلا يأكله
السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تأكلون
فى تلك السنين ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم
لهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر
والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتى
من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون
من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون
وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على تغليب المستفتى
وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنى للفاعل
منه اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم
فعدى بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها
بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف
اليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع فى السنين
المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى او بان انتهاء الجدب بالخصب
او بان السنة الالهية ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتونى

به بعدما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه
قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن
انما تأنى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براءة ساحته
ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل
على انه ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواضعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم
لو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت بالاجابة وانما قال فاسأله
ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا على البحث وتحقيق الحال
وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة
بضم النون ان ربى بكيدهن عليم حين قلن لى اطع مولاتك وفيه تعظيم
كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برئ مما قذف به والوعيد لهن
على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب
به صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب
من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء اى من ذنب قالت
امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه
ليناخ قال فحصحص فى صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما
او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى ذلك ليعلم

قاله يوسف عليه السلام لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبت
ليعلم العزيز أني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول
اى لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عني او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار
والابواب المغلقة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده
او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض
براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما أبرئ
نفسي اى لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله
بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه لما قال ليعلم أني لم اخنه بالغيب قال له جبريل عليه ولا حين هممت
فقال ذلك إن النفس لأمارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة
الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات
إلا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس
فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربي هي التي تصرف
الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف عليه السلام
واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام
إن ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر
المستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه

مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي
فلما كلمه اى فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء
قال إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء
روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي
وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه
فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل
واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي
قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها
عذراء وولد منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الأرض
ولني على امرها والارض ارض مصر إني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم
بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما راى انه يستعمله في امره
لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية
واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق
وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده
وكذلك مكنا ليوسف في الأرض في ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء

ينزل من بلادها حيث يهوى وقرا ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا
من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم
عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك
والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روى انه لما
استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات
حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه
الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها
ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم
وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام
بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
اي عرفهم يوسف عليه السلام ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه
في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه عليها
من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام
ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤا
لاجله واصل الجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل
من بلدة الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال

ائتوني باخ لكم من ابيكم روى انه لما دخلوا عليه قال من انتم وما
امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق من
الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية
فهلك قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى
به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا قال فدعوا
بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطي لكل نفر حملا
فسالوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه
به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين
للضيف والمضيفين بهم وكان عليه السلام احسن انزالهم وضيافتهم
فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي لا تقربوني ولا تدخلوا
دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه
سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه
وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص
لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم
جمع رحل فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها
الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم

وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه
ما يرجعون به لعلهم يعرفونها يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها
اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا
ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه
من الطعام وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه
فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال
هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف
وانا له لحافظون فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه
وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع على
مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي
وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ و
خير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا
يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا
وباع منا ورد علينا متاعنا ولا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي



او لا نبغي في القول ولا نتزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب
اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه
بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقولهم ما نبغي ونمير اهلنا
معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع
الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير
وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت
نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما
نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا
استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا
اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك
شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب
عليه السلام ومعناه ان حمل بعير شيء لا يخاطر لمثله الولد قال
لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله
حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتاتنني به
جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم اي الا
ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم
الاحوال والتقدير لتاتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل

على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة

بكم كقولهم اقسمت بالله الا ما فعلت اي ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم

عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل مطلع

رقيب وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب

متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة

والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا

ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ

او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي

يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في دعوته اللهم اني اعوذ بكلمات

الله التامة من شر كل دابة وهامة ومن شر كل عين لامة وما

اغني عنكم من الله من شيء مما قضى الله عليكم بما اشرت به اليكم

فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم

سوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون

جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن

الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم

ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان

يغني عنهم راي يعقوب عليه السلام واتباعهم له من الله من شيء

من شيء مما قضاه الله عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ

بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام

الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه

يعني شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها

وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم

من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر

وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه

بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى

فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه

على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي

فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال ومن يجد

اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك

فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا

فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل

كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال

فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما

تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير

انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف عليه السلام او كان تعبية السقاية
والنداء عليها برضاء بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه
او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال
لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام
يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف وسُقُف فعل به
ما فعل ببيض تخفيفا ثم خص بقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا
عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس
بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا
قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالضم والفتح والعين
والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام
جعالة وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل
على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه
معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم
لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط
امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول
زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق

او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة
قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من
وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه السلام وقوله
فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط
او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر
مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي
الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف عليه السلام
لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها
اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ
بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف
بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك
ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق
وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم ملك
فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشية
الله تعالى واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق
كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته
اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق

لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم
البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو
مخصوص قالوا ان سرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل
يعنون يوسف عليه السلام قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم
عليه السلام وكانت تحضن يوسف عليه السلام وتحبه فلما شب اراد
يعقوب عليه السلام انتزاعه عنها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت
ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم
وقيل كانت لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان
في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم
يبدها لهم اكنها او لم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة
اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله قال انتم شر مكانا
فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة
لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة
او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم
بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز
ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه
فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به

مستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين
الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا
عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا
لظالمون في مذهبكم هذا او انه مراده ان الله اذن ان اخذ من وجدنا
الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت خاطئا
فلما استيئسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين
والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده
لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية
قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهودا
الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل
حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل
ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز
ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل
بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل
او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة
لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى
ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر

حتى يأذن لي أبي في الرجوع أو يحكم الله لي أو يقضي لي بالخروج منها
أو بخلاص أخي منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه روي أنهم كلموا العزيز
في اطلاقه فقال روبيل أيها الملك لتتركنا أو لأصيحن صيحة تضع منها
الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام
لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب عليه السلام اذا غضب أحدهم
فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا
من بزر يعقوب عليه السلام وهو خير الحاكمين لأن حكمه لا يكون الا بالحق
ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق على ما شهدنا
من ظاهر الأمر وقرئ سُرِّق أي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه
الا بما علمنا بأن رأينا أن الصاع استخرج من وعائه وما كنا للغيب
لباطن الحال حافظين فلا ندري أنه سرق أو سُرِّق ودس الصاع
في رحله أو ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين أعطيناك المواثيق أنه
سيسرق أو أنك تصاب به كما أصبت بيوسف واسأل القرية التي
كنا فيها يعني مصر أو قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى أرسل
الى أهلها واسألهم عن القصة والعير التي أقبلنا فيها وأصحاب العير التي
توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال
بل سولت أي فلما رجعوا الى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم قال بل

قال بل سولت أي زينت وسهلت لكم أنفسكم أمرا أردتموه فقدرتموه والا
فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل أي فأمري صبر جميل
أو فصبر جميل أجمل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين
وأخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم
في تدبيره وتولى عنهم وأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا أسفا
على يوسف أي يا أسفي تعال فهذا أوانك والأسف أشد الحزن والحسرة
والألف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون أخويه والحادث
رزؤهما لأن رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه
ولأنه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط أمة من الأمم
انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد عليه الصلاة والسلام
ألا ترى الى يعقوب عليه السلام حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفا
وابيضت عيناه لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادها
وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف
والبكاء عند التفجع ولعل أمثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك
نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب
وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على أولاده

ممسك له فى قلبه و لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم
السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا
اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه قالوا تالله تفتؤ
تذكر يوسف اى لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله
فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه
علامة الاثبات كان على النفى حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل
الحرض الذى اذابه هم او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع
والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين
من الميتين قال انما اشكوا بثى وحزنى همى الذى لا اقدر الصبر عليه من البث
بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكايتى واعلم
من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه
ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف
قيل راى ملك الموت فى المنام فساله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف
انه لا يموت حتى تخر له اخوته يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه
فتعرفوا منهما وتفحصوا من حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تياسوا من روح الله
من تفرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التى يحيى بها العباد
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا

لا يقنط من رحمته فى شئ من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها
العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر
شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة
عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا
وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق
المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا
او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف فى ان
حرمة التصدق تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه وعليهم الصلاة و
السلام ان الله يجزى المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا
ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى القصر هذه صدقة تصدق الله بها
عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه
وفعلهم باخيه افراده عن يوسف عليه السلام واذلاله حتى كان لا يستطيع
ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه
او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم
لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب
عليه السلام فى تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف

واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم ذا فعل الجهال او لانهم كانوا
حينئذ صبيانا طياشين قالوا أئنك لأنت يوسف استفهام تقرير ولذلك
حقق بان ودخول اللام عليه وقرا ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه
وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج
عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة و
يعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابوي ذكره تعريفا لنفسه به
وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة
والكرامة انه من يتق اي من يتق الله ويصبر على البليات او على
الطاعات او عن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين
موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا
تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة
وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك
قال لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي
يغشى الكرش للازالة كالتجليد واستعير للتقريع الذي يمزق العرض
ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا
للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام
او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها

بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل
على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا اليه
وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك
لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى
ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم
وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم
عليه الصلاة والسلام اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه
وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا
اي يرجع بصيرا اي ذا بصر وأتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم
وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها
قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى
ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا
لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم
ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف
تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف
واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال

كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فأفرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه
طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا
لما انتعش فيه من القوة قال ألم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا
من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة
قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة
الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف
او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه
استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة
خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك
وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر
عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل
واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان
اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين
خرجوا مع موسى عليه السلام ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا
سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما



واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيلا للعم منزلة الاب في قوله واله آبائك
ابراهيم واسماعيل واسحاق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة
تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف
المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان
في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
تحية وتكرمة فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله
سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن
الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي
من قبل رأيتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي
اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم
من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض
الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير
له اذ ما من صعب الا وينفذ فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم
بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته على وجه
يقتضي الحكمة روي ان يوسف عليه السلام طاف بابيه في خزائنه فلما ادخله
خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي

على ثمان مراحل قال امرني جبريل عليه السلام قال اوما تسأله قال انت ابسط مني اليه
فسأله قال جبريل عليه السلام الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب
قال فهلا اخفتني رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ بعض الملك وهو ملك مصر
وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه
لم يؤت كل التاويل فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مبدعهما وانتصابه على انه
صفة المنادى او منادى بنفسه أَنتَ وَلِيِّي ناصري او متولي امري فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ الذي يتولاني بالنعم فيهما تَوَفَّنِي مُسْلِمًا اقبضني وَأَلْحِقْنِي
بِالصَّالِحِينَ من ابائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روى
ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى
ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمه وعاد وعاش بعده
ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله
طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه
في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر
ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره
مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد
يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب عليه السلام ذَٰلِكَ اشارة الى ما ذكر
من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ

مبتدأ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ خبران له وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبا غيب لم تعرفه
الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه
في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي
لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف
هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ على ايمانهم وبالغت في اظهار
الايات عليهم بِمُؤْمِنِينَ لعنادهم وتصميمهم على الكفر وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ
على الانباء او القران مِنْ أَجْرٍ من جعل كما تفعله حملة الاخبار إِنْ هُوَ
إِلَّا ذِكْرٌ عظة من الله لِّلْعَالَمِينَ عامة وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ وكم من آية
والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته
وكمال قدرته وتوحيده فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا على الايات
ويشاهدونها وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها
وبالنصب على ويطئون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون
فيها ويرون آثار الامم الهالكة وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ في اقرارهم بوجوده
وخالقيته إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا

ونسبة الشيء اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك
وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان
تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة
بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها
قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل
بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عميا انا تاكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره
على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين
وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم
لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوحى اليهم
كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرا حفص نوحي في كل القران ووافقه
حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم
من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا
المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحياة
الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون فيستعملوا
عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله



على قوله قل هذه سبيلي اي افلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل غاية محذوف
دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى
ايس الرسل من النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر
مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم
انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان
وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة
والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل
قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روى
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله
من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة
هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين
بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ
كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به
عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء
من النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون
ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب
على لفظ الماضي المبني للمفعول ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم

وفيه بيان المستثنين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم
او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة
عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القران
حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل
كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط
او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين

قال ذكر البعض عبارة التفصيل لا تحمل هذا التاويل وانت قد نبهت ان التفصيل هنا بمعنى التبيين على ما ذكر في كتب اللغة لا ما يقابل الاجمال

لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة
يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله سكرات الموت
واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا
قوله ويقول الذين كفروا الاية ايها خمس واربعون بسم الله الرحمن الرحيم
المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة
وتلك اشارة الى اياتها اي تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران والذي
انزل اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام
على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق
والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه
حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق بحسن اتباعه
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات
مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد
اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل
ترونها صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برويتهم السموات كذلك
وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية
لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص
ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج
سائر ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر
الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع
في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره
او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت
يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك
يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد
لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان
من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي
مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب الحيوان

قال ابن عطية قوله تعالى مد الارض يقتضي انها بسيطة لا كرة وهذا هو ظاهر الشريعة وقال الامام الرازي

وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء

واعلم انه اختلف كلمتهم في توجيه اطلاق الرواسي على الجبال مع ان مفردها لا يطلق عليها الراسية

للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا

واحدا من حيث انها الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله
جعل فيها زوجين اثنين اى وجعل فيها من جميع انواع الثمار صنفين اثنين
كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشى الليل النهار
يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائى
وابو بكر يغشى بالتشديد ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها
فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم
دبر امرها وهيأ اسبابها وفى الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها
سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر
وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه
لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها
بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب
والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار
والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها
واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة
بنى تميم كقنوان فى جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل
فى الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها

فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار
وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائى
يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب
قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت
الاعادة ايسر شىء عليه والآيات المعدودة كما هى دالة على وجود المبدأ
فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول
المواد لانواع تصرفاته أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد بدل من قولهم
او مفعول له والعامل فى اذا محذوف دل عليه أئنا لفى خلق جديد اولئك
الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال
فى اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسط الفصل
لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة
قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا
استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها
كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص

والمثلة الرجل من صاحبه اذا اقتصه منه وقرئ المثلات بالتخفيف
والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات
بفتح الميم على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل
فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على
ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة
بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن يشاء
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا
العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه
واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر
مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك
من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات
من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب
او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما
ينزل من الآيات ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه
وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل

لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه تعالى قادر على هدايتهم
وانما لم يهدهم لسبق قضائه تعالى عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل
انثى اي حملها او ما تحمله انه على اي حال من الاحوال الحاضرة والمترقبة
وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقص وما تزداده في الجثة والمدة
والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان
عند ابي حنيفة رحمهم الله تعالى روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان
لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب
ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأة ولدت
بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وزيادته وغاض
جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان
جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام
على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار لا يجاوزه ولا ينقص عنه
كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين
وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس
والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شيء
المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه
سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو

مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ طالب للخفاء في مختبأ بالليل وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ
يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف
على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال
سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة
بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله لَهُ اي لمن اسر او جهر او استخفى او سرب
مُعَقِّبَاتٌ ملائكة يعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة
عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون
اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغم التاء في القاف والتاء للمبالغة
او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة
على تعويض التاء من احدى القافين مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
من جوانبه او من الاعمال ما قدمه واخر يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
من بأسه متى اذنب بالاستمهال والاستغفار له او يحفظونه من المضار
او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء
وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا
بِقَوْمٍ من العافية والنعمة حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ من الاحوال
الجميلة بالاحوال القبيحة وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ فلا رد

له فالعامل في اذا ما دل عليه الجواب وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ
ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال
هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا من اذاه وَطَمَعًا في الغيث وانتصابهما على العلة
بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال
من البرق او المخاطبين على اضمار ذو او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل
للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وَيُنْشِئُ السَّحَابَ
الغيم المنسحب في الهواء الثِّقَالَ وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب
لانه اسم جنس في معنى الجمع وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ ويسبح سامعوه بِحَمْدِهِ
ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على
وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته
وعن ابن عباس رضي الله عنهما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال
ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ
من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَنْ يَشَاءُ فيهلكه وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ حيث يكذبون رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية
واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو
الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل

واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله

فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول

عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة

فقتله ورمى عامرا بغدة فمات وكان في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة

البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة المكايدة

لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف باستعمال

الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل

من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل

من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة

كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه

الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة

فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل

واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق

وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية

في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة

رسول الله صلى الله عليه وسلم او دلالة على انه الحق وان كانت فالمراد

وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديد

وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم

والذين يدعون اى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او

والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه

لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة

من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه

لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه

وكذلك الهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف

الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء

الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات

والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على الحقيقة فانه يسجد له الملائكة

والمومنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة

وظلالهم بالعرض وبراد بها انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا

او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا

وكرها على الحال او على المفعول بالغدو والاصال ظرف ليسجد والمراد بهما

الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص يظهر

فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر

والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل

قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولى امرهما قل الله
اجب عنهم بذلك اذ لاجواب لهم سواه ولانه البين الذى لايمكن
المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم
بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لايملكون
لانفسهم نفعا ولاضرا لايقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا
عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل
ثان على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا
لهم قل هل يستوى الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة
والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود
المطلع على احوالكم ام تستوى الظلمات والنور الشرك والتوحيد
وقرا حمزة والكسائى وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا
والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة فى حكم
الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم
ما اتخذوا لله شركا خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا
هؤلاء خلقوا كما خلق الله واستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم
اتخذوا شركاء عاجزين لايقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما
يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شىء لا خالق غيره فيشاركه فى العبادة

فى العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن
سواه ليدل على قوله وهو الواحد اى المتوحد بالالوهية القهار
الغالب على كل شىء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء
او من السماء نفسها فان المبادى منه فسالت اودية انهار جمع واد
وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى
فيه وتنكيرها لان المطر ياتى على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها
الذى علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها فى الصغر والكبر فاحتمل السيل
زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون
عليه فى النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه
التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية اى طلب حلية او متاع
كالاوانى والات الحرب والحرث والمقصود من بيان ذلك بيان منافعها
زبد مثله اى ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه
ومن للابتداء او التبعيض وقرا حمزة والكسائى وحفص بالياء على ان الضمير
للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل
فانه تعالى مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به
الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث فى الارض
بان يثبت بعضه فى منابعه ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى

والابار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة و
بدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبديهما
وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفاه اي يرمي به السيل
او الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما
ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها
كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا لربهم المؤمنين
الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا
له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين
كضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة والجنة والذين
لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به
وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب
وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه ولا يغفر منه شيء ومأواهم
مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر
فيستجيب والهمزة للانكار ان يقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل
انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول المبرأة من متابعة الالف ومعارضة
الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته

بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون
الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم
بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم
وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع
حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب
خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا ويدرؤن بالحسنة السيئة
والذين صبروا على ما تكرهه النفس ومخالفة الهوى ابتغاء وجه ربهم
طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة
وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لا يعرف
بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها
بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها
اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة
والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب
فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار
او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل
هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف
على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه

والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم
وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين
بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة
زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب
الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما
صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر
فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم
بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره
والذين ينقضون عهد الله يعني مقابل الاولين من بعد ميثاقه
من بعد ما اوثقوه من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة
ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة
بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة
في جنب الآخرة الا متاع الا امتعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي
والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم

نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من
يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب
اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم
كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم
فلا سبيل الى اهتدائهم وان نزلت كل آية ويهدي اليه من اناب
بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من
او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا
عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر
دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي
هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه
الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم
وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضم ما قبلها مصدر لطاب
كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب
بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم
فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك

لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم
أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء
رحمته فلم يشكروا نعمه خصوصا ما أنعم عليهم بإرسال إليهم
وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم
وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
قل هو ربي أي الرحمن خالقي ومتولي أمري لا إله إلا هو لا مستحق
للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب
مرجعي ومرجعكم ولو أن قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه
والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم
أي ولو أن كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها أو قطعت به الأرض
تصدعت من خشية الله عند قراءته أو شققت فجعلت أنهارا
وعيونا أو كلم به الموتى فتقرأه أو فتسمع وتجيب عند قراءته
لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير
والإنذار أو لما آمنوا به كقوله تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة
الآية وقيل إن قريشا قالوا يا محمد إن سرك أن نتبعك فسير
بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين
وقطائع أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام أو ابعث لنا

لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا
فتقطيع الأرض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله
وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة
لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الأمر جميعا بل لله القدرة
على كل شيء وهو إضراب عما تضمنته لو من معنى النفي أي بل الله قادر
على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك
لعلمه بأنه لا تلين به شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله أفلم ييأس الذين
آمنوا عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه
أفلم يعلم لما روي أن عليا رضي الله عنه وابن عباس وجماعة من
الصحابة والتابعين قرأوا أفلم يتبين وهو تفسيره وإنما استعمل
اليأس بمعنى العلم لأنه مسبب عن العلم فإن الميئوس عنه لا يكون
ولذلك علقه بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فإن معناه
نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الأول
متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم علما منهم
أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الأعمال قارعة داهية
تقرعهم وتقلقهم أو تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها

ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في كفار مكة فانهم لا يزالون
مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة
والسلام كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم
وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم
فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله
الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب
في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين
والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن
ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس
رقيب عليه بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم
ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك
وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على الخبر المقدر المبتدأ اي
افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه
موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم
تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم
ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه

بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء
يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها
وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر
من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا
احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين
كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام
بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
وابن عامر بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين
ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم
عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب
ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه
او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون
صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه
اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار
على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة
جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو قول سيبويه
حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها

وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ ظل الدنيا بالشمس تلك
اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين
النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل
الكتاب كابن سلام واصحابه ومن امن من النصارى وهم ثمانون
رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة
او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب
يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما
من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق ما حرفوه منها
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم
اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين
ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس
فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام
وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره
واليه مآب مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه
بين الانبياء واما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار و

والامم فلا معنى لانكار المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال
المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا
والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم
فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك
اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك
من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك
ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات
في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول
وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية يقترح عليه وحكم
يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب
لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم
يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه
حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو
من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت
ما رآه وحل في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت اخرين وقيل
يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي

ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح
المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض
الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض
ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا
الحساب المجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم
فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم يروا انا نأتي الارض
ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها
والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي
يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو
غريمه بالاقتضاء والمعنى انه تعالى حكم للاسلام بالاقبال
وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي
النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم
عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا
وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله
المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره تعالى فانه القادر على ما
هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب

العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم
واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة
الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس
وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا
اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء
اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على
رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب
علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو
ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى وكفى
بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا
فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب
على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون
مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانية وقرئ ومن عنده علم
بالحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى
رواه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في تفاسيرهم من حديث ابي بن كعب وهو موضوع كذا قال ولي الدين بن العراقي
وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين
بعهد الله بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وآيها احدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات
من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه
وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة
لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد
بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استينافا على انه جواب
لمن يسأله عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او
المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه
ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض
على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف
والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم
لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد
وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل
نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه
لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبوت الذين يستحبون الحيوة الدنيا
على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه

من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله
بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول
من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة
عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا
عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول
بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه
او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق
ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله
للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف بملابسته وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو
منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه
بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس
اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي عليه الصلاة
والسلام بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة
كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف
الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها
والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب

المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلِسْن وهو لغة فيه كريش ورياش
ولُسُن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعُمُدٍ وعُمْدٍ وقيل الضمير
في قومه لمحمد عليه الصلاة والسلام وانه تعالى انزل الكتب كلها
بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل نبي بلغة المنزل عليهم
وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل
ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله
عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز
فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة
ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وساير معجزاته
ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال
معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر
فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه
التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه
وبلائه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه
ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض
عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر
وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر

على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا نعمته وقت
انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة
للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون
بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين
والمراد بالعذاب هاهنا غير المراد به في سورة الاعراف والبقرة لانه
مفسر بالتذبيح والقتل ثمه ومعطوف عليه التذبيح هاهنا وهو اما
جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة
وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه
بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة
الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام
موسى عليه السلام وتأذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ
لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل
ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم
نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم
على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد

وبترشح الوعيد والجملة مقول لقول محذوف او مفعول لتاذن
على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا
انتم ومن فى الارض جميعا من الثقلين فان الله لغنى عن شكركم
حميد مستحق للحمد فى ذاته محمود يحمده الملائكة وينطق
بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث
حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد
الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام
موسى عليه السلام او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم
عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم
عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه
كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم
فى افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا
عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء عليه
كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه
او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها
على ان لا جواب لهم سواه او ردوها فى افواه الانبياء يمنعونهم عن

عن التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدى بمعنى الايادى
اى ردوا ايادى الانبياء التى هى مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم
والشرائع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها
الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم
وانا لفى شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا
بالادغام فى النون مريب موقع فى الريبة او ذى ريبة وهو
قلق النفس وان لا تطمئن الى الشىء قالت رسلهم افى الله شك
ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لا فى الشك
اى انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور
دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض
وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه
ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى على اقامة
المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم
وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جئ بمن فى خطاب الكفرة
دون المؤمنين فى جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه
ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب الكفار مرتبة على الايمان
وحيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصى

ونحو ذلك فتنا ولا للخروج عن الظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الوقت
سماه الله وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل
لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر
رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا
بهذه الدعوات فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم
لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به
من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة
فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح
بعض الجائزات على بعض بمشيته تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان
الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا يستبد به استطاعتنا
حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشية الله تعالى فيخص كل نبي
بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر
على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا
به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي
اي عذر لنا ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان

ان الامور كلها بيده تعالى وقرا ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت
ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم
وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل
المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم
المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين
اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة
لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب
لكل رسول ولمن امن معهم فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى
اليهم ربهم اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار
القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض
من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن
وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك
اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين
لمن خاف مقامي اي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد
للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم

وخاف وعيد اى وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفار
واستفتحوا سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين
اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين
فان كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا
على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار
عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح
من الكفرة او من الفريقين كان اوقع من ورائه جهنم اى
بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الاخرة
وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء
عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى
صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه
يتكلف جرعه وهو صفة الماء او حال من الضمير فى يسقى ولا يكاد يسيغه
ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز
الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اى اسبابه
من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى
من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه اى

اى من بين يديه عذاب غليظ اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد
مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل
الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح
الذى هو المطر فى سنتهم التى ارسل الله عليهم بدعوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخيب رجاؤهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم
فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم
مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة
او قوله اعمالهم كرماد وهو على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم
وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته
واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح فى يوم عاصف العصف
اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله
قائم شبه صنايعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف
وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها لبنائها على غير اساس
من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح
العاصفة لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم
على شىء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل
ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد

فانه الغاية في البعد عن طريق الحق ألم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به أمته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين أن الله خلق
السموات والأرض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق أن يخلق عليه
وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا
للسموات والأرض استدلالا به عليه فإن من خلق أصولهم وما يتوقف
عليه تخلقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر أن يبدلهم
بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر أو متعسر فإنه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
ومن هذا شأنه كان حقيقا بأن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا
من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا أي يبرزون من قبورهم
يوم القيامة لأمر الله ومحاسبته أو لله على ظنهم فإنهم كانوا يخفون
ارتكاب الفواحش ويظنون أنها تخفى على الله فإذا كان يوم القيامة
انكشفوا لله عند أنفسهم وإنما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه
فقال الضعفاء الأتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وإنما كتب
بالواو على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو للذين
استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم إنا كنا لكم تبعا

في

في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب
وغيب أو مصدر نعت به للمبالغة أو على إضمار مضاف فهل أنتم
مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الأولى
للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول
أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن تكونا للتبعيض أي بعض الشيء
هو بعض عذاب الله والإعراب ما سبق ويحتمل أن يكون الأولى مفعولا
والثانية مصدرا أي فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الإغناء
قالوا أي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الأتباع واعتذارا عما فعلوا
بهم لو هدانا الله للإيمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا
فأضللناكم أي اخترنا لكم ما اخترنا لأنفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة
من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا
طريق الخلاص سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مستويان علينا الجزع
والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو
العدول على جهة الفرار وهو يحتمل أن يكون مكانا كالمبيت ومصدرا
كالمغيب ويجوز أن يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده
ما روي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم
فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا

وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار خطيبا في الاشقيا من الثقلين ان الله وعدكم وعد
الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء
ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام
تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي
عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم
الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة
قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا
فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح
بالعداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ
دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك
على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان
يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا
ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي
وقرا حمزة بكسر الياء المشددة على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل
مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة
الفتحة فان لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة

او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف
في ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما
اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني
اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى
تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم
او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن
متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم
اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة وغيرها من قبل اشراككم حين رددت
امره بالسجود لادم عليه السلام واشرك منقول من شركت زيدا
للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه
او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين
وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل
على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام
اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا
كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة

كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة
بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان
يكونا اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء
اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها
في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ
الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول
على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي
ثمرها كل حين وقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام
وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية
من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار
واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد
ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء
الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك والكلمة الطيبة
ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك
وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة و

والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم
وتمكن في قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم
كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون عليهم الصلاة والسلام والذين
فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن
معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيامة وروي انه عليه
الصلوة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده
فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد
من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار
على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن
ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض
الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه
مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم
فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم
حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم

محمد عليه الصلوة والسلام فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة
موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش
بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار
دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها
حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر
ناصب لجهنم وبئس القرار المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا
عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس
عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ
الانداد ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم
او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد
بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد
به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم
الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من امر مطاع
قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها
على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه

جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة
وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث
لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام
الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن في قوله
محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه
وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه
لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب
بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان
على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية
او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء
المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به
تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لخليل
او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ومخالة وانما ينتفع فيه
بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي
العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدا وخبر وانزل من
السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل
المطعوم والملبوس مفعول لاخرج بمعنى رزق ومن الثمرات بيان له حال منه

ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر
لان اخرج بمعنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته
الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم
وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه
من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم
وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء
سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل
المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه
سئل او لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية
ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كلٍّ بالتنوين اي وآتاكم من كل
شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون نافية
في موضع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها
فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة
ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه
بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو

يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه
وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه
وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني
بعّدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب
وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون
جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى
وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته
وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل لم يعبدوا الصنم محتجا بها
وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون
البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن
كثيرا من الناس ولذلك سألت منك العصمة واستعذت بك
من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله و
غرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي
لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر
ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان
كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي اى بعض ذريتى او ذرية من ذريتى فحذف
المفعول وهم اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم
بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ يعنى وادى مكة فانها حجرية لا تنبت عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ
الذى حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة
او منع منه الطوفان فلم يستول عليه وروى ان هاجر كانت لسارة
ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله
قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه وروى ان هاجر كانت لسارة
فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فولدت منه اسماعيل عليه السلام
فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض
مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا
فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين
فقالوا اشركينا فى مائك نشركك فى البائنا ففعلت رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ اللام لام كى وهى متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم
بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة
عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة
بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها
وقيل اللام لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب

منهم الاقامة وسأل من الله ان يوفقهم لها فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً
مِنَ النَّاسِ اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل
لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود
والنصارى او للابتداء كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناس
وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر فى ادؤر وان
يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون
نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها
بين بين ويجوز ان يكون من افد تَهْوِي إِلَيْهِمْ تسرع اليهم شوقا
ووِدادا وقرئ تُهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره
وتَهوَى من هوِى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع
وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ مع سكناهم واديا لا نبات فيه لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ تلك النعمة فاجاب الله تعالى دعوته فجعله حرما آمنا
يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية
فى يوم واحد رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ تعلم سرنا كما
تعلم علانيتنا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا
انفسنا فلا حاجة الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك
وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة

وما نعلن من التضرع اليك والتوكل وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع

واللجأ الى الله تعالى وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء

لانه العالم بعلم ذاتى تستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق

الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اى وهب وانا كبير آيس عن الولد

قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الاية

اسماعيل واسحاق روى انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة

واسحاق لمائة وثنتى عشرة سنة ان ربى لسميع الدعاء اى لمجيبه من

قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة

عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله

على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه

ووهب له سؤاله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم

واجلاها رب اجعلنى مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها

ومن ذريتى عطف على المنصوب فى واجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام

الله واستقرار عادته فى الامم الخالية انه يكون فى ذريته كفار

ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائى وتقبل عبادتى ربنا اغفر لى

ولوالدى وقرئ لابوى وقد عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما

آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام

---

من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله

فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله

غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم

لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة

او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية

للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو

بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اى تشخص ابصارهم فلا تقر فى اماكنها

من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعى او مقبلين بابصارهم

لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ مقنعى رؤسهم

رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف

او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء

اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان

قلبه هواء اى لا رأى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء

وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد عليه الصلوة

والسلام يوم يأتيهم العذاب يعنى يوم القيامة او يوم الموت فانه

اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك

والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا
وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما
نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب الامر
ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب
القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم
انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا
او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم
لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى
حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود
واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء
فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما
تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم
وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر
واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة
كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم

جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده
فعلهم ومجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له
وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة
الجبال ومعدا لذلك وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله
ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من
الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا
من آيات الله وشرايعه وقرا الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة
واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من
فتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله
مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف
رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا
كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله
ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه
يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام او
مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان
لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات
غير السموات والتبديل قد يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير

وعليه قوله تعالى بدلناهم جلوداً غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة
خاتماً اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات
والآية تحتملهما وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضاً من فضة وسموات
من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس يوم القيامة
على ارض بيضاء لم يخطئ احد عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هي تلك الارض وانما تغير صفتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه
الصلاة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم
العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول
ان يكون الحاصل بالتبديل ارضاً وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني
ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان
كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا
من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه
بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث
لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم
مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت
او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات

والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال
وهو يحتمل ان يكون تمثيلاً لمواخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم
في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل
الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفاداً يعض بساعد
وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران
وجاء قطران لغتين وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل
الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل النار فيه بسرعة يطلى
به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع
القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم
على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون
تمثيلاً لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية
فتجلب اليها انواعاً من الغموم والآلام وعن يعقوب قطر آن والقطر
النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية
او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها
لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم
التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة
مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة

وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس

اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة

او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين

يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق الامر ببرزوا ان الله سريع

الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القران

او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله

ولا تحسبن بلاغ للناس اي كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به

عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام

متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به

انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له

وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات

الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب

فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى

ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل

للناس واستكمالهم للقوة النظرية التي هي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح

القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين

بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر

من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الاشارة الى ايات السورة والكتاب

هو السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم اي تلك ايات الجامع لكونه كتابا

كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا

لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت

او يوم القيامة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح و

التخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف

وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكف عن الجر فيجوز دخوله على الفعل

وحقه ان يدخل على الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله كالماضي

في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس

من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم

لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم

يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة

في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغنية في حكاية ودادتهم كالغيبة

في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا

بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال

عن الاستعداد للمعاد وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
اجل مقدر كتب في اللوح فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا
جزاءهم والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم
من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بالاطائل تحته وفيه الزام
للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدى اليه طول الامل وما
اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح
والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله
الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها
تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون
اى وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى
وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر نادوا به النبى صلى الله عليه وسلم
على التهكم الا يرى الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظيره
ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى
انك لتقول قول المجانين حين تدعى ان الله نزل عليك الذكر اى
القران لو ما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع
الشئ لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك
على الدعوى كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب

للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين
فى دعواك ما ينزل الملائكة بالياء مسند الضمير اسم الله
وقرا حمزة والكسائى وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول
ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا
ملتبسا بالحق بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته فلا حكمة
فى ان تاتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا فى
معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذرياتكم من سبقت كلمتنا له
بالايمان وقيل الحق الوحى او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم
وجزاء لشرط مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا اذا منظرين انا نحن
نزلنا الذكر القران رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده
من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اى من التحريف والزيادة
والنقصان بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر لا يخفى تغيير نظمه
على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ كما نفى
ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم
ولقد ارسلنا اى رسلا من قبلك فى شيع الاولين فى فرقهم
جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه
واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبانا رجالا

فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا
على حكاية الحال الماضية كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ ندخله فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ
والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون
والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم
وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ له وهو حال
من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين
مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف
اذ لا يلزم من تعاقب الضماير توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون
الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها
مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ اي سنة الله فيهم
بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون
وعيدا لاهل مكة وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم اي على هؤلاء المقترحين
بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ يصعدون اليها ويرون عجائبها
طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم
لَقَالُوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا سُدت

سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت
من السكر ويدل عليه قراءة من قرا سكرت بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ قد سحرنا
محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب
دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم
بنوع من السحر وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا اثني عشر مختلفة الهيئات
والخواص على ما يدل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وَزَيَّنَّاهَا
بالاشكال والهيئات البهية لِلنَّاظِرِينَ المعتبرين المستدلين بها على قدرة
مبدعها وتوحيد صانعها وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ فلا يقدر
ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها إِلَّا مَنِ
اسْتَرَقَ السَّمْعَ بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاس سرا شبه به
خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال
من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون
عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد
محمد عليه الصلاة والسلام منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها
قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن
من استرق السمع فَأَتْبَعَهُ فتبعه ولحقه شِهَابٌ مُّبِينٌ ظاهر للمبصرين
والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا بسطناها وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ جبالا ثوابت

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا فى الارض او فيها وفى الجبال مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ

مقدر بمقدار معين يقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم

كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن فى ابواب النعمة والمنفعة

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ

بالهمزة على التشبيه بشمائل وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ عطف على معايش

او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون

انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياكم وفذلكة الاية

الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء

فى الوضع محدثة فيها انواع النباتات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة

مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد

فى الوهيته والامتنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه

ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك فقال وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ

اى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه

فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة

التى لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وَمَا نُنَزِّلُهُ من بقاع القدرة

إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها



بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له

من مخصص حكيم وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ حوامل شبه الريح التى جاءت

بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم

او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله

ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس

فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ فجعلناه لكم سقيا وَمَا

أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته

لنفسه او حافظين فى الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل

على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات

على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حد

لا بد له من سبب مخصص وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي بايجاد الحيوة فى بعض الاجسام

القابلة لها وَنُمِيتُ بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات

وتكرير الضمير للدلالة على الحصر وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ الباقون اذا مات

الخلائق كلها وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ

من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال

ومن لم يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة

او تأخر لا يخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج

على كمال قدرته فان ما يدل على كمال قدرته دليل على علمه وقيل رغب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه
فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك
هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي
لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق
من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكمة
كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم
وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين يابس
يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل
من حمأ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال
اي كائن من حمأ مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليتيبس
ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ
الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير
ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر
على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان
ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان

تشعب الجن لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس
باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل
من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ
في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها
في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري
فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار
الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال
قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية
التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء
واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا
من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته
لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف
اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح
يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية
فيسري حاملا لها في تجاويف الشرائين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن
نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له
ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين

للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعون للدلالة

على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان كذلك كان الثاني حالا

لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون

مع الساجدين اى ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه

جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك ان لا تكون اى غرض لك

في ان لا تكون مع الساجدين لادم عليه السلام قال لم اكن لاسجد

اللام لتاكيد النفي اى لا يصح منى وينافي حالى ان اسجد لبشر جسمانى

كثيف وانا ملك روحانى خلقته من صلصال من حما مسنون

وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص ادم عليه السلام

بحسب النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها

من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة

فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب

عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين

فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما

في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده

هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه

يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني

فاخرني فالفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم

الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت

اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني

قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك

عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور

ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات

لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم

البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل

وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت

فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة

وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله

على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم

وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم

باغوائك اياى لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور

كقوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه وفي انعقاد القسم

بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة

الى الغي والتسبيب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او بالاضلال

عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط
له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم انه ومن تبعه انهم يموتون
على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضاً
لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب
وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ولاحملنهم اجمعين على الغواية إِلَّا عِبَادَكَ
مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ اخلصتهم وطهرتهم عن الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا
نفوسهم لله قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ حق علي ان اراعيه مُسْتَقِيمٌ
لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين
من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي
من غير اعوجاج وضلال وقرئ عليٌّ من علو الشرف إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ
عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ تصديق لابليس فيما
استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم
وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطاناً
على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون
الاستثناء منقطعاً وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من

اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثنائين وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ
لموعد الغاوين والمتبعين أَجْمَعِينَ تاكيد للضمير او حال
والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدراً على تقدير مضاف ومعنى
الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ
يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة
وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات
في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية
او لان اهلها سبع فرق لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ من الاتباع جُزْءٌ مَقْسُومٌ
افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث
للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جُزُؤٌ بالتثقيل
وقرئ جزّ على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه
بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من
المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم
موصوفه إِنَّ الْمُتَّقِينَ من اتباعه في الكفر والفواحش
فان غيرها مكفرة فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ لكل واحد جنة وعين

او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما
وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية
وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث وقع
والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة
وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم
آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم
او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد
كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا
حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير
المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين
ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين
وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب
استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها
بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد
والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي

من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته
بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف
ونبئهم عن ضيف ابراهيم على ونبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما
قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن
وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس
لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله
ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل
للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر بغلام
هو اسحاق عليه السلام لقوله فبشرناه باسحاق عليم اذا بلغ
قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه
او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي
اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة
بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون
الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا
لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق
بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله

وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر
على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان
استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا
يعرفون سعة رحمة الله وكمال قدرته كما قال لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بكسر النون وقرئ
بضمها وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما
شأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود
ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك
اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال
لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم
كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير
في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين ولآل لوط
المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط
منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم
اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء

ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون
قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول
لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم
اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين
الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا
وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب
لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير
بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه
الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص
فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي
وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه
يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك
من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك
فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف
من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل
في طائفة من الليل وقيل في آخره قال الشاعر افتحي الباب وانظري في النجوم

كم علينا من قطع ليل بهم واتبع أدبارهم وكن على أثرهم تذودهم
وتسرع بهم وتطلع على أحوالهم ولا يلتفت منكم أحد لينظر
ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم أو لا يتصرف
أحدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات
ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون إلى حيث
أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر فعدى وامضوا إلى حيث
وتؤمرون لا الضمير المحذوف على الاتساع وقضينا أي أوحينا
إليه مقضيا ولذلك عدي بإلى ذلك الأمر مبهم يفسره أن دابر
هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للأمر
وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون
عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد مصبحين داخلين في الصبح وهو
حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن دابر هؤلاء
في معنى مدبري هؤلاء وجاء أهل المدينة سدوم يستبشرون
بأضياف لوط طمعا فيهم قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة
ضيفي فإن من أسيء إلى ضيفه فقد أسيء إليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة
ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان
أو ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء قالوا أولم ننهك عن العالمين
عن

عن أن تجير منهم أحدا وتمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون
لكل أحد وكان لوط عليه السلام يمنعهم عنه بقدر وسعه أو عن ضيافة
الناس وإنزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فإن نبي كل أمة
بمنزلة أبيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود إن كنتم فاعلين
قضاء الوطر أو ما أقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك
والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لإيثار الأخف فيه
لأنه كثير الدور على ألسنتهم إنهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم أو شدة
غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي
يشار به إليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير
لقريش والجملة اعتراض فأخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة
وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها على المدينة أو على قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم
وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر أو طين عليه كتاب
من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود إن في ذلك
لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة الشيء بسمته وإنها وإن المدينة أو القرى لبسبيل مقيم

ثابت يسلكه الناس ويرون آثارهم إن في ذلك لآية للمؤمنين
بالله ورسله وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين هم قوم شعيب
عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله تعالى إليهم فكذبوه فأهلكوا
بالظلة والأيكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالإهلاك
وإنهما يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين فإنه عليه السلام
كان مبعوثا إليهما فكان ذكر أحدهما منبها على الآخر لبإمام مبين
لبطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق واللوح
ومطمر البناء لأنها مما يؤتم به ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين
يعني ثمود كذبوا صالحا عليه السلام ومن كذب واحدا من الرسل
فكأنما كذب الجميع ويجوز أن يراد بالمرسلين صالحا عليه السلام ومن معه
من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم
آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم
أو معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها أو ما نصب لهم من الأدلة
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص
وتخريب الأعداء لوثاقتها أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم
أن الجبال تحميهم منه فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد

والعدد وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق
إلا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك
اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء وإزاحة فسادهم من الأرض
وإن الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح
الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
وقيل هو منسوخ بآية السيف إن ربك هو الخلاق الذي خلقك
وخلقهم وبيده أمرك وأمرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق
بأن تكل إليه ليحكم بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم وقد علم
أن الصفح اليوم أصلح وفي مصحف عثمان وأبي رضي الله تعالى عنهما هو الخالق
وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا
سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعها الأنفال
والتوبة فإنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية
وقيل التوبة وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الأسباع
من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية أو من الثناء فإن كل ذلك
مثنى تكرر قراءته أو ألفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة
والإعجاز أو مثن على الله تعالى بما هو أهله من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى
ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن أو كتب الله كلها فيكون من للتبعيض

والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف الكل على البعض
او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر
لا تمدن عينيك ولا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به
ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالنسبة الى ما اوتيته
فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله
تعالى عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلاة والسلام
وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز
والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال
لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم
انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين
وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان
وبرهان ان العذاب نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين
مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه
والمقتسمون هم الاثنا عشر اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا
الناس عن الايمان بالرسول عليه الصلاة والسلام فاهلكهم الله يوم بدر

يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا
عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله
ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون الذين جعلوا
القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية
والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى سحر وشعر وكهانة
واساطير الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض
على ان القرآن ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الى اخره اعتراضا ممدا لها
الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من
عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل اسحارا فعلة من عضهته اذا بهته
وفي الحديث لعن الله العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة رضي الله تعالى عنه
العضه السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا للمحذوف منه والموصول
بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم
اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم والنسبة الى السحر فنجازيهم
عليه وقيل عام في كل ما فعلوه من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر
فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق
والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع

محذوف اي ما تؤمرون به من الشرائع وَاَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فلا تلتفت الى ما
يقولون اِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا
خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن
قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي
صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيهم فاوما الى ساق الوليد فمر بنبال
فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه
فمات واوما الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت
كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى راس الاسود
بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب
وجهه بالشوكة حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي اَلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبة امرهم في الدارين
وَلَقَدْ نَعْلَمُ اَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ من الشرك والطعن في القران
والاستهزاء بك فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح
والتحميد يكفك ويكشف الغم او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان
هداك للحق وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام
اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ اي الموت

اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا
ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار
والمستهزئين بمحمد عليه الصلاة والسلام سورة النحل مكية
غير ثلاث ايات في اخرها وايها مائة وثمان وعشرون بِسْمِ اللّٰهِ
الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ اَتٰى اَمْرُ اللّٰهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ كانوا يستعجلون ما
اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم
كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام
تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة
الاتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير
لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ تبرأ عز وجل
عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء
على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب
او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت
اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم امسكوا عن بعض ما تعملون
فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزل اقترب للناس حسابهم فاشفقوا
وانتظروا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا فنزلت اتى امر الله

فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه
ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل
او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي
به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة
لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل
وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تنزل على المضارع
المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده
ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا
اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون
او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى
مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول
او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة
من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان
حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية
والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية
والايات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى
هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له

ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض
بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها
وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما او مما يفتقر في وجوده
او بقائه اليهما او مما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل
الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس بها ولا حراك سيالة لا تحفظ
الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة
او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا
بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها
بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان
ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به
فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع
ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم
والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الاي
او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر
الحيوانات المأكولة ففي حكم التداوي او التفكه ولكم فيها جمال
زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي

وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها
في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال
فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة
لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه
وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه
الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه
وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى
النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم
حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال
والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اى لتركبوها ولتتزينوا
بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة
بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب
واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون
علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين اى متزينين
او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم
من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه

ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على الحمر الاهلية
حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي
يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها
ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد ما خلق
في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل
بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة
وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال
سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده
السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد
وقال ومنها جائر عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب
لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة ولان المقصود
بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر بالعرض
وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء الله لهداكم اجمعين
اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية
مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب
او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل
او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب

فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله تعالى
فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه
يكون شجر يعني الذي ترعاه المواشي قيل كل ما ينبت على الارض
شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم
ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها
واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات
ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض
كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يوكل منه لانه
سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع و
التصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض
وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة
وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار
والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع
مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل
علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد ولعل

ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم بان هياها لمنافعها مسخرات بامره حال
من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها
كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان
بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب
واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات
والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص
مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل ومصدر منه جميع
لاختلاف الانواع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون
تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة
ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات
وما ذرا لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها
من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا
ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات
والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث
تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما

طَرِيًّا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع

اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه خلقه عذبا

طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف ان لا

ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف

وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة

ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً

تَلْبَسُونَهَا كاللؤلؤ والمرجان اى تلبس نساؤكم فاسند اليهم

لانهن من جملتهم ولانهن تتزين بها لاجلهم وَتَرَى الْفُلْكَ

السفن مَوَاخِرَ فِيهِ جوارى فيه بشقه بحيزومها من المخر

وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ من سعة

رزقه بركوبها للتجارة وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اى تعرفون نعم الله

فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام

من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ جبالا رواسى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ كراهة

ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال

كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة

كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها

على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت

كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور

فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت

بالجبال وَأَنْهَارًا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وَسُبُلًا

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ لمقاصدكم او الى معرفة الله تعالى وَعَلَامَاتٍ

معالم يستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك

وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس

ويدل عليه قراءة بالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل

الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا

كثير الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسائرهم بالنجوم و

اخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجوم واقحام الضمير

للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار

بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ

انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته

والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته

ما لا يقدر على خلق شىء من ذلك بل على ايجاد شىء ما وكان حق الكلام

افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله

جعلوه من جنس المخلوقات العجزة تشبيهاً بها والمراد بمن لا يخلق
كل ما عبد من دون الله مغلباً فيه أولو العلم منهم أو الأصنام
واجراؤها مجرى أولي العلم لأنهم سموها آلهة ومن حق الإله
أن يعلم أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو للمبالغة فكأنه قيل
أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده
أفلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فإنه لجلائه كالحاصل للعقل
الذي يحضر عنده بأدنى تذكر والتفات وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تضبطوا عددها فضلاً أن تطيقوا القيام بحقها وشكرها اتبع ذلك
تعداد النعم وإلزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيهاً على أنها
وراء ما عدد نعم لا تنحصر وإن حق عبادته غير مقدور إن الله
لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها رحيم لا يقطعها
لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون من عقائدكم وأعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك
باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله أي والآلهة الذين
تعبدونهم من دونه وقرأ أبو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها
بالياء لا يخلقون شيئاً لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين
أنها لا تخلق شيئاً لينتج أنهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات

صفات تنافي الألوهية فقال وهم يخلقون لأنها ذوات ممكنة
مفتقرة الوجود إلى التخليق والإله ينبغي أن يكون واجب الوجود أموات
هم أموات لا تعتريهم الحياة أو أموات حالاً أو مآلاً غير أحياء بالذات
ليتناول كل معبود والإله ينبغي أن يكون حياً بالذات لا يعتريه الممات
وما يشعرون أيان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم
فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والإله ينبغي أن يكون عالماً
بالغيوب مقدراً للثواب والعقاب وفيه تنبيه على أن البعث
من توابع التكليف إلهكم إله واحد تكرير للمدعى بعد إقامة الحجج
فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
بيان لما يقتضي إصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم إيمانهم بالآخرة
فإن المؤمن بها يكون طالباً للدلائل متأملاً فيما يسمع فينتفع به
والكافر بها يكون حاله بالعكس وإنكار قلوبهم ما لا يعرف إلا بالبرهان
اتباعاً للأسلاف وركوناً إلى المألوف فإنه ينافي النظر والاستكبار
عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه والالتفات إلى قوله
والأول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين
لا جرم حقاً إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم
وهو في موضع الرفع بجرم لأنه مصدر أو فعل إنه لا يحب المستكبرين

فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده واتباع رسوله وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون
قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين
وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل
فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه والقائلون له هم المقتسمون
لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اي قالوا ذلك اضلالا للناس
فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال
وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ وبعض اوزار ضلال من يضلونهم
وهو حصة التسبب بِغَيْرِ عِلْمٍ حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم
انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم
اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ
بئس شيئا يزرونه فعلهم قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ اي سووا
منصوبات ليمكروا بها رسل الله فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ
فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فَخَرَّ عَلَيْهِمُ
السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وصار سبب هلاكهم وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل
وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف

الاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا
ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله تعالى
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ
اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم
الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ تعادون المؤمنين في شانهم وقرا نافع
بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله
قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ اي الانبياء والعلماء الذين كانوا
يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة
إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ الذلة والعذاب عَلَى الْكَافِرِينَ
وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته
لان يكون لطفا لمن سمعه الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ وقرا حمزة
بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه
الثلاثة ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ بان عرضوها للعذاب المخلد فَأَلْقَوُا السَّلَمَ
فسالموا واخبتوا حين عاينوا العذاب مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ
قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم
على ان يكون المراد به القول الدال على الاستسلام بَلَى فتجيبهم الملائكة
بلى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله

فالقوا السلم الى آخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة
وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء اى ما
لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد
عليهم هو الله تعالى او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم
كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها
خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا
يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اى انزل خيرا وفي نصبه
دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين
بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام
الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد
المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار
الآخرة خير اى ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا
على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا
على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم
ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون
المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن
من



من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد
جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء
يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين
طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم
وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم
لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام
عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة
الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظرون
الكفار المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم
وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيامة او العذاب
المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب
فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله
بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم
المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم
على حذف المضاف وتسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن فاحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر

وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا
آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا
للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع
فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر
ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها
عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم
وفيما بعد تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم
فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ
المبين الا البلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله
هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه
انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة
امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداؤه
وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي
ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت
فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت
عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد

على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته
بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به
في الآية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان
تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد
ضلاله وهو المعنى من حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى
على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع
العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد
انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده وقد رد الله
عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه
وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع
الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من
مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم
بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامر فقال
ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه

وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا
يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة
وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو امكانه وتقريره
ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد والمدد
والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة
ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون
عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا
هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون رضي الله
عنهم اجمعين ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم
الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل
وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة
مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما
يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا
من المهاجرين عطاءه قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله
في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي

اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم
اي المهاجرين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم
وصبرهم الذين صبروا على الشدايد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن
ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا
يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام
فان شككتم فيه فاسألوا اهل الذكر اي اهل الكتاب او علماء الاخبار
ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على انه تعالى
لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة
رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا
الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه
الصلاة والسلام راى جبريل عليه السلام على صورته التي هو عليها
مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب
كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا
داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات

كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات
او بيوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان
قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام
وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه
لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما
امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان
ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل
ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق
افأمن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين
احتالوا لهلاك الانبياء عليهم السلام او الذين مكروا برسول الله صلى الله
عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض
كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم
اي متقلبين في مسائرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم
على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب
وهم متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر

على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا
التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا
ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة
السفن فقال عمر رضي الله عنه عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما
ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم
فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا
الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه
الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره
فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤا ظلاله اي
اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة عن اليمين والشمائل
عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان
وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى
كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون
وهما حالان من الضمير في قوله ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء
كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير
اذا طأطأ رأسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير
والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها

بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة
على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا
داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى وجمع داخرون بالواو لان
من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد
باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه
آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له
فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي
من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي
من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض ينقاد انقيادا
يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا
ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة
بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او في سماء
والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم
او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال الملائكة ارواح مجردة
او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا
وتعظيما والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل
للعقلاء كما استعمل لغيرهم سواء كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى

اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته
يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او
يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة
حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله
لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير
وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل
عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينة تنافي
الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة
على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او التنبيه على ان
الوحدة من لوازم الالوهية فاياى فارهبون نقل من الغيبة
الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك
الاله الواحد فاياى فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض
خلقا وملكا وله الدين اى الطاعة واصبا لازما لما تقرر
من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب
اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لا ينقطع
ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه

كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اى واى شئ اتصل بكم
من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط
باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار
بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون فما
تتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا
كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا
بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين
كان من للبيان كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان تكون من
للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة
او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون
اغلظ وعيد وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا
وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب
ويجعلون لما لا يعلمون اى لالهتهم التى لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير
لما او التى لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم
على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على انها مصدرية والمجعول له
محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام

والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها آلهة
حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات
كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه له من قولهم وتعجب منه ولهم ما يشتهون يعنى
البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات
على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل
والمفعول لشئ واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر
احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه اى صار او دام
النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه
كناية عن الاغتمام والتشويش وهو كظيم مملو غيظا
من المرأة يتوارى من القوم يستخفى منهم من سوء ما بشر به
من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه
على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده
وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية
بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن

خشية الاملاق وَلِلّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق
والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
المتفرد بكمال القدرة والحكمة وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم بكفرهم
ومعاصيهم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة
الناس والدابة عليها مِن دَابَّةٍ قط بشوم ظلمهم وعن ابن مسعود
رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة
وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إلَى أَجَلٍ
مُّسَمًّى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ
لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ بل هلكوا او عذبوا حينئذ
لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم
ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم
وصدر عن اكثر وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ اي يكرهونه لانفسهم
من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وارذال الاموال
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ مع ذلك وهو أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى عند الله كقوله
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة
للالسنة لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ رد لكلامهم واثبات لضده وَأَنَّهُم
مُّفْرَطُونَ مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع

نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته
في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ
مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فاصروا على قبائحها وكفروا بالرسل
فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم
حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية
ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم
وهو ولي هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف
اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم
على ابلغ الوجوه وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في القيامة وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ للناس الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ من التوحيد
والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين وَاللّهُ
أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا انبت فيها انواع النبات
بعد يبسها إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماع تدبر وانصاف
وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم
نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير
ووحده هنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع

ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش
ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها
او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر
ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا
فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث
وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها
كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد
ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي هو يغذي البدن
لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم
في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها
ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية
بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال
ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير
العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها
لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم
لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض

فيبيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان
واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته
ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية
كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدئ منه
الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه
على انه موضع العبرة خَالِصًا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة
الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه
سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد
والتخفيف وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ متعلق بمحذوف
اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله
تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون
ومنه تكرير للظرف تأكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن
ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين
الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر
والسكر مصدر سمي به الخمر وَرِزْقًا حَسَنًا كالتمر والزبيب والدبس
والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة

بين العتاب والمنة قيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام
سكرا اى تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق
ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها
وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذى بان اتخذى
ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى
فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش
من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمى ما تبنيه لتتعسل فيه
بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة
التى لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل
ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرا ابن عامر وابو بكر
يعرشون بكسر الراء ثم كلى من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها
مرها وحلوها فاسلكى ما اكلت سبل ربك في مسالكه التى
يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكى الطرق التى
الهمك في عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر
عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذللة

مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكى اى وانت
ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها كانه عدل به عن
خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود
من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعنى العسل لانه مما
يشرب واحتج به من زعم ان النحل ياكل الازهار والاوراق العطرة
فيستحيل في باطنها عسلا ثم تقىء ادخارا للشتاء ومن زعم انها
تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق
والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شىء كثير
منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه
ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل
فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع
غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء
منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم
وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اخى يشتكى بطنه فقال عليه الصلاة والسلام اسقه العسل
فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه
فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرئ

فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بين الله من حول النحل
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل
بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه
لابد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله
خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد
الى ارذل العمر اخره يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة
والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم
من بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان
وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب
النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس
ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر
معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ والله
فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال
يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك
فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم
على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم
فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة

لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة
موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما
ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين
فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان
يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساوونهم فيه افبنعمة الله
يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما
انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه
الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر
وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله
جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتانسوا بها وليكون
اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من ادم وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة واولادا او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات
يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل
الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين
ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض
فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام
تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب

وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمته الى الاصنام
او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام
او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا
من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به
والا فبدل عنه ولا يستطيعون ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا
وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الالهة
ويجوز ان يعود الى الكفار اي لا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون
شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له
مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال
ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد
الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون
وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل
للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه
ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال
وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن
عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن

ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا
هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف
راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا
فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك
والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية
بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق
وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك
للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون
وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من
موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين
فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه
غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون
فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين
احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من
الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من
يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء
للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي

لايات تخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل
ومن هو منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل
الشامل لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه
على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل
تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا
تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه
وبينها او للمومن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به
علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا
ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات
والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيامة في سرعته وسهولته
الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب
او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الان الذي
يبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان
في ان واحد واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة
وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه كلمح البصر او هو اقرب
مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق
دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم

اخرجكم من بطون امهاتكم وقرا الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة
او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وبكسر الميم والهاء مزيدة مثلها
في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها
فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون
بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يتحصل
لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر
فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور
فتشكرونه الم يروا الى الطير قرا ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء
على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها
من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد
من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي
سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك
لايات بتسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران
وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف
طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها وجعل لكم
من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت

المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى المفعول وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر
والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها
انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها
ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم
وقت الحضر او النزول وقرا الحجازيان يوم ظعنكم بالفتح وهي لغة فيه
ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل
والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا
ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان
فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم
والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها
ظلالا تتفيئون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا
مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن
وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها
تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر
كانت عندهم اهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن
والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت

تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه
فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون بفتح التاء
من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها
فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان
تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين
فلا يضرك فانما عليك وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب
يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم
وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا
او اعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه
الصلاة والسلام عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم
استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون
عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل
او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف
واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون
ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد لهم
وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار

اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم
من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما منون به
من شهادة الانبياء عليهم السلام ولا هم يستعتبون
ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضاء وانتصاب يوم
بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله
واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم ولا هم ينظرون
يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي
دعوها بشركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم
او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك
او التماس بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون
اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة
وانما عبدوا اهواءهم كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع
انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم
اياه كقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه
بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا



ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم
حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق
العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم
مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من
انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك
يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب
استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور
الدين على التفصيل والاجمال بالاحالة الى السنة او القياس
وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى
للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور
اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب
المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل
والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية
كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص
بعد تعميم للمبالغة وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ عن الافراط في متابعة القوة
الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها وَالْمُنْكَرِ ما ينكر
على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية وَالْبَغْيِ والاستعلاء والاستيلاء
على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية
ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر
بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه
هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون
ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى
ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب
للتنبيه عليه يَعِظُكُمْ بالامر والنهي والميز بين الخير والشر
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ تتعظون وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ يعني البيعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله إِذَا عَاهَدْتُمْ
وقيل النذر وقيل الايمان بالله وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ ايمان البيعة
او مطلق الايمان بَعْدَ تَوْكِيدِهَا توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب
الواو همزة وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا شاهدا بتلك البيعة فان



الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ
في نقض الايمان والعهود وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ما غزلته
مصدر بمعنى المفعول مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ متعلق بنقضت اي نقضت غزلها
من بعد ابرام واحكام أَنْكَاثًا طاقات نكثت فتلها جمع نكث
وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت
والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم
القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ
حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا
متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم
واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ
بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم
كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا
اعداءهم إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر
اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله
وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش
وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير لاربى وقيل للامر بالوفاء

وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ اذا جازاكم على اعمالكم
بالثواب والعقاب وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً متفقة على الاسلام
وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بالخذلان وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بالتوفيق
وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سوال تبكيت ومجازاة وَلَا تَتَّخِذُوا
أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيداً ومبالغة
في قبح المنهي فَتَزِلَّ قَدَمٌ عن محجة الاسلام بَعْدَ ثُبُوتِهَا عليها
وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة
وَتَذُوقُوا السُّوءَ العذاب في الدنيا بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
بصدودكم عن الوفاء بعهد الله او صدكم غيركم عنه فان من نقض
البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ في الاخرة
وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله
ثَمَنًا قَلِيلًا عرضاً يسيراً وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين
ويشترطون لهم على الارتداد إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ من النصر والتغنيم في الدنيا
والثواب في الاخرة هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مما يعدونكم إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
ان كنتم من اهل العلم والتمييز مَا عِنْدَكُمْ من اعراض الدنيا
يَنْفَدُ ينقضي ويفنى وَمَا عِنْدَ اللَّهِ من خزائن رحمته بَاقٍ
لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق وهو دليل على ان نعيم اهل الجنة باق

باق وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ على الفاقة واذى الكفار
او مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بينه بالنوعين دفعاً للتخصيص وَهُوَ
مُؤْمِنٌ اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها
تخفيف العقاب فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً في الدنيا يعيش عيشاً طيباً
فانه ان كان موسراً فظاهر وان كان معسراً كان يطيب عيشه بالقناعة
والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان
معسراً فظاهر وان كان موسراً لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ
بعيشه وقيل في الاخرة وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
من الطاعة فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ اي اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم
الى الصلوة فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فاسأل الله ان
يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه
للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم
المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياساً وتعقيبه بذكر العمل الصالح والوعد
عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود
رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم

من الشيطان الرجيم فقال عليه الصلاة والسلام قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم
عن اللوح المحفوظ إنه ليس له سلطان تسلط وولاية
على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به
والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه
الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له
سلطانا إنما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه
والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون
وإذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة
مكان المنسوخة لفظا وحكما والله أعلم بما ينزل من المصالح
فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما
لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرا
ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اى الكفرة إنما أنت مفتر
متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا
والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد
سندهم ويجوز ان يكون حالا بل أكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام

الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس
يعني جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر
كقولهم حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف
وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله كان مدرجا على حسب المصالح
مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت
الذين آمنوا على الايمان انه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ
وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم
واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين
لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة
وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف
ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر يعنون جبرا
الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان
السيف بمكة ويقرءان التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله
عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرانه وقيل عايشا غلام
حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل
سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون إليه أعجمي لغة
الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر

وقرا حمزة والكسائي يَلحدون بفتح الياء والحاء لسان أعجمي
غير بيّن وَهَـٰذَا وهذا القرآن لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ
ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم
وتقريره يحتمل وجهين أحدهما أن ما يسمعه منه كلام أعجمي
لا يفهمه هو ولا أنتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تأمل
فكيف يكون ما يتلقفه منه وثانيهما هب أنه تعلم منه المعنى
باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لأن ذلك أعجمي وهذا عربي
والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من جهة اللفظ مع أن العلوم الكثيرة
التي في القرآن لا يمكن تعلمها إلا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة
متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض أوقات مروره
عليه كلمات أعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بأمثال
هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ لا يصدقون أنها من عند الله لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ
إلى الحق أو إلى سبيل النجاة وقيل إلى الجنة وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الآخرة
هددهم على كفرهم بعدما أماط شبهتهم ورد طعنهم فيه
ثم قلب الأمر عليهم فقال إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
لأنهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه وَأُولَٰئِكَ إشارة إلى الذين كفروا

كفروا أو إلى قريش هُمُ الْكَاذِبُونَ أي الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون
في الكذب لأن تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب
أو الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة أو الكاذبون
في قولهم إنما أنت مفتر إنما يعلمه بشر مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ
بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض أو من أولئك أو من الكاذبون
أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب من الله ويجوز
أن ينتصب بالذم وأن يكون من شرطية محذوفة الجواب إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لأن الكفر لغة يعم القول والعقد
كالإيمان وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ لم يتغير عقيدته وفيه دليل
على أن الإيمان هو التصديق بالقلب وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا اعتقده
وطاب به نفسا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ إذ لا أعظم
من جرمه وروي أن قريشا أكرهوا عمارا وأبويه ياسرا وسمية
على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها
وقالوا إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما
أول قتيلين في الإسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرها
فقيل يا رسول الله إن عمارا كفر فقال عليه الصلاة والسلام كلا إن
عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه

فان عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم
بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان
الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة
الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد
قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد
جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول
فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له
ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها وان الله لا يهدي القوم
الكافرين اي الكافرين في علم الله الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم
عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب
لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها
فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما

من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال
هؤلاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا
المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا
ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك
من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل
رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس
منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى
في خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس
ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم
وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم
فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت امنة
مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها
رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله
بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم
كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق
لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع
والخوف واوقع الاذاقة عليهم بالنظر الى المستعار له كقول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء
لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال
وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا
بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار
الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا عليه الصلاة
والسلام والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم
فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم
بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر
فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم
وشكر ما انعم الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم
عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن
صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله ان كنتم
اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون
بعبادة الآلهة عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله

غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد
عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي
عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف
السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية وسياق مقتضى الكلام وتصدير
الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل
كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال
وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا
الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول
لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحللوا
ولا تحرموا بمجرد قول ينطق به السنتكم من غير دليل ووصف
السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة
الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا
ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها تصف الجمال
وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب
جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم

الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفترى يفترى
لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل
اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة ينقطع عن قريب
ولهم عذاب اليم فى الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى
ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم
بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا
به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم
وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه
وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء
على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك
من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم
يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه
فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله
ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو رئيس الموحدين

الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل
مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف
مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احله او لانه
كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى
مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان
الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله تعالى
انى جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره
حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا
فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم عليه السلام
شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل
بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه
الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله وآتيناه فى الدنيا حسنة
بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه
ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وانه
فى الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى
بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه
والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم عليه السلام اتباع الرسول ملته

اولتراخي ايامه أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد
والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة
مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة
الموحدين إنما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة
على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى
عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد
يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض
فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه
انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا
الصيد فيه تارة وحرموا اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم
هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان
ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع
من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة
المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة
الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة
الطالبين الحقايق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل

وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق
المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي
هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم إن ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين انما عليك البلاغ
والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك
بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه
والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم
فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات
وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر
والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام وقد مثل به فقال
والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت
فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له
ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا
على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير
للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله
صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال

واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن
عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك
في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق
هنا كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين
اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل
او مع الذين اتقوا بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه
في دار الدنيا فان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي
مات واحسن الوصية سورة بني اسرائيل مكية وقيل
الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات
وهي مائة وعشر آية بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي
هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف
قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه
بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما
ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته
الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي

بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام
بعينه لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال بينا انا في المسجد
الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام
بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه
محيط به ليطابق المبدا المنتهى لما روي انه عليه الصلاة والسلام
كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع
من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون
فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه
استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه
فقال ان كان قد قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال
اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة
سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم
فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم
بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها
جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فصادفوا العير كما اخبر
ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة
بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده

والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به
الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش
واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة
ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا
وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى
في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول
الاعراض وان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل
هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله
والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس
لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات
الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى
عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا
كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس
وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام
من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات
وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد عليه السلام
البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى

الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا على ان
لا تتخذوا كقولك كتبت اليك ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء
على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم
غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص
او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي
لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى
ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ
بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وقرئ
ذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم بانجاء
آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام في السفينة
انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله
تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان
ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير
لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم
وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن
في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت
مجرى القسم مرتين افسادتين اوليهما مخالفة التورية

وقتل شعيا وقيل ارميا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى
عليهم الصلاة والسلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله
اولتظلمن الناس فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما
بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده
وقيل جالوت الجزرى وقيل سنجاريب من اهل نينوى
اولى باس شديد ذى قوة وبطش فى الحرب شديد فجاسوا
فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار
وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم
وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله
الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان
وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لابد ان يفعل
ثم رددنا لكم الكرة الدولة والغلبة عليهم
على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تعالى فى قلب بهمن بن اسفنديار
لما ورث الملك من جده كشتاسب بن لهراسف شفقة عليهم
فرد اسراءهم الى الشام وملك عليهم دانيال
فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان
سلط داود عليه الصلاة والسلام على جالوت فقتله

فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا
مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر
وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم
لان ثوابها لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكر
باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الاخرة وعد عقوبة المرة
الاخرة ليسوءوا وجوهكم اى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم
ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره
اولا عليه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد
والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائى
بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة
والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الوجوه الاربعة على انه جواب
اذا واللام فى قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف
هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا
ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا
ذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك
بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس
قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى

فسالهم فقالوا دم قربان لم يتقبل منا فقال ما صدقوني فقتل
عليه الوفا منهم فلم يهدء الدم ثم قال لم يصدقوني ما تركت منكم
احدا فقالوا انه دم يحيى عليه الصلاة والسلام فقال لمثل هذا
ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك
من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدء عَسَى
رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ بعد المرة الاخرى وَإِنْ عُدْتُمْ نوبة اخرى
عُدْنَا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد عليه
الصلاة والسلام وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل
قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا
وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا محبسا لا يقدرون الخروج
منها ابد الاباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات
او الطرق وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وقرا حمزة والكسائي ويَبْشُر وَأَنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا عطف على ان لهم
اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب
اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ

ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه
بما يحسبه خيرا وهو شر دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا
يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام
فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه
عليه الصلاة والسلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته
لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم
فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له
فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله
بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير
الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له
فضرب عنقه صبرا يوم بدر وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ تدلان
على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فَمَحَوْنَا
آيَةَ اللَّيْلِ اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما
للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً
مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم
اجبن الرجل اذا كان اهله جبنا وقيل الآيتان الشمس والقمر
وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل

والنهار ذوى آيتين ومحونا آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة
فى نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق
وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء
بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا فى بياض النهار
اسباب معاشكم وتتوسلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا
باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب
وكل شىء يفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا
بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر
له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون
ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير
والشر من قدر الله وعمل العبد فى عنقه لزوم الطوق فى عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتابا وهى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة
بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا
ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول
محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج
وقرئ ويخرج اى الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما
صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر

يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة
القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اى كفى نفسك والباء
مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم
بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او
بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما اهمه وتذكيره
على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس
بالشخص من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها لا ينجى اهتداؤه غيره ولا يردى ضلاله سواه ولا تزر
وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى
بل تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين
الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب
قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا
باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر
كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا
مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم
ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة
والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل

امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ
فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه
والتسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسق
ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوى كقولهم امرته فعصانى
وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشئ فامرته فامر اذا كثرته
وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج
وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية
امرنا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من أمُر بالضم إمارة
اى جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم
اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعنى كلمة
العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فى المعاصى
فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها
وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز
له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده
خبيرا بصيرا يدرك ظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم
الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها
همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له

بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد
جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد
بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق
المشهور وقيل لمن يكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل
الاية فى المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم
ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم فى الغنائم ونحوها ثم جعلنا
له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله
ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعى وهو الاتيان
بالامر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بارائهم
وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن
ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك
الجامعون للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا
من الله اى مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب
على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل
من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه
مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء
ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك

محظوراً ممنوعاً لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر
تفضلاً انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق
وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلاً اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت
فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله
الهاً آخر الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والمراد به امته
او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت
كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموماً
مخذولاً جامعاً على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين
والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحاً
منصوراً وقضى ربك وامر امراً مقطوعاً به ان لا تعبدوا
بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن
له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة
ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احساناً
وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احساناً لانهما السبب
الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان
لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما

اما

اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيداً ولذلك صح لحوقها النون
المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائي
من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما
فاعلاً او بدلاً ولذلك لم يجز ان يكون تاكيداً للالف ومعنى عندك
ان يكونا في كنفه وكفالته فلا تقل لهما اف فلا تضجر مما
يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر
وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين
وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منوناً وبالضم للاتباع كمنذ
وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء
قياساً بطريق الاولى وقيل عرفاً كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير
ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه
وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما
ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل
النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر
قولاً كريماً جميلاً لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل
تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحاً كما جعل لبيد في قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة
زماما وامره بخفضهما مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض
جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف
حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل
بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك
عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما
وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية
وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة
مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك
للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل
ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد
البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد
على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين
قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا
ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد

عظيم

عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه
الجاني على ابويه التائب من جنايته اوليا لوروده على اثره
وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة
والبر عليهم وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى حقهم اذا
كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي
القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم والمسكين
وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي
وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ
ما هذا السرف فقال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت
على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم
واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف
في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى
عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان
لربه كفورا مبالغا في الكفر به فينبغي ان لا يطاع واما

تعرض عنهم وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن
السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا
تنفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه
او منتظرا له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه
ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان
يتعلق بالجواب الذى هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اى فقل
لهم لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم
والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور
الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله
واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط تمثيلا لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما
امرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم فتقعد ملوما
فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير
محسورا نادما او منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر
اذا بلغ منه وعن جابر رضى الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ اتاه صبى فقال ان امى تستكسيك درعا فقال من ساعة

الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك
الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد
عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل الله تعالى
ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يوسعه ويضيقه بمشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك
من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا
يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم
ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر
والظواهر واما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى
يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل
القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم
اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن
لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان
خطئا كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع
والخطء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرا ابن عامر
برواية ابن ذكوان خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب

وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرا ابن كثير خطاء
بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطا وهو وان لم يسمع لكنه
جاء في قوله تخاطاه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع
الماء راسب وهو مبنى عليه وقرئ خطا بالفتح والمد وخطا
بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم
واتيان المقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة
فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا
طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدى الى قطع الانساب
وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق
الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل
مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل
فقد جعلنا لوليه للذى يلى امره بعد وفاته وهو الوارث
سلطانا تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل على من عليه او
بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان
فان الخطا لا يسمى ظلما فلا يسرف اى القاتل فى القتل
بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه
بالهلاك او الولى بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابى
فلا



فلا تسرفوا وقرا حمزة والكسائى فلا تسرف على خطاب احدهما
انه كان منصورا علة النهى على الاستيناف والضمير اما للمقتول
فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الاخرة بالثواب
واما لوليه فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة
بمعونته واما للذى يقتله الولى اسرافا بايجاب القصاص او التعزير
والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا
فيه الا بالتى هى احسن الا بالطريقة التى هى احسن حتى
يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء
واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره
ان العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه
ويفى به او مسؤلا عنه يسال الناكث ويعاتب عليه او يسال
العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باى ذنب قتلت
فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا
واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس
المستقيم بالميزان السوى وهو رومى عرب ولا يقدح ذلك
فى عربية القرآن لان العجمى اذا استعملته العرب واجرته مجرى
كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا

حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن تأويلاً
واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ
ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم
ما لم يتعلق به علمك تقليداً او رجماً بالغيب واحتج من منع
اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد
من سند سواء كان قطعاً او ظناً واستعماله لهذا المعنى شايع
وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده
قوله عليه السلام من قفا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله في ردغه
الخبال حتى يأتي المخرج وقول الكميت ولا ارمي البرئ بغير ذنب
ولا اقفو الحواص ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها
مشاهدة على صاحبها هذا وان اولئك وان غلب في العقلاء لكنه من
حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلتين جاء لغيرهم كقوله والعيش
بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلاً في ثلثتها ضمير كل اي كان كل
واحد منها مسؤلاً عن نفسه بمعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان الضمير
في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلاً مسند الى عنه
كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ



لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ
بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واواً بعد الضمة ثم ابدالها
بالفتح ولا تمش في الارض مرحاً اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحاً
وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن
تخرق الارض لن تجعل فيها خرقاً بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال
طولاً بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة
مجردة لا يعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال
الخمسة والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الهاً آخر وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى عليه السلام
كان سيئة يعني المنهي منه فان المذكور مأمورات ومناهي وقرأ
الحجازيان والبصريان سيه على انه خبر كان والاسم ضمير كل وذلك
اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروهاً
بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئاً وقد قرئ به
ويجوز ان ينتصب مكروهاً على الحال من المستكن في كان او في الظرف
على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد
لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك
اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي

هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه
على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن
قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه
اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى
في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى افاصد
افاصفيكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة
للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من
الملائكة اناثا بناتا لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم
انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة
بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث
تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم اشرف خلق الله
ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا
القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة
البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا
التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا لتذكروا وقراء
حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما
يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه





آلهة كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه
وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول عم ووافقهما نافع وابن عامر
وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول
ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا
لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا
الى من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض
او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه تنزه تنزيها
وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد
عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود
والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع
بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء
الا يسبح بحمده ينزهه مما هو من لوازم الامكان وتوابع
الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون
لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان
يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما

يتصور منه اللفظ والحما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق
اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء
انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم
غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما يقرأ عليهم
سترا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا
عن الحس وبحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم
ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات
المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة
كما صرح بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن
ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون
مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن
معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك
اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به
آلهتهم مصدر وقع موقع الحال او يحد وحده بمعنى واحدا وحده
ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية

عطف على هربا عطف تفسيري بالنظر اللفظي

وكر



ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه
ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا
واذ هم نجوى اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون
اليك مضمرون له وحين هم ذو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر
ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا
مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا ظلم والمسحور هو
الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اى الا رجلا
يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك
فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون
كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما
ورفاتا وحطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد
لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل
في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها
وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا
او خلقا مما يكبر في صدوركم اى مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة

لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك
الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت
غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لا يعهد
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو
ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك
تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل
ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب
وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون
اي يوم نبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه
على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة
والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على قدرته كما قيل
انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك
او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا
قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة
حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا
التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا تخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل



المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم
ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما
اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من
اهل النار فان ذلك يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب
لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك
امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم
ومر اصحابك بالاحتمال عنهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر
رضي الله عنه رجل فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن
في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته
من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا و
ان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة
الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحي اليه
من الكتاب لا بما اوتيه من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه

تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في
الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في
قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر
كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد
وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه السلام
قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير
فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط
ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة
ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله
الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية الا نحن
مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها
عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب مسطورا
مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات
التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين

الذين



الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب
اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا
ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم
المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم
مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ
بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او ظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل
بالآيات اي الآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل
فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا
بعذاب الآخرة فان من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة
او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا
اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط
بقريش يعني اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر
والتعبير بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان
في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية راى انه دخل مكة
الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعل رؤياها في وقعة بدر
لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال

لكأني أنظر إلى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به
قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بني أمية يرقون منبره وينزون
عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم و
على هذا كان المراد بقوله إلا فتنة للناس ما حدث في أيامهم
والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة
الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا إن محمدا صلى الله
عليه وسلم يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها
ولم يعلموا أن من قدر أن يحمي وبر السمندر من أن تأكله
النار وأحشاء النعامة من أذى الجمر وقطع الحديد
المحماة الحمر التي تبتلعها قدر أن يخلق في النار شجرة
لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعمها وصفت به
على المجاز للمبالغة أو وصفها بأنها في أصل الجحيم
فإنه أبعد مكان من الرحمة أو بأنها مكروهة
مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا
وقد أولت بالشيطان وأبي جهل والحكم بن أبي العاص
وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي والشجرة
الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بأنواع التخويف



فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا إلا عتوا متجاوز الحد
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس
قال أأسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين
فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون حالا من الراجع
إلى الموصول أي خلقته وهو طين أو منه أي أأسجد
له وأصله طين وفيه على الوجوه إيماء بعلة الإنكار
قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد
الخطاب لا محل له من الإعراب وهذا مفعول أول والذي
صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه
والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود له
لم كرمته علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة كلام
مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن ذريته
إلا قليلا أي لأستأصلنهم بالإغواء إلا قليلا لا أقدر
أن أقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الأرض إذا جرد
ما عليها أكلا مأخوذ من الحنك وإنما علم أن ذلك يتسهل له
استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير
وتفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب

ما امضى لما قصد له وهو طرده وتخلية بينه وبين ما سولت
له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤه
وجزاؤكم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون
الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا
من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وانتصاب
جزاء على المصدر باضمار فعله او بما فى جزاؤكم من
معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز
واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز
الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب
عليهم وصح صح عليهم من الجلبة وهى الصياح
بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل
الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبى
والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز
ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت
على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده
حتى استاصلهم وقرأ حفص رجلك بالكسر وغيره وهما
لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل

احفظ

بمقاتل

فهم





وقرئ رجالك ورجالك وشاركهم فى الاموال
بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف
فيها على ما لا ينبغى والاولاد الحث على التوصل
الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد
العزى والتضليل على الاديان الزائغة والحرف
الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد
الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء
وتأخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان
الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين
الخطأ بما يوهم انه صواب ان عبادى يعنى
المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله
الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك
عليهم سلطان اى على اغوائهم قدرة وكفى بربك
وكيلا يتوكلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة
ربكم الذى يزجى هو الذى يجرى لكم الفلك فى
البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التى
لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم

ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه
وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ خوف الغرق ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
ذهب عن خواطركم كلّ من تدعونه في حوادثكم إِلَّا إِيَّاهُ
وحده فانكم حينئذٍ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه
الا اياه او ضلّ كلّ من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله
فَلَمَّا نَجَّاكُمْ من الغرق إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ عن التوحيد
وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطا فتى تمكّن
في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وَكَانَ
اتسع
الْإِنْسَانُ كَفُورًا كالتعليل للاعراض أَفَأَمِنْتُمْ الهمزة
للانكار والفا للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فامنتم فحملكم
ذلك على الاعراض فانّ من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر
ان يهلككم في البر بالخسف وغيره أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ
الْبَرِّ ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حالٌ
او صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي
الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيهٌ على انهم كما وصلوا
الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء
لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا

ربما



ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا يحفظكم من
ذلك فانه لا رادّ لفعله أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ في البحر تَارَةً أُخْرَى
بخلق دواعي لكم الى ان ترجعوا فتركبوه فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا
مِنَ الرِّيحِ لا تمرّ بشيء الا قصفته اي كسرته فَيُغْرِقَكُمْ وعن يعقوب
بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بِمَا كَفَرْتُمْ بسبب اشراككم وكفرانكم نعمة
الانجاء ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا مطالبا يتبعنا بانتصار
او صرف وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ بحسن الصورة والمزاج الاعدل
واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة و
الخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض
والتمكن من الصناعات وانساق الاسباب والمسببات العلوية
والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون
احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كلّ حيوان يتناول
طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وَحَمَلْنَاهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له
ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ المستلذات مما يحصل بفعلهم و
بغير فعلهم وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا بالغلبة

والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص
منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده
والمسئلة موضع نظر وقد اوّل الكثير بالكل وهو تعسّف يَوْمَ نَدْعُوا
نصب باضمار اذكر او ظرف لما دلّ عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو و
يُدْعى ويُدْعو على قلب الالف واوًا فى لغة من يقول أَفْعَوْ او على ان
الواو علامة الجمع كما فى قوله واسرّوا النجوى الّذين ظلموا او ضميره
وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست
الا علامة الرفع وهو قد يقدر الجمع كما فى يدعى كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ
بمن ائتموا به من نبى او مقدّم فى الدين او كتاب او دين وقيل
بكتاب اعمالهم التى قدّموها فيقال يا صاحب كتاب كذا
اى ينقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الكاملة
لهم على عقايدهم وافعالهم وقيل بامّهاتهم جمع امّ كخفّ
وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار
شرف الحسن والحسين وان يفتضح اولاد الزنا فَمَنْ أُوتِيَ
من المدعوّين كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ اى كتاب عمله فَأُولَئِكَ
يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ ابتهاجًا وتبجّحًا بما يرون فيه وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا
ولا ينقصون من اجورهم ادنى شىء وجمع اسم الاشارة والضمير

والضمير

والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب
باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطّلع على ما فيه
غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك
لم يذكرهم مع ان قوله وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
أَعْمَى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى
ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة
اعمى لا يرى طريق النجاة وَأَضَلُّ سَبِيلًا منه فى الدنيا لزوال
الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد
لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسّة وقيل الثانى للتفضيل
من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب
فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة كما فى
اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما
فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية
وقد امالهما حمزة والكسائى وابو بكر وقرا ورش بين بين
فيهما وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل
فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر
ولا نحشر ولا نجبى فى صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا

علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا
كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى
وقيل فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها
بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا
[يعنى بين المخففة والنافية سعد]
بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ من الاحكام لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ غير ما اوحينا اليك
وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتى وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ ولولا
تثبيتنا اياك لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا لقاربت
ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم
لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب
من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح فى انه عليه الصلاة
والسلام ما هم باجابتهم مع قوة الدواعى اليها ودليل على ان
العصمة بتوفيق الله تعالى وحفظه إِذًا لَأَذَقْنَاكَ اى لو قاربت
لاذقناك ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ اى عذاب الدنيا
وعذاب الاخرة ضعف ما يعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل
غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا فى

فى الحيوة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ثم اضيف كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء
العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب
القبر ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا يدفع العذاب عنك وَإِنْ كَادُوا
اى وان كاد اهل مكة لَيَسْتَفِزُّونَكَ ليزعجونك بمعاداتهم مِنَ الْأَرْضِ
ارض مكة لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ ولو خرجت
[قال النبى بورك ير دعليه ان كاد للمقاربة لا للحصول لكن الاخراج قد حصل لقوله تعالى وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك]
لا يبقون بعد خروجك إِلَّا قَلِيلًا الا زمانا قليلا وقد كان
كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته سنة وقيل الاية نزلت
فى اليهود حسدوا مقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا
الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع
ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنى قريظة
واجلى بنى النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف
على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا
لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر وحمزة
[واذا عطف على خبر كاد يكون معتمدا على اسمها سعدى]
والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال
عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
[اى بعدهم سعد]
سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا نصب على المصدر اى

سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين
اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل
عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اى تغييرا اقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب
للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب
من الدال واللام كدلج ودلح ودلف ودله وقيل الدلوك
من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام
للتأقيت مثلها فى لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته
وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقرآن الفجر وهو صلوة
الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل
به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها
مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلوة الفجر دل الامر باقامتها
على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا
تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة
من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو اخ الموت بالانتباه
او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جا

جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل
وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله
لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به
على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض
الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة
زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه
لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم
فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامة والمشهور
انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضى الله عنه انه عليه الصلاة
والسلام قال هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره بان
الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه
على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك
معناه او الحال بمعنى يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلنى مدخل
صدق ادخالا مرضيا واخرجنى اى منه عند البعث
مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة
والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها
آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل

ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤدياً حقه
وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه
وقرئ مَدخل ومَخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولاً واخرجني
فاخرج خروجاً واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً حجة تنصرني
على من خالفني او ملكاً ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله
فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض
وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك
من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقاً مضمحلاً غير
ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام
دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنماً فجعل ينكث
بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل
فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من صفر فقال عليه الصلوة والسلام يا علي ارم به فصعد
فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم
كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه
للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء

وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خساراً
لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة
اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه
كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار
لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان
هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه
الشر من مرض او فقر كان يؤساً شديد اليأس من روح
الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله
التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلاً
اسد طريقاً وابين منهجاً وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة
والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان
ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة
بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد
بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال من قدمه وحدوثه
وقيل مما استأثره الله تعالى بعلمه لما روي ان اليهود قالوا
لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح

فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض
فهو نبي فبين النبي صلى الله عليه وسلم لهم القصتين وابهم امر الروح
وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبريل عليه الصلوة والسلام
وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القران ومن امر ربي معناه من وحيه
وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم
فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة
من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل
اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيا من احواله المعرفة لذاته وهو
اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس
به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه الصلوة والسلام
في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه الصلوة والسلام
لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم
فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق
ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة
الى معلومات الله تعالى التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة

اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى
موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى
ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم
لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده محفوظا
مسطورا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده
عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك
تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله
ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه
في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا ياتون بمثله
وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم
محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم
لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم
بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه
ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان
لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ من كل معنى هو كالمثل في غرابته
ووقوعه موقعا في الانفس فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا الا جحودا
وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وَقَالُوا لَنْ
نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمهم
الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب
تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول
من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ
وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا او يكون لك بستان يشتمل
على ذلك أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا يعنون قوله
تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء
وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي
ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة
وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح
كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا
كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير
بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما

حذف الخبر في قوله واني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا
من الملائكة أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ من ذهب وقد قرئ به
واصله الزينة أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ في معارجها وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ
وحده حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ وكان فيه تصديقك قُلْ سُبْحَانَ
رَبِّي تعجبا من اقتراحهم او تنزيها لله تعالى من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه
احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي قال الرسول هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا كسائر الناس رَسُولًا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون
قومهم الا بما يظهره الله تعالى عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر
الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله تعالى حتى يتخيروها على
هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله تعالى
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وَمَا مَنَعَ
النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى اي وما منعهم عن الايمان بعد نزول
الوحي وظهور الحق إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا الا قولهم
هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكار
ان يرسل الله بشرا قُلْ جوابا لشبهتهم لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ
يَمْشُونَ كما يمشي بنو آدم مُطْمَئِنِّينَ ساكنين فيها لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ
مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه

وأما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك
مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون تمييزا من رسولا
وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي وعلى اني
قد بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال
او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها
والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد
لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان
يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم
ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم
لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا
بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي القوى
والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم
ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود

فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم
الله تعالى بان لا يزالون على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك
جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا
لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم
اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر
على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة
اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت
او القيامة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه
وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني
وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على
الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد
بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره
لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا
وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء
امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل

والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى
اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة
وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا
بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله
ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود
ان لا تعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد
بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرايع سميت بذلك
لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الاخرة من السعادة والشقاوة
وقوله عليه الصلوة والسلام وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت
حكم مستانف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسئل
بنى اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك
او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسأل على لفظ المضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سأل
على هذه القراءة او فاسئل يا محمد بنى اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون
اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك
او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم



او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة توجب قوة اليقين وطمانينة القلب
وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار
اذكر على الاستيناف فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائى
بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعنى الايات الا رب
السموات والارض بصائر بينات بصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه
على الحال وانى لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا
على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما صرفك او هالكا فارع ظنه بظنه
وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه الصلوة
والسلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك
يا فرعون لمثبورا على ان المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة
فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم
من الارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه
ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق
وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبنى اسرائيل اسكنوا
الارض التى اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة
او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعنى قيام القيامة جئنا بكم لفيفا

مختلطين اياكم واياهم لنحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقياءكم

واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل

اى وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا

بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد

من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين

ولعله اراد نفى اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك

الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصى من العقاب فلا

عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا

منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قولـــه

ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف

عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه

ايسر للحفظ واعون فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا

على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران

لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين

اوتوا العلم من قبله تعليل له اى وان لم تؤمنوا به فقد آمن به

من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا

حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل

او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل

على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث

بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا

يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه وعده فى تلك

الكتب ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام على فترة من الرسل وانزال القران

عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا

لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون

كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول كان للشكر عند انجاز الوعد

والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله

وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه

لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا كما

يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين

سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا

انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك

لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله فى التورية والمراد على الاول هو التسوية

بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما

والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق

والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله ايّاما تدعوا فله الاسماء
الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف
اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه
وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية
له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه
فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى
لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك
حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها
حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر
والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان
ابا بكر رضي الله تعالى عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر
رضي الله تعالى عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان
فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر
ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها
وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي
من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون

له ما يشاركه في جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه
ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل
الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة
او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان
العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة ينبغي ان يعترف
بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه الصلاة والسلام اذا افصح الغلام
من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة
بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار من الجنة والقنطار
الف اوقية ومائتا اوقية سورة الكهف مكية وقيل الا قوله
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل
على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه
اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به
ينتظم صلاح المعاش ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال
في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني
كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط
او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال

اوعلى الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله
قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال
دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف
عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر بأسا شديدا
اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة
القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده
وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله
وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه
في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر
المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه
او بالقول والمعنى انهم يقولون عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد
لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا
يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا
نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني
كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك

والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى الولد ليعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ
وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود
تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم
والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم
لان كبر هنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون
الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان
شبهه عليه الصلاة والسلام لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته
اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك
على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف
او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان
فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض
من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم
احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي
به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا والجرز الارض التي قطع نباتها
من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا
بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت ان اصحاب الكهف

والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم
بالاضافة الى خلق ما في الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبايع
متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها
ليست بعجيب مع انه من ايات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع
في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم
او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم
والقوم في الكهف همدا او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل
على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون
لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت
بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته
فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في
بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره
فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقرة فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله
فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى
عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا
فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال آخر كان في فضل واصاب الناس شدة
فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما دون نفسك فابت وعادت

ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت
الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك فقالت اخاف
الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها
ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا
وقال الثالث كان لي ابوان همّان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما
ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي
واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان
اوقظهما فوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما
اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع
ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف
الروم اراد دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا
آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو
وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا
نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت
منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم
اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع يعني انمناهم انامة لا تنبههم منها
الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته في الكهف سنين

ظرفان لضربنا عددا اى ذوات عدد و وصف سنين به يحتمل التكثير
والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده تعالى ثم بعثناهم ايقظناهم
لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا
اى الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم فى مدة لبثهم احصى لما لبثوا
امدا ضبط امد زمان لبثهم وما فى اى من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم
فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه
او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز
وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوايد كقولهم هو احصى للمال
وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف
القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية
شبان جمع فتى كصبى وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت
وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال
والجراة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه
فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا
اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اى ذا بعد عن الحق مفرط
فى الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيانه اتخذوا من دونه
آلهة خبره وهو اخبار فى معنى الانكار لولا يأتون هلا يأتون

عليهم

عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين
لا يوجد الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات
مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض
وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اى اذ اعتزلتم
القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون
الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير
واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية
على انه اخبار من الله عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه
لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم الرزق
ويوسع عليكم من رحمته فى الدارين ويهيئ لكم من امركم
مرفقا ما ترتفقون به اى تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم
وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم
وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح
وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع
شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى

زَوَرَهَا عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء فى الزاء وقرا الكوفيون

بحذفها وابن عامر ويعقوب تزوّر كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها

من الزور بمعنى الميل ذَاتَ الْيَمِينِ جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم

اليمين وَاِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ تقطعهم وتصرم عنهم ذَاتَ الشِّمَالِ

يعنى يمين الكهف وشماله وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ وهم فى متسع من الكهف

يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا

حرّ الشمس وذلك لان باب الكهف فى مقابلة بنات النعش واقرب

المشارق والمغارب فى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا

كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى

يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبتيه

وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فتؤذى اجسادهم وتبلى

ثيابهم ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ اى شانهم او ايواؤهم الى كهف كذلك

او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من اياته

مَنْ يَهْدِ اللهُ بالتوفيق فَهُوَ الْمُهْتَدِ الذى اصاب الفلاح والمراد

به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الايات كثيرة

ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتامل فيها والاستبصار بها

وَمَنْ يُضْلِلْ ومن يخذله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا من يليه ويرشده

وتحسبهم

وَتَحْسَبُهُمْ اَيْقَاظًا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وَهُمْ رُقُودٌ

نيام وَنُقَلِّبُهُمْ فى رقدتهم ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ كيلا

تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء

والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه

وتحسبهم اى وترى تقلبهم وَكَلْبُهُمْ هو كلب مروا به فتبعهم

فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم

او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ

وكالبهم اى وصاحب كلبهم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ حكاية حال ماضية

ولذلك اعمل اسم الفاعل بِالْوَصِيدِ بفناء الكهف وقيل

الوصيد الباب وقيل العتبة لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ فنظرت اليهم

وقرئ لو اطلعت بضم الواو لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا لهربت منهم

وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال وَلَمُلِئْتَ

مِنْهُمْ رُعْبًا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله تعالى من الهيبة

او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم

وعن معاوية رضى الله عنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا

عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك

قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا

فلم يستمع وبعث ناساً فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرا الحجازيان

لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعباً بالتثقيل

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا

لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ليسأل بعضهم بعضاً فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم

فيزدادوا يقيناً على كمال قدرة الله ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا

ما انعم به عليهم قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم

الى الله تعالى قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ويجوز ان يكون ذلك

قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة

وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده

قالوا ذلك فلما نظروا الى اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا

ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فَابْعَثُوا

أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ والورق الفضة مضروبة كانت

او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف

وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما

وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له

دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا

اى



اى اهلها أَزْكَى طَعَامًا احل واطيب او اكثر وارخص فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ

مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي

حتى لا يعرف وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير

للاهل المقدر في ايها يَرْجُمُوكُمْ يقتلوكم بالرجم أَوْ يُعِيدُوكُمْ

فِي مِلَّتِهِمْ او يصيروكم اليها كرهاً من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا

اولا على دينهم فامنوا وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ان دخلتم في ملتهم

وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ وكما انمناهم وبعثناهم ليزداد بصيرتهم

اطلعنا عليهم لِيَعْلَمُوا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم أَنَّ وَعْدَ

اللَّهِ بالبعث او الموعود الذي هو البعث حَقٌّ لان نومهم وانتباههم

كحال من يموت ثم يبعث وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا وان القيامة

لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم فامسكها ثلثمائة سنين

حافظاً ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى

نفوس جميع الناس ممسكاً اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها

إِذْ يَتَنَازَعُونَ ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون

بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح

مجردة وبعضهم يقول يبعثان معاً ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معاً

اوامر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال
اخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا
يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال اخرون لنتخذن عليهم مسجدا
يصلى كما قال تعالى فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ
قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا وقوله ربهم اعلم
بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك
المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام
في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث لما دخل السوق
واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس اتهموا بانه وجد كنزا
فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال
بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم
هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم
وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به
من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك
في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم
الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا

ثم مسجدا سَيَقُولُونَ اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ اي هم
ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود
وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وَيَقُولُونَ
خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ قاله النصارى او العاقب منهم وكان
نسطوريا رَجْمًا بِالْغَيْبِ يرمون رميا بالخبر الخفي لا مطلع لهم
عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر
السين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ
كَلْبُهُمْ انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم
لهم عن جبريل عليه الصلاة والسلام وايماء الله اليه بان اتبعه قوله
قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ واتبع الاولين قوله
رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف
في الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم
مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب
ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها
لها بالواو الواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف
والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله تعالى عنه

هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب
يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم
قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب
والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان
الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما
في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا
ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة
عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤول عنه
وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود
لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال
صلى الله عليه وسلم غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر
يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن
لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا
ملتبسا بمشيته قائلا ان شاء الله او الا ان تقول ان يأذن لك فيه
ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير

واستثناء اعتراضها ودونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية
ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام
ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك
جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح
ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب
وليس في الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق
بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك
بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه
واذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك
او واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين
ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة
على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء
المتباعدة عنه عليه السلام ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة
في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي
ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه
احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية

كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال
بعضهم ثلثماية وتسع سنين وقرئ حمزة والكسائي ثلثماية سنين بالاضافة
على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه هنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف
من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين
من ثلثماية قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب
فيها وخفي من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر
بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين
والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير
وخفي وجلي والهاء يعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة
عند سيبويه وكان اصله ابصر الله اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر
بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله
وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد
والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم
الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم
ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا
وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك
ثم لما دل اشتمال القران على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى

الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحي معجز امره ان يداوم درسه
ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران
ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد
يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ
تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار
وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه
على تاويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا تعد
عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن
لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول
صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقراء المؤمنين ويعلو عينيه عن رثاثة
زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا
حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من
اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائه
الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له
الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات
حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه

كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاضهم اسناد الاغفال الى الله تعالى
قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله
اذا تركها من غير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان
واحتجوا على ان المراد ليس بما ذكرنا وله بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر
غير مرة وقرئ واغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه
غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق
ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق
من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون
الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر لا ابالي بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد
بفعله فانه وان كان بمشيته فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا
هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به
ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل
سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش
يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة
قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته
وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل

وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد
وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى
هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم
او مستغنى عنه لعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك
نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة
لا يحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات
عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف
لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى
للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها
من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون
ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس
واستبرق مما رق من الديباج ومما غلظ منه جمع بين النوعين
للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها
على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة
ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا
للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين قيل هما اخوان

من بني اسرائيل كافر اسمه فطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما
ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها
المؤمن في وجوه الخيرات وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما
اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومؤمن وهو
ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جَعَلْنا لِاَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ بساتين مِنْ اَعْنابٍ من الكروم والجملة
بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وجعلنا النخل
محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته
بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته
وَجَعَلْنا بَيْنَهُما وسطهما زَرْعاً ليكون كل منهما جامعا للاقوات
والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق
كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ اُكُلَها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ
كل الجنتين آتى اكله وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ ولم تنقص من اكلها شَيْئاً يعهد
في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً
ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد نماؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف
وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثر وقرا عاصم
بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم والباقون بضمهما وكذلك

احط

احيط بثمره فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ اي يراجعه في الكلام من حار
اذا رجع اَنَا اَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَاَعَزُّ نَفَراً حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا
لانهم الذين ينفرون معه وَدَخَلَ جَنَّتَهُ بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره
بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا
تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون
او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة
واحدة وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ ضار لها بعجبه وكفره قالَ ما اَظُنُّ
اَنْ تَبِيدَ ان تفنى هذِهِ الجنة اَبَداً لطول امله وتمادي غفلته
واغتراره بمهلته وَما اَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً كائنة وَلَئِنْ رُدِدْتُ
اِلى رَبِّي بالبعث كما زعمت لَاَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها من جنته وقرا
الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين مُنْقَلَباً مرجعا وعاقبة
لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه
ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قالَ لَهُ
صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ اَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ لانه اصل مادتك
او مادة اصلك ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ فانها مادتك القريبة ثُمَّ سَوّاكَ
رَجُلاً ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره
بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك في كمال قدرة الله ولذلك رتب الانكار

على خلقه اياه من التراب فان من قدر بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه
لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذف الهمزة
بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرا ابن عامر ويعقوب
في رواية بالالف في الوصل لتعويضها او لاجراء الوصل مجرى الوقف
وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة
خبر له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا
والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مومن به وقد قرئ
لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك
قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله
او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان
على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشية الله تعالى
ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة
الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله تعالى وان ما تيسر لك
من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره
ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون
تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول

ثان لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي
ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب
الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء
مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب
والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح
صعيدا زلقا ارضا ملساء تزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها
او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق
فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره
واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ
من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه
ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم
فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها
في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه
قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة
على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها
ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي
احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى

لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك
وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي بالياء لتقدمه
ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان
بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا
وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام
الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله
ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر
فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا
اي لاوليائه وقرا حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك
اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله
تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان
قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة
الى الاخرة وقرا ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب
على المصدر المؤكد وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبهه الحيوة الدنيا في زهرتها
وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون
مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به

نبات

نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته
وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط
بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه
عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه
الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء
ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء
يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل
شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما
قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها
ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج
وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا
عائدا وخير املا لان صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يامل
بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو
او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات
الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر

تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وَتَرَى الأَرْضَ
بَارِزَةً بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى
على بناء المفعول وَحَشَرْنَاهُمْ وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا
بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا
ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فَلَمْ نُغَادِرْ
فلم نترك مِنْهُمْ أَحَدًا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك
الوفاء والغدير لماء غادره السيل وقرئ بالياء وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ
تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم
صَفًّا مصطفين لا يحجب احد احدا لَقَدْ جِئْتُمُونَا على اضمار القول
على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
عراة لا شئ معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى
او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا
وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به
وبل للخروج عن قصة الى اخرى وَوُضِعَ الْكِتَابُ صحائف الاعمال
في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب
فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ خائفين مِمَّا فِيهِ من الذنوب وَيَقُولُونَ
يَا وَيْلَتَنَا ينادون هلكتهم التي هلكوها من المهلكات مَالِ هَذَا

الْكِتَابِ تعجبا من شانه لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً هنة صغيرة
وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا الا عدها واحاط بها وَوَجَدُوا مَا
عَمِلُوا حَاضِرًا مكتوبا في الصحف وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا فيكتب
عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كرره في مواضع لكونه مقدمة
للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين
واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال
المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات
وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة
الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم
عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهذا مذهب كل تكرير
في القران كَانَ مِنَ الْجِنِّ حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه
قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ فخرج من امره
بترك السجود والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة
وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه
في سورة البقرة أَفَتَتَّخِذُونَهُ اعقيب ما وجد منه تتخذونه
والهمزة للانكار وَذُرِّيَّتَهُ اولاده او اتباعه وسماهم ذرية

مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي

وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما

اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار

ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض

ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ

المضلين عضدا اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء

له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه

يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا

للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك

وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون

فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد

بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرا وما كنت على خطاب الرسول صلى

الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف

وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه

ويوم يقول اي الله للكافر وقرا حمزة بالنون نادوا شركائي الذين

زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء

على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم

فنادهم



فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم

بين الكفار والهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار

او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك

كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا

اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا

يوم القيامة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها

مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا

ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل

من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه

الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع

الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول

صلى الله عليه وسلم الداعي او القرآن المبين ويستغفروا ربهم

ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين

الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال

فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب

عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرا الكوفيون قبلا بضمتين

وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة

يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال
من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات
بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا
ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه
من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا
بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا اياتي
يعني القران وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به
من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما
يستهزء به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران فاعرض
عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه
من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة
تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم
ان يسمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا
تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء
وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله مالي لا ادعوهم فان حرصه

على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة
الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهد
على ذلك بامهال قريش مع افراطهم في عداوة الرسول عليه الصلاة والسلام
بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيامة لن يجدوا من دونه
موئلا منجا ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه
وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدا خبره
اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف
في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء و
انواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا
يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتاخر العذاب
عنهم وقرا ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام
حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى
مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليهم الصلاة
والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح
لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ
مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله
لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه

مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه

من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى

بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران

موسى والخضر عليهما السلام فان موسى عليه الصلاة والسلام كان بحر علم

الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمِع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل

كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى

حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن

معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى

عليه الصلوة والسلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر

خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى

الله تعالى اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون

وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام

سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك

اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي

يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى

فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال

اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا

حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت

فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين

وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما

نسي موسى عليه السلام ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر

له ما راى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى عليه السلام

رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى عليه السلام

او الخضر وقيل توضا يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه

فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة

على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت

طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله تعالى

جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني

وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا

مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغذى به لقد لقينا

من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه

وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي

موسى عليه السلام في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة

قال ارايت اذ اوينا ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني

الصخرة التي رقد عندها موسى عليه السلام وقيل هي الصخرة التي
دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت
منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ذكره
الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو
اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت
عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى عليه
السلام والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار
وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الايات الباهرة
وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين
واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد من نقصان واتخذ سبيله
في البحر عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر
اي قال في اخر كلامه او موسى عليه السلام في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال
وقيل الفعل لموسى عليه السلام اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا
قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب
فارتدا على اثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا منه قصصا
يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة
فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان

ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا
هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم
الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان
تعلمني على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت
رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا البصريان بفتحتين
وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت
العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد
ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي
نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا
في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه
فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك
غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له
وسال منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه
قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه
على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك
واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي
كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها

لم تحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره
قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا
عطف على صابرا اى ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد
بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد على خلاف
المعتاد شديد فلا خلف فيه وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله
تعالى قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء
انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك
ببيانه وقرا نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل
يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا
فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها
فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد
للتكثير وقرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت
شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك
لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت
بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني
اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام
المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك

اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني
من امري عسرا فلا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي
فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه
اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اى بعدما
خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه
وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه
كما لقيه قتله من غير تردد واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا
زكية بغير نفس اى طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب
قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت
صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او
قتلت نفسا فيقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا
وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض
موسى عليه السلام مستانفا في الاول وفي الثانية قتله من جملة الشرط
واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا
بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا
اى منكرا وقرا نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا

بضمتين قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة
بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز
والاستنكار ولم يرعو بالتذكير أول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة
قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وإن سألت صحبتك وعن يعقوب
فلا تصحبني أي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت
عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله أخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب
وقرأ نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله
قدني من نصر الخبيبين قدي وأبو بكر لدني بتحريك النون وإسكان الدال
إسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية قرية أنطاكية
وقيل أبلة بصرة وقيل باجروان وقيل أرمينية استطعما أهلها فأبوا
أن يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من أضافه إذا أنزله به ضيفا وضيفه
أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض إذا مال فوجدا
فيها جدارا يريد أن ينقض يداني أن يسقط فاستعير الإرادة للمشارفة
كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء
بني عقيل وقال إن دهرا يلف شملي بجملي لزمان يهم بالإحسان
وانقض انفعل من قضضته إذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه

لهويه أو افعل من النقض وقرئ أن ينقض وأن ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت
السن إذا انشقت طولا فأقامه بعمارته أو بعمود عمده به وقيل مسحه
بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا
تحريضا على أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضا بأنه فضول لما في لو من النفي
كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه
واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين
وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أي لاتخذت وأظهر ابن كثير ويعقوب
وحفص الذال وأدغمه الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الإشارة
إلى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني أو إلى الاعتراض الثالث أو الوقت
أي هذا الاعتراض سبب فراقنا أو هذا الوقت وقته وإضافة الفراق
إلى البين إضافة المصدر إلى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الأصل
سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم
تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر أما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على أن المسكين
يطلق على من يملك شيئا إذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم
عن دفع الملك أو لزمانتهم فإنها كانت لعشرة إخوة خمسة زمنى
وخمسة يعملون في البحر فأردت أن أعيبها أجعلها ذات عيب

وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه
واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدى يأخذ كل
سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت
ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة
عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين
خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما
وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة
والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما
ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا
او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان
وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته
على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف
قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه
ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى عليه السلام
فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته
ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى فاردنا ان

ان يبدلهما ربهما خيرا منه اي يرزقهما بدله خيرا منه
زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما
رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها
نبي فولدت نبيا هدى به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو
يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب وعاصم بالتثقيل
وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة
واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما
اصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته كنز لهما
من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله تعالى
والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق
بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن
بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما
صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما
وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح

فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اى الحلم وكمال الراى ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة
او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة ولعل اسناد الارادة اولا
الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل
باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له
فى بلوغ الغلامين او لان الاول فى نفسه شر والثالث خير والثانى
ممتزج او لاختلاف حال العارف فى الالتفات الى الوسائط وما فعلته
وما فعلت ما رايته عن امرى عن راى وانما فعلته بامر الله عز وجل
ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما
وهو اصل ممهد غير ان الشرائع فى تفاصيله مختلفة ذلك تاويل
ما لم تسطع عليه صبرا اى ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن
فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم يستحسنه
فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعى
الادب فى المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق
اصراره ثم يهاجر عنه ويسألونك عن ذى القرنين يعنى اسكندر الرومى
ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمى ذا القرنين
او لانه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض فى ايامه قرنان

قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان
ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه
واختلف فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود
سالوه امتحانا او مشركو مكة قل ساتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين
والهاء لذى القرنين وقيل لله تعالى انا مكنا له فى الارض اى مكنا له امره
من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شىء اراده
وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة
فاتبع سببا اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرا الكوفيون
وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب
فى عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرا
ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر حامية اى حارة ولا تنافى بينهما لجواز
ان يكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة
لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره
غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس
رضى الله عنهما سمع معاوية يقرا حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب
الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة
ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش

وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله تعالى بين ان يعذبهم
ويدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب اي
بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم
الشرايع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل
ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه
فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته وظلم نفسه
بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي
في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله
واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين
جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص
جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر
لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او على التمييز وقرئ منصوبا غير منون
على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا
والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن
شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني
لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان
نبي وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا متيسرا غير

غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا
يوصله الى المشرق وقرا الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء
حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة
الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء
فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية
كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك
او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاحسان ويجوز ان يكون
صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك
القبيل الذين تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه
من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره
وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير
ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب
الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده
وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان في اخر الشمال في منقطع
ارض الترك من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم

لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به
حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف
المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة
لغتهم وقلة فطنتهم وقرا حمزة والكسائي لا يفقهون اى لا يفهمون
السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اى قال
مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وقال الذين من دونهم
ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج
من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف
وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرا عاصم
ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون في الارض اى في
ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام
الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل
كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه
من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول
والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان
تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه
من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما

ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة
لي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اى بقوة فعلة
او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا
وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع آتوني
زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج
والاقتصار على المؤنة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر
ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد
والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان ايتاء الالة من الاعانة
بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين
جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر
بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات
من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه التصادف
للتقابل قال انفخوا اى في الاكوار والحديد حتى اذا جعله اى
جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه
قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين
نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ

حذرا من الالتباس وقرأ حمزة وأبو بكر فالأولى موصولة الالف

فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة

بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا

أن يظهروه أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما

استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته وقيل حفر للاساس حتى بلغ الماء

وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها

الحطب والفحم حتى ساوى أعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت

كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار

جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من

حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا هذا السد او الاقدار

على تسويته رحمة من ربي على عباده فإذا جاء وعد ربي

وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة بأن شارف

يوم القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض

مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل أدك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون

دكاء بالمد أي أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة

وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض

وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون

في بعض مزدحمين في البلاد أو يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلفون

انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيامة الساعة

فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين

وأبرزناها وأظهرناها لهم عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء

عن ذكري عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتوحيد والتعظيم

وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط

صممهم عن الحق فإن الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء

كأنهم أصمت مسامعهم بالكلية أفحسب الذين كفروا أفظنوا

والاستفهام للانكار أن يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة

والمسيح من دوني أولياء معبودين نافعهم أو لا أعذبهم به

فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة أو سد أن يتخذوا مسد

مفعولين وقرئ أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم في النجاة

وأن بما في حيزه مرتفع بأنه فاعل حسب فإن النعت اذا اعتمد على

الهمزة ساوى الفعل في العمل أو خبر له إنا أعتدنا جهنم

للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على أن

لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم بالأخسرين

أعمالا نصب على التمييز وجمع لأنه من أسماء الفاعلين

او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل
لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخريهم ومحله
الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم
على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقران او بدلائله المنصوبة
على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه
فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم
ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله
جزاؤهم جهنم جملة مبينة ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة
خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره
او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي
ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده
والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل
خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون
اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود

قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء
كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه
وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه
قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو
جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان
مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام
لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي
ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا
بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها
ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم
لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد
وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يامل حسن لقائه
فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه
احدا بان يرائيه ويطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه
احد سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له

وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما
التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من قراها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلالؤ الى مكة
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه
بمكة كان له نورا يتلالؤ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك
ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه
ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء سورة مريم مكية الا آية السجدة
وهي ثمان او تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال ابو عمرو الهاء
لان الفات اسماء التهجي ياءات وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر
كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند
الذال والباقون يدغمونها ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول
بالسورة او القران فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر
رحمة ربك او مبتدا حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة
على الماضي وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة
فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان

له اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان
والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد
في ابان الكبر والشيخوخة او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان
ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون
وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب اني وهن
العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه
دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما
وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم
والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث واشتعل الراس شيبا
شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه
في الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الراس
الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود
واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد
يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك
استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه
على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى
عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ يعني بني عمه لانهم كانوا اشرار بني اسرائيل فخاف

ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم مِنْ وَرَائِي

بعد موتي وعن ابن كثير المد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف

او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون الامر

من ورائي وقرى خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا من اقامة الدين

بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت

وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا لا تلد فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ فان مثله

لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي لا يصلح للولادة

وَلِيًّا من صلبي يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ صفتان له وجزمهما

ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم

فان الانبياء عليهم الصلوة والسلام لا يورثون المال وقيل يرثني

الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن

اسحاق عليهما الصلوة والسلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن

ماثان من نسل سليمان عليه الصلوة والسلام وقرئ يرثني وارث آل

يعقوب على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لصغره ووارث

من آل يعقوب لانه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد

عن المذكور اولا مع انه المراد وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ترضاه قولا



وعملا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى جواب لندائه

ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لَمْ نَجْعَلْ لَهُ

مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا لم نسم احدا بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية

بالاسامي العربية تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى

هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه

اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به

لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قَالَ رَبِّ أَنَّى

يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا

جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي

الضمتين والواوين فكسروا التاء وانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت

الثانية وادغمت وقرا حمزة والكسائي وحفص عتيا بالكسر

وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه

كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قَالَ

اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كَذَلِكَ الامر كذلك

ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال في قَالَ رَبُّكَ وذلك اشارة

الى مبهم يفسره هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو علي

هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون علي او كما وعدت

وهو علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني
محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا
وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرا حمزة والكسائي وقد خلقناك
قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال
آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا سوي الخلق ما بك
من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة
على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام
ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى
اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض
ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله
كان مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون
مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب
التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا
يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله تعالى عقله
في صباه واستنباه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة
وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة
وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله تعالى به على ابويه او

او وفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي
وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي
ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان
بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث
حيا من عذاب النار وهول القيامة واذكر في الكتاب في القرآن
مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال
لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها
وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل
اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فيكون بدلا لا محالة
من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك
اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول به لان انتبذت
متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا ستر فارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرفة للاغتسال
من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها
اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبريل
عليه الصلوة والسلام متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق
لتستانس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها

قالت إني أعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها إن كنت تقيا تتقي الله وتحتفل

بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة

منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة

اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك

قال إنما أنا رسول ربك الذي استعذت به لأهب لك غلاما

لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله تعالى

ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا

من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح

قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال

فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر

ونحو ذلك ويعضده قوله ولم أك بغيا عليه فهو فعول من البغي

قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم يلحقه التاء

او فعيل بمعنى فاعل ولم يلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق

قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اي ونفعل ذلك لنجعله

او لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وقيل عطف على لاهب على طريقة الالتفات

آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد

يهتدون بارشاده وكان أمرا مقضيا تعلق به قضاء الله تعالى في الازل



في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل

لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها

وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود

وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة

وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت

وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور

في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار

فأجاءها المخاض فالجأها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه

خص به في الاستعمال كآتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت

المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج إلى جذع النخلة لتستتر به

وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة

يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت وقت شتاء والتعريف اما

للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى

ألهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي

هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء

من الناس ومخافة لومهم وقرئ مت من مات يموت وكنت نسيا

ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص

بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ وبالهمزة وهو الحليب المخلوط
بالماء ينسوه اهله لقلته مَنْسِيًّا منسيّ الذكر بحيث لا يخطر ببالهم
وقرئ بكسر الميم على الاتباع فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا عيسى عليه الصلوة والسلام
وقيل جبريل عليه الصلوة والسلام كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها

ذكره بصيغة التمريض لان ذلك الموضع موضع اللوث والنظر الى العورة ولا يليق بالملائكة

وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح مِنْ تَحْتِهَا بالكسر والجر على ان في
نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة أَلَّا تَحْزَنِي اى لا تحزني
او بان لا تحزني قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا جدولا هكذا روي مرفوعا
وقيل السري السيد من السرو وهو عيسى عليه الصلوة والسلام وَهُزِّي إِلَيْكِ
بِجِذْعِ النَّخْلَةِ واميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي الهز اى
الامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تَسَاقَطْ عَلَيْكِ
تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرا يعقوب بالياء
وحفص تُسَاقِطْ من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتُسقط و
تَسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رُطَبًا جَنِيًّا تمييز او مفعول روى
انها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها
فجعل لها راسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة
على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة
لمن رآها على ان من قدر على ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل

وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب
عليه امرين فقال فَكُلِي وَاشْرَبِي اى من الرطب وماء السري او من الرطب
وعصيره وَقَرِّي عَيْنًا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ
وقِرّي بالكسر وهو لغة واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر
النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة
ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنها للمكروه
فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول
لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا
صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
إِنْسِيًّا بعد ان اخبرتك بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم
بنذرها بالاشارة وامرها الله تعالى بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام
عيسى عليه الصلوة والسلام فانه قاطع في قطع الطاعن فَأَتَتْ بِهِ مع ولدها
قَوْمَهَا راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ
جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا اى بديعا منكرا من فرى الجلد اذا قطعه يَا أُخْتَ هَارُونَ
يعنون هارون النبي عليه السلام وكانت من اعقاب من كانت معه في طبقة
الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح
او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما راوا قبل من صلاحها او شتموها به

ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاء به
فرى وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه
الى عيسى عليه الصلوة والسلام اى كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من
كان فى المهد صبيا ولم نعهد صبيا فى المهد كلمه عاقل وكان زائدة
والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله تعالى
وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال انى عبد الله انطقه الله تعالى به اولا
لانه اول المقامات والرد على من يزعم ربوبيته آتانى الكتاب
يعنى الانجيل وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا نفاعا معلما للخير
والتعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ما سبق فى قضائه او بجعل المحقق
وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله تعالى عقله واستنبأه طفلا اينما حيث
كنت واوصانى وامرنى بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته
او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتى وبارا بها
عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل
عليه اوصانى اى وكلفنى برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة
ولم يجعلنى جبارا شقيا عند الله تعالى من فرط تكبره والسلام
على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما على يحيى عليه الصلوة
والسلام والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه

على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم
كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من
كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم اى الذى تقدم نعته هو عيسى
بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه
الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه
ثم عكس الحكم قول الحق خبر مبتدأ محذوف اى هو قول الحق الذى لا ريب
فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة
وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم
وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق
وهو بمعنى القول الذى فيه يمترون فى امره يشكون او يتنازعون
فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب
ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه
لله تعالى عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم
بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة
فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب
وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره فى سورة
آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة

فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى
نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض
ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين
كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه
وجزاؤه وهو يوم القيامة او من وقت الشهود او من مكانه فيه
او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء
والسنتهم وارابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها
وقيل هو ما شهدوا به في عيسى عليه السلام وامه اسمع بهم وابصر
تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا اي يوم القيامة
جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا او التهديد
بما سيسمعون وسيبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم
مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع
الرفع وعلى الثاني النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
اوقع الظالمين موضع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا
الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين
وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن
على قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقين الى

الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة
وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما
اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فتكون حالا متضمنة
للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها
وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك
توفي الوارث لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب
ابراهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق
به من غيوب الله تعالى واياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله
تعالى اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او
بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك
لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى
خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى
وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب
حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به
العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم
ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق

المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل
لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر
ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق
كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة
فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق
القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا
بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني
اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم
الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه
عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة
عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان
استهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك
المولى للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم
ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم
وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه
فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا قرينا في اللعن او العذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه

فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله تعالى اكبر من الثواب وذكر الخوف
والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره
على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه
ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم عليه الصلوة والسلام
وذريته منبه عليها قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم قابل استعطافه
ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل
يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس
الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال
لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك
بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني
عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا
طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع
ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول
لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك
للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق
لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا
بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله

بالمهاجرة (بدينى) وادعو ربى واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء
ربى شقيا خائبا ضايع السعى مثلكم فى دعاء الهتكم وفى تصدير الكلام
بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل
غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما
يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب
بدل من فارقهم من الكفرة وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران
وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما
بالذكر لانهما شجرتا الانبياء عليهم السلام او لانه اراد ان يذكر اسماعيل بفضله
على الانفراد وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وكلا منهما او منهم وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا
النبوة والاموال والاولاد وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا يفتخر
بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لى لسان صدق فى الاخرين
والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق
وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان
محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل
واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته
عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه
وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله تعالى اخلصه وكان رسولا نبيا ار

ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع
انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته
اليمنى من اليمين وهى التى تلى يمين موسى عليه الصلوة والسلام
او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة
وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا
مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع
لما روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له
من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة
اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لى وزيرا من اهلى فانه كان
اسن من موسى السلام وهو مفعول او بدل على تقدير ان يكون من للتبعيض
هارون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر فى الكتاب
اسماعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف
باشياء فى هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك وعد الصبر على الذبح
فقال ستجدنى ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا
يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم
عليه الصلوة والسلام كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة
والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو

اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
وأمر اهلك بالصلوة وقوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته
فان الانبياء عليهم الصلوة والسلام اباء الامم وكان عند ربه
مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر فى الكتاب ادريس
وهو سبط شيث عليه السلام وجد ابى نوح عليه السلام واسمه
اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد
ان يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه
اذ روى انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم
ونظر فى علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا
عليا يعنى شرف النبوة والزلفى عند الله تعالى وقيل الجنة وقيل
السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين
فى السورة من زكريا الى ادريس عليهما الصلوة والسلام الذين انعم الله
عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين بيان
للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من
للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا
مع نوح اى ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس
فان ابراهيم عليه الصلوة والسلام كان من ذرية سام بن نوح عليه الصلوة و

والسلام ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم
اى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى
وعيسى عليهم الصلوة والسلام وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية
وممن هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق واجتبينا للنبوة والهداية
والكرامة اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر اولئك
ان جعلت الموصول صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم
من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة فى شرف وكمال النفس
والزلفى من الله عز وجل وعن النبى صلى الله عليه وسلم اتلوا القران
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجود فى جمع ساجد
وقرئ يتلى بالياء لان التانيث غير حقيقى وقرأ حمزة والكسائى وبكيا
بكسر الباء فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب
سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة
تركوها او اخروا عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال
نكاح الاخت من الاب والانهماك فى المعاصى وعن على رضى الله تعالى عنه
واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور
فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغى لائما او جزاء غى كقوله يلق اثاما او غيا

عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب
وآمن وعمل صالحا يدل على ان الاية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون
شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر
وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن
بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه
خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة
كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب
اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم
بالغيب انه كان وعده الذي هو الجنة مأتيا يأتيها اهلها
الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا
لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون
قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة او تسليم بعضهم
على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون
لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
او ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا
وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط

والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره
تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم
كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ مستعمل في التمليك و
الاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط
وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة
في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك
حكاية قول جبريل عليه الصلوة والسلام حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما
يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين
حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول
على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل
بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه
حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن او الاحايين لا ننتقل من مكان
الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان
ربك نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن
عن ترك الله تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه

وقيل اولا الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة
الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة
فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير
من الله تعالى لقولهم اى وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب
عليها فقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه
وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه اى لما عرفت ربك بانه لا ينبغى له
ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء
الوحى وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد
عليه من الشدايد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له
سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا
الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته تعالى وتعالى ذاته
عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا صح ان لا احد
مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته
والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان
المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا
والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابى بن خلف فانه

اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت
ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم
الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة
وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها
وهى ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام
فى يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان
اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان عطف
على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان
يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه
انما نشا منه فانه لو تذكر وتأمل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا
بل كان عدما صرفا لم يقل بذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل
ما كان فيهما من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر
من الذكر الذى يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم
اقسام باسمه مضافا الى نبيه عليه الصلوة والسلام تحقيقا للامر وتفخيما لشأن
الرسول صلى الله عليه وسلم والشياطين عطف او مفعول معه لما روى ان
الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل كافر مع شيطانه
فى سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا

ونبهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم
ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء
ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب
وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع المواقف
للحساب قبل التواصل الى الثواب واهل الموقف جاثون لقوله تعالى وترى كل امة
جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم
يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة لهم او لعجزهم عن القيام
لما عراهم من الشدة وقرا حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم ثم لننزعن من كل
شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان
اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا
من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم
ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني
على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل
وبعض للزومه الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب
المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهام
خبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم
ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة



مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض
كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى يشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء
في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي نحن اعلم بالذين هم اولى
بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم
عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرا حمزة
والكسائي وحفص صليا بالكسر وان منكم وما منكم التفات الى الانسان
ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها
يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضي الله تعالى عنه
انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم
اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة
واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها
الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان
ورودهم واجبا اوجبه الله تعالى على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن
خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرا الكسائي
ويعقوب بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين فيها
جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالجثو حواليها وان المؤمنين
يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم

واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعانى بنفسها
او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او واضحات الاعجاز قال الذين
كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اى الفريقين المؤمنين والكافرين
خير مقاما موضعا ومكانا وقرا ابن كثير بالضم اى موضع اقامة ومنزل
واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات
وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا فى الافتخار بما لهم من حظوظ
الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم
عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم
ذلك ايضا مع التهديد بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا
ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمى اهل كل عصر قرنا لانه
يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت
وقيل هو ما جد منه والخرثى ما رث والرئى المنظر فعل من الرؤية كالطحن
الرث الشي البالي
والخبر وقرا نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الرى
الذى هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا
من الزى وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام
وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون فى الاخرة بقوله قل من كان فى الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع وانما اخرجه على لفظ الامر

الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغى ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله
انما نملى لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين
امنوا اى الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما
الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين
عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه
من الخزى والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين
بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا
عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا
اى فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه
القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان
امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور
حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله تعالى اراد به ما هو خير وعوضه
منه وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كانه قيل من كان فى الضلالة
يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية والباقيات الصالحات
الطاعات التى تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل من صلوات الخمس

وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك
ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون
بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار
اليه بقوله وخير مردا والخير هنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة
قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره منه فى برده افرايت الذى
كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت فى العاص بن وايل كان
لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا اقضيك حتى تكفر بمحمد قال لا والله
لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئنى فيكون لى
ثمة مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارايت
بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث
اولئك وقرأ حمزة والكسائى وُلدًا وهو جمع وَلَد كأُسْد فى أَسَد
او لغة فيه كالعُرب والعَرب وقرئ وِلدا بالكسر اطلع الغيب اقد
بلغ من عظم شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار
حتى ادعى ان يؤتاه فى الآخرة مالا وولدا وتالى عنه ام اتخذ عند الرحمن
عهدا او اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به
الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح
فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على

على انه مخطئ فيما يصوره لنفسه سنكتب ما يقول سيظهر له انا
كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة اى تبين
انى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها
عليه فان نفس الكتبة لا تتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب
ما يستاهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه
على الله تعالى ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه
بموته ما يقول يعنى المال والولد ويأتينا يوم القيامة
فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة
زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله
آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة
الى الله تعالى وشفعاء عنده تعالى كلا ردع وانكار لتعززهم بها
سيكفرون بعبادتهم سيجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما
عبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة
انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا و
يكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز
اى ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة فى عذابهم

بان يوقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا
يعبدونها و توحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشىء الواحد
ونظيره قوله عليه الصلوة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين
على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله اقلى اللوم عاذل والعتابن
او على معنى كل هذا الراى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون كلا
سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم
عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصى
بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق
على ما نطقت به الايات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى
تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما
نعد لهم ايام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام
محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم
الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شان ولعله ان مساق
الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين بها والكافرين بها وفدا
وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق
المجرمين كما يساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء

الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التى ترد الماء لا يملكون
الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو
الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى
بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل
الصالح على ما وعد الله تعالى او الا من اتخذ من الله اذنا فيها لقوله
الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره
ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اى الا شفاعة
من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون
الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له
بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين
لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم
شيئا ادا على الالتفات للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجراة
على الله تعالى والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة
وادنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم على تكاد السموات وقرا نافع
والكسائى بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرا ابو عمرو
وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل
مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق

الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد
اى تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو
تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتت من شدتها
او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوايمه
غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة
لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام
او بالابدال من الهاء فى منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك
ان دعوا او فاعل هدا اى هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى
المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل ما دعى له ولدا او من دعا
بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغى للرحمن ان يتخذ
ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل
ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه
فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه
ولدا ثم صرح به فى قوله ان كل من فى السموات والارض اى ما منهم
الا آتى الرحمن عبدا الا وهو مملوك له ياوى اليه بالعبودية والانقياد
وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم حصرهم واحاط بهم
بحيث لا يخرج عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم

وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة
فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا
ولا يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم
الرحمن ودا سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها
وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت
فلانا فاحبه فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادى فى اهل السماء ان الله
قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة فى الارض
وعن قتادة رضى الله عنه ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه
والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعد ذلك
اذا دجا الاسلام او لان الموجود فى القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد
فينزع ما فى صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك
والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا اى انزلناه بلغتك لتبشر
به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة
آخذين فى كل لديد اى شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم
اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه وسلم
على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراهم
او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفى واصل التركيب هو الخفاء

ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز للمال المدفون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب
زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها عليهم
الصلوة والسلام وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم
الطاء وحدها ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهما
من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله
يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله
ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين
ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر
للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده
على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا
كقوله لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل
ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد
ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين
وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ

على انه مؤول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته
مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية
باضمار مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب
بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد
والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم
اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب
للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن
انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء
المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل تشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له
لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال
من الكاف او القرآن او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن
اي ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن في قلبه
خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه ان يخشى بالتخويف منه فانه
المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة
ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه
ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له
الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب

الذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التى هى اصول العالم وقدم الارض
لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى
ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش واجرى منه
الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته
حكمته فتعلقت به مشيته فقال الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات
وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته
ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى
بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر
واخفى اى وان تجهر بذكر الله تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غنى عن جهرك
فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء
والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال
بغيره وهضمها بالتضرع والجوار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية
بين انه المتفرد بها المتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى ومن فى ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم
الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير
الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه
على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان



يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن
بالنصب على المدح وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى
خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا
ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تانيث
الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان
هى اشرف المعانى وافضلها وهل اتيك حديث موسى قفا تمهيد نبوته
عليه الصلوة والسلام بقصة موسى عليه السلام ليأتم به فى تحمل اعباء النبوة
وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدايد فان هذه السورة من اوائل
ما نزل اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل
انه استاذن شعيبا عليه السلام فى الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى
وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت
ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من الطور نارا
فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا
وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسر الهاء فيه انى آنست نارا
ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يونس به لعلى
آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى
هاديا يدلنى على الطريق او يهدينى ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها

في كل ما يعن لهم ولما كان حصولها مترقبا بنى الامر فيها على الرجاء
بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بانى ليوطنوا انفسهم عليه
ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب
منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتيها
اى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودى يا موسى انى انا
ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اى بانى وكسره الباقون باضمار القول او اجراء
النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد او لتحقيق المعرفة قيل انه لما نودى
قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان
فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء
وهو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام
لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة
فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف
حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل
معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالوادى المقدس تعليل للامر
باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادى
او المطهر او المبارك
ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطى مصدر
لنودى او المقدس اى نودى نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصـ



اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذى يوحى اليك
او للوحى واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا
فاعبدنى بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم
والامر بالعبادة التى هو كمال العمل واقم الصلوة لذكرى خصها
بالذكر وافردها بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهى تذكر المعبود
وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها في الكتب
وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكرى خاصة لا ترائى بها ولا تشوبها
بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة او لذكر صلاتى
لما روى انه عليه الصلوة والسلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها
اذا ذكرها ان الله يقول واقم الصلوة لذكرى ان الساعة آتية كائنة لا محالة
اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية
ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به
او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه
اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى
الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة من
لا يؤمن بها نهى الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها
كقوله لا اريتك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها اختارها

ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون
بسبب ضعفه فيه وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة
فقصر نظره عن غيرها فَتَرْدَى فتهلك بالانصداد بصده وَمَا تِلْكَ
استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بِيَمِينِكَ حال من معنى
الاشارة وقيل صلة تلك يَا مُوسَى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه
قَالَ هِيَ عَصَايَ وقرئ عَصَيَّ على لغة هذيل أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا اعتمد عليها
اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي واخبط الورق
بها على رؤس غنمي وقرئ أَهِشُّ وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته
وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها
وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى حاجات أُخَر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه
فعلق بها اداوته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء
واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه
قاتل بها فكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يتذكر
حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا راها بعد ذلك على خلاف تلك
الحقيقة ووجد فيها خصايص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل
شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول
البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها

ينزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك ايات باهرة ومعجزة
قاهرة احدثها الله تعالى فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها
مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه
الغرض الذي فهمه قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى
لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك
سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية
اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان
وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ فانه
لما راها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا الْأُولَى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فِعْلة من السير
تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد
منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اى سنعيدها في طريقتها
او على تقدير فعلها اى سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى
فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمانت نفسه
حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ الى جنبك
تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي
الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تَخْرُجْ بَيْضَاءَ كانها مشعة

مِنْ غَيْرِ سُوْءٍ من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة
لان الطباع تعافه وتنفر عنه آيَةً أُخْرَى معجزة ثانية وهي حال من ضمير
تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا
الْكُبْرَى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه اية او القصة اى دللنا بها
او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة اياتنا او مفعول لنريك ومن اياتنا
حال منها اِذْهَبْ اِلَى فِرْعَوْنَ بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة
اِنَّهُ طَغَى عصى وتكبر قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
لما امره الله تعالى بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه
بتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر له
باحداث الاسباب ودفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا
ثم رفعه بذكر الصدر والامر ثانيا تاكيدا ومبالغة وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ
لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة
من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها
فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمرة والياقوت
فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبيضّ يده ذلك لذلك
وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال
الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة

العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل
احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول
بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها
وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان
صلة احلل وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي يعينني على ما كلفتني
واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر
وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره وقيل اصله
أزير من الأزر بمعنى القوة فعيل بمعنى الفاعل كالعشير والجليس قلبت همزتها
واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهارون قدم ثانيهما
للعناية به ولي صلة او حال او لي وزيرا وهارون عطف بيان للوزير
او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه
بدل من هارون او مبتدأ خبره اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي
على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر
الخير وتزايده اِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا عالما باحوالنا وان التعاون مما
يصلحنا وان هارون نعم المعين لي فيما امرتني به قَالَ قَدْ أُوتِيتَ
سُؤْلَكَ يَا مُوسَى اى مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز

والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك فى وقت آخر

اذ اوحينا الى امك بالهام او فى منام او على لسان نبى فى وقتها او ملك

لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحى

او مما ينبغى ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه

فى التابوت بان اقذفيه او اى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول فاقذفيه

فى اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم

الرعب وكذلك الرمى كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم

بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة

به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب وهو فليلقه

مخرج الامر والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى عليه السلام مراعاة للنظم

والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى

عليه السلام بالعرض ياخذه عدو لى وعدو له جواب فليلقه

وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع

قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته فى اليم

وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة

فى البستان وكان فرعون جالسا على راسها مع امراته آسية بنت مزاحم

فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال

---

والقيت عليك محبة منى اى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب

بحيث لا يكاد عنك يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق

منى بالقيت اى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه

بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول

الساحل بجنب فوهة نهر ولتصنع على عينى ولتربى ويحسن اليك وانا

راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة

السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها

والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اى وليكون عملك على عين منى لئلا يخالف

به عن امرى اذ تمشى اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا

على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان

لا يقبل ثدى المراضع فجاءته اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له

مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك

الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كى تقر عينها بلقائك

ولا تحزن هى بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا

نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى فنجيناك من الغم غم قتله

خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين

وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة

على ترك الاعتداد بالشتاء لعجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد
اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف
والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق
ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبث فيهم عشر سنين قضاء لاوفى
الاجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته
لان اكلمك واستنبئك غير متقدم وقته المعين ولا متأخرا وعلى مقدار
من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية في الحكاية
للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله
من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك
باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء
في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الى
اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا
تكرير قيل اوحى الى هارون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله
فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى
فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان يحمله الحماقة على ان يسطو
عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث
كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده

بعده وملكا لا يزول الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا
او فقولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي
مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد
مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك
من الايات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم
يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف
ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار
المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس
اي الذين يردون الماء
فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف
ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة
بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا
فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب
قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما
وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي
لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سامعا ومبصرا والحافظ
اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا انا رسولا ربك
فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة

وقيل الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم
في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك
دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز
للتدريج في الدعوة قد جئناك بآية من ربك جملة مقررة لما تضمنه
الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان
لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها
وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية اولو جئتك بشيء مبين
والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين
او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى
ان عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد
والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال
فمن ربكما يا موسى اي بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف
لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين
وخص موسى بالنداء لانه الاصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه
او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه
قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي
اعطى كل شيء من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن
له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني
لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا
وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني
محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق
بما اعطى وكيف يتوصل الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية
البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته
على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه
مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي
كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون
الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي
اي انه غيب لا يعلمه الا الله تعالى وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما
اخبرني به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا
لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي
ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان
ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات
ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها
وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه تعالى

بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادى مدتهم
وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب
ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذى جعل
لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربى او خبر لمحذوف او منصوب على المدح
وقرا الكوفيون هنا وفى الزخرف مهدا اى كالمهد تتمهدونها وهو مصدر
سمى به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك
لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى
تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا
فاخرجنا به عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى
تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه
مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيته تعالى وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا
اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات
بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات
فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت
كمريض ومرضى اى متفرقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها

وبعضها للبهائم ولذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير
فاخرجنا على ارادة القول اى اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا
والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه إن فى ذلك
لآيات لأولى النهى لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل
وارتكاب القبائح جمع نهية ومنها نخرجكم تارة أخرى بتأليف
اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد
الارواح اليها ولقد أريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه
صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد
بآياتنا آيات معهودة وهى الآيات التسع المختصة بموسى عليه السلام
او انه عليه السلام اراه آياته وعد عليه ما اوتى غيره من المعجزات
فكذب موسى من فرط عناده وأبى الايمان والطاعة لعتوه
قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا
تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه
فان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك
بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا
لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان
والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به

فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه
وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة
من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه
في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو
على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يومَ بالنصب وهو ظاهر
في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا
واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم عيد
كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد
ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم
او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان
فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون
فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد
قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته سحرا
فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستاصلكم به وقرا حمزة والكسائي
وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت
لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال

واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت
السحرة في امر موسى عليه الصلوة والسلام حين سمعوا كلامه فقال بعضهم
ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا
اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى عليه الصلوة
والسلام وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله
قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا
في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة
بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا
وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان
بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ
وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام
لا يليق به الحذف وقرا ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص
ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى
الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما
ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار
مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا
اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم

لقول موسى عليه الصلوة والسلام ارسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة
اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فأجمعوا
كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم
وقرا ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان
للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب
في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا
عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب
من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون
اول من القى بعد ما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل
مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اى اختر القاءك اولا او القاءنا او
الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب
وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء
بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما
معهم ويستفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله تعالى سلطانه
فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه
من سحرهم انها تسعى اى فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق
انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها



لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى
فالقوا ففاجأ موسى عليه الصلوة والسلام وقت تخييل سعي حبالهم
وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها
الشمس تخيل اليه انها تتحرك وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان
وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى
منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل بالياء على اسناده الى الله تعالى وتخيل بمعنى
تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجئته
على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه
قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير
لغلبته مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف
الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل
والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال
بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يدك او تعظيما لها اى لا
تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها
اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله
تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب
على اسناد الفعل الى المسبب وقرا ابن عامر برواية ذكوان بالرفع على الحال

او الاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى
تلقفته انما صنعوا ان الذى زوروا وافتعلوا كيد ساحر
وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة والكسائى
سحر بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر
للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك
قال ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف
كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في سعى دنيا طالما قد مدت
كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحرى حيث اتى حيث كان واين اقبل
فالقى السحرة سجدا اى فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر
وانما هو من ايات الله تعالى ومعجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا
لله تعالى توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا امنا برب هرون
وموسى قدم هارون لكبر سنه او لروى الاية او لان فرعون ربى موسى
في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هارون
على الاستتباع روى انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال امنتم له
اى لموسى واللام لتضمين معنى الاتباع وقرا قنبل وحفص امنتم له على الخبر
والباقون على الاستفهام قبل ان اذن لكم في الايمان له انه لكبيركم
لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذى علمكم السحر وانتم

وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان
القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها
في حيز النصب على الحال اى لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن
ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه
تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب
ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى عليه السلام لقوله امنتم له
واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى عليه
السلام والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى
الذى امنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن
نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون
الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذى
فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت
قاض اى صانعه او حاكم به انما تقضى هذه الحيوة الدنيا
انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه وللاخرة خير وابقى
فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه
الحيوة كقولك صيم يوم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا

من الكفر والمعاصي وما أكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة
روي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا
فقالوا ما هذا بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه
والله خير وأبقى جزاء أو خير ثوابا وأبقى عقابا إنه أن الأمر
من يأت ربه مجرما بأن يموت على كفره وعصيانه فإن له جهنم
لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة مهنأة ومن يأته
مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فأولئك لهم الدرجات العلى
المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الإشارة أو الاستقرار
وذلك جزاء من تزكى تطهر من أدناس الكفر والمعاصي والآيات
الثلاث يحتمل أن تكون من كلام السحرة وأن تكون ابتداء كلام من الله
ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي أي من مصر فاضرب لهم
طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما أو فاتخذ من ضرب
اللبن إذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا
ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة
يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو إما مخفف منه أو وصف على فعل
كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كأن قتور

كأن قتور رحلي حين ضمت جوالب غرزا ومعا جياعا أو لتعدده
معنى فإنه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور
أي آمنا من أن يدرككم العدو أو صفة ثانية والعائد محذوف
وقرأ حمزة لا تخف على جواب الأمر ولا تخشى استيناف أي وأنت
لا تخشى أو عطف عليه والألف للإطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا
أو حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فأتبعهم فرعون بجنوده
وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام خرج بهم أول الليل فأخبر
فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده
فحذف الثاني وقيل فأتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء
للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهم جنوده وزادهم خلفهم
فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده أو له ولهم وفيه مبالغة
ووجازة أي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه إلا الله وقرئ
فغشاهم ما غشاهم أي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى
أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورطهم للهلاك وأضل فرعون
قومه وما هدى أي أضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به
في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أو أضلهم في البحر وما نجا
يا بني إسرائيل خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون

على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه
وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة وانزال التورية عليه
وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى عليه السلام او له وللسبعين
المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه
كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلالاته وقرأ حمزة والكسائي
انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء ووعدتكم ووعدناكم
والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم
بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع
عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من
حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى
فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل
ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب
عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى
ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى
سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها
انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى

موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء
على اثري ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس
بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا
وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء
بعهدك توجب مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك
ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم
مع هارون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثني
عشر الفا واضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته
وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا
وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها
بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان
هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك
اخبارا من الله تعالى عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع
الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيته والسامري منسوب الى قبيلة
من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من
اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه
بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا

حزناً بما فعلوه قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعداً حسناً بان يعطيكم
فيها هدى ونوراً افطال عليكم العهد اى الزمان يعنى زمان مفارقته
لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما
هو مثل فى الغباوة فاخلفتم موعدى وعدكم اياى بالثبات على الايمان
بالله تعالى والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت
الخلف فيه اى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين
وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم
له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا
وامرنا ولم يسول لنا السامرى لما اخلفناه وقرا نافع وعاصم بملكنا
بالفتح وحمزة والكسائى بالضم وثلاثتها فى الاصل لغات فى مصدر
ملكت الشئ ولكنا حملنا اوزاراً من زينة القوم احمالاً من حلى
القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس
وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا
به وقيل هى ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم
سموها اوزاراً لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم
كانوا مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربى فقذفناها اى
فى النار فكذلك القى السامرى اى ما كان معه منها روى انهم لما حسبوا

ان العدة قد كملت قال لهم السامرى انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم
من حلى القوم وهو حرام عليكم فالراى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها ناراً
ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرا ابو عمرو والكسائى وروح حملنا
بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلاً جسداً من تلك الحلى المذابة له
خوار صوت العجل فقالوا يعنى السامرى ومن افتتن به اول ما رآه
هذا الهكم واله موسى فنسى اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند
الطور او فنسى السامرى اى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان
افلا يرون افلا يعلمون الا يرجع اليهم قولاً انه لا يرجع
اليهم كلاماً ولا يرد عليهم جواباً وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف
لان أن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً
ولا يقدر على انفاعهم ولا اضرارهم ولقد قال لهم هارون من قبل
من قبل رجوع موسى او قول السامرى كانه قال اول ما وقع عليه بصره
حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به
بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعونى واطيعوا امرى فى الثبات
على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين
حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الجواب الاول قال يا هارون
اى قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل

أن لا تتبعنِ ان تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به او

تأتي عقبي وتلحقني و لا مزيدة كما في ما منعك ان لا تسجد أفعصيت أمري

بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن أمّ خص الام استعطافا و

ترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الامّ والجمهور على انهما كانا من اب و أم

لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اى بشعر راسي قبض عليهما يجره اليه من شدة

[اخذ شعره بيمينه ولحيته بشماله كوانج]

غيظه و فرط غضبه لله تعالى وكان عليه الصلوة والسلام حديدا خشنا

متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين راى يعبدون العجل إني خشيت أن تقول

فرقت بين بني إسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي

حين قلت اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة

بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برايك قال فما خطبك يا سامري

اى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اى ما طلبك له وما الذي حملك

عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرأ حمزة

والكسائي بالتاء على الخطاب اى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له

وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه

او رايت ما لم يروه وهو ان جبريل عليه السلام جاءك على فرس الحيوة قيل انما

عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل عليه السلام

يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من أثر الرسول من تربة موطئه

موطئه والقبضة المرة من القبض واطلق على المقبوض كضرب الامير

وقرئ بالصاد والاول الاخذ بجميع الكف والثاني الاخذ باطراف

الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عليه السلام ولعله

[الاكل بجميع الفم] [الاكل بمقدم الفم]

لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين

ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها في الحلي المذابة او في جوف

العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي سولته زينته وحسنته لي

قال فاذهب فإن لك في الحيوة عقوبة على ما فعلت أن تقول لا مساس

خوفا من ان يمسك احد فتاخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك

وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم

للمسة وإن لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفك الله تعالى

وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان

بكسر اللام اى لن تخلف الواعد اياه وستأتيه لا محالة فحذف المفعول

الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا

وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله تعالى وانظر إلى إلهك الذي

ظلت عليه عاكفا ظلت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا

وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اى بالنار ويؤيده

قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق او برد بالمبرد ويعضده

قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رماداً او مبروداً وقرئ
بضم السين في اليم نسفاً فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك
زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما
الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد
يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شئ علماً
وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان
حيا في نفسه كان مثلاً في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علماً
على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى
فلما عدى الفعل بالتضعيف الى مفعولين فصار مفعولا كذلك مثل
ذلك الاقتصاص يعني قصة موسى عليه السلام نقص عليك من انباء ما
سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة
في علمك وتكثيراً لمعجزاتك وتنبيهاً وتذكيراً للمستبصرين من امتك
وقد اتيناك من لدنا ذكراً كتابا مشتملا على هذه القصص والاخبار
حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكراً جميلاً
وصيتاً عظيماً بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي هو القرآن
الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تعالى فانه يحمل يوم القيمة
وزراً عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزراً تشبيهاً في ثقلها



في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره
او اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد
في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيمة حملاً اي بئس لهم
ففيه ضمير مبهم يفسره حملاً والمخصوص بالذم محذوف واي ساء حملاً وزرهم
واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذي
فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملاً ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ
في الصور وقرا ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيماً له
او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضميراً لله تعالى او ضمير اسرافيل
عليه الصلوة والسلام وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصُوَر
وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ
يحشر المجرمون زرقاً زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوء الوان
العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق
ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين
او عمياً فان حدقة تزراق يتخافتون بينهم يخضعون اصواتهم
لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه
ان لبثتم الا عشراً اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها
او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدايد وعلموا

انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات او فى القبر
لقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة الى آخر الاية
نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة
اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون
اشد تقالا منهم ويسألونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل
عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربى نسفا يجعلها كالرمل
ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها والارض
واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها
من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاؤها على صف
واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت
فيها بالقياس الهندسى وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار
الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر
وهو يخص المعانى والامت هو النتوء اليسير وقيل لا ترى استيناف
مبين للحالين يومئذ اى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت
النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة يتبعون الداعى
داعى الله الى المحشر قيل هو اسرافيل عليه الصلوة والسلام يدعو الناس
قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له

له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن
وخضعت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت
اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء من
الشفاعة اى الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اى الا من اذن
فى ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية
وعلى الثانى منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن
ومن الأذن ورضى له قولا اى ورضى لمكانه عند الله تعالى قوله
فى الشفاعة او رضى لاجله قول الشافع فى شأنه او قوله لاجله وفى شأنه
يعلم ما بين ايديهم ما تقدم من الاحوال وما خلفهم وما
بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم
بمعلوماته تعالى وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما
فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه
للحى القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى
فى يد الملك القهار وظاهرها يقتضى العموم ويجوز ان يراد بها
وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل
ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم

ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان
شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب
مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم
وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي
وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل هذه الآيات
المتضمنة للوعيد انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا
فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي
فتصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين
يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث
الى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل
كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه
الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته
او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه
نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل عليه السلام ومساوقته في القراءة
حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ
ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه وقل رب زدني علما اي سل الله تعالى
زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا

وفي النسيان قولان احدهما المراد هو نقيض الذكر وانما عوتب على ترك التحفظ والمبالغة في الضبط حتى تولد منه النسيان والثاني ان المراد بالنسيان الترك وانه ترك ما عهد اليه من ترك الاكل [illegible] كبير

الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه
وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم
عليه الصلوة والسلام على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان
اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل
هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به
من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات على الامر
اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعله
ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه
وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ
ولم يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه
وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت
ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة فسجدوا الا ابليس قد سبق
القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار
وعلى هذا لا يقدر مفعوله مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى
اظهر الاباء عن الطاعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك

فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لإخراجكما والمراد نهيهما من ان يكونا
بحيث يتسبب الشيطان لاخراجهما من الجنة فتشقى افرده باسناد
الشقاء اليه بعد اشتراكهما فى الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها
من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لأن المراد بالشقاء
التعب فى طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله إن لك
ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه
عن الثياب — اى لا يصيبكم حر الشمس
بيان وتذكير لما له فى الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف
التى هى الشبع والرى والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعى
فى تحصيل أعواض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه
باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وأن ناب عن أن لكنه ناب من حيث
انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على أن امتناع دخول
أن عليه وقرأ نافع وابو بكر وانك بكسر الهمزة والباقون بفتحها فوسوس
إليه الشيطان فانهى الله اليه وسوسته قال يا آدم هل أدلك
على شجرة الخلد الشجرة التى من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها
الى الخلد وهو الخلود لانها سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول
ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو

ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل
عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المامور به
او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل
اذا اتخم من اللبن وفى النعى عليه بالعصيان والغواية مع صغر
زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه
اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الى كذا فاجتبيته
مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه
فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث
باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لادم وحواء او له
وابليس ولما كانا اصلى الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض
عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب واختلاف الحال
كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله فإما يأتينكم منى هدى
كتاب ورسول فمن اتبع هداى فلا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة
ومن أعرض عن ذكرى عن الهدى الذاكر لى والداعى الى عبادتى فإن له معيشة
ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث
وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره يكون الى
اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن

الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشوم الكفر و يوسع ببركة الايمان
كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا الايات وقيل هو الضريع
والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء
على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط
يوم القيمة اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا وقد اما لها حمزة والكسائي لان الالف المنقلبة
من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس الآية ومحل الوقف فهو جدير
بالتغيير قال كذلك اى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك اياتنا
واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك
ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي
من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الايات ولم يؤمن
بايات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل
عذاب النار اى والنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش او منه
ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله
من ترك الايات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله تعالى او الرسول
عليه الصلوة والسلام او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اى



اى اهلكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق
يجرى مجرى اعلم وتدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم و
يشاهدون آثار هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوى
العقول الناهية عن التغافل والتعامى ولولا كلمة سبقت من ربك
وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل
ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به
او اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى
عطف على كلمة اى ولولا العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم
او لعذابهم وهو يوم القيامة او بدر لكان العذاب لازما والفصل
للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن
في كان اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له فاصبر على ما
يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته
وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفونه اليه من النقائص
حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل
طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر
لانهما في آخر النهار او العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته
جمع إنى بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء

وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع
والنفس فيه اميل الى الاستراحة وكانت العبادة فيه احمز ولذلك
قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف
النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه
بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر
بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف
الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء
النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اى سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال
عند الله تعالى ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول
اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك الى ما متعنا
به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا
من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اى الذى
متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا
منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل
من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او دونه او بالذم وهي الزينة
والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر
وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه

عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم
فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخره لك
في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا
وابقى فانه لا ينقطع وأمر اهلك بالصلوة امره بان يأمر اهل
بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا
على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا
لفت ارباب الثروة واصطبر عليها ودام عليها لا نسألك رزقا
ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك
لامر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوى التقوى
روى انه عليه الصلوة والسلام اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة
وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه بآية تدل
على صدقه في ادعاء النبوة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات
او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات
واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم
او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا
وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين
من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما في الصحف

الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان

فان اشتمالها على زبدة ما فيها من العقايد والاحكام الكلية مع ان

الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه

كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك

ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرا نافع وابو عمرو وحفص

اولم تاتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا

اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عليه الصلوة والسلام او

البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القران لقالوا ربنا

لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل بالقتل او

السبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ

بالبناء للمفعول قل كل كل واحد منا ومنكم متربص منتظر

لما يؤل اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون

من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد

والسوء او السوءى اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى

من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء

ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون

معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة



المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم

وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين

والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة الا طه ويس سورة الانبياء

مكية وهي مائة واثنتا عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله تعالى

لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله يستعجلونك بالعذاب وان

يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو ات قريب وانما البعيد ما

انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد الاضافة واصله

اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم

وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون

اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز

ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم من ذكر ينبههم

عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة لياتيهم

محدث تنزيله ليتكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع

حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه

لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب

وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين

بين الاستهزاء به والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون
من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾
بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾
بدل من واو اسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو
لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا
النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب
على الذم ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾
باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم
استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول
لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن
سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما اجره
ويظهر فساده للناس عامة ﴿قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به فهو آكد من قوله قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير هنا وليطابق قوله
واسروا النجوى وفي قراءة حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن
الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فلا يخفى عليه ما
يسرون ولا ما يضمرون ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾

اضرابهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه افتراه ثم الى انه
شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب
عن تحاورهم في شان الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه
من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم
عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها
من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها
ويرغب فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تعالى تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد
لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم
ليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على
مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام
ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه
كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه لا يجانسه من حيث انهما من الخوارق
﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ اي كما ارسل به الاولون مثل اليد
البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث
ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ من اهل قرية
﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ باقتراح الآيات لما جاءتهم ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ لو جئتهم بها
وهم اعتى منهم وفيه دليل على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم

اذ لو اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما
ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب من حال
الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام
فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم ويثقون
بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص
نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين
نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم
وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي
الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على
حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق
على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله
لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم
ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد
من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين
في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القران

القران فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم
او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون
وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم
الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت
مقامه وانشأنا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم
فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس
والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين
راكضين دوابهم او متشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا
على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال
او المقال والقائل ملك او من ثمه من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم
فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم
التي كانت لكم لعلكم تسئلون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال
من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما راوا العذاب ولم يروا وجه النجاة
فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي
فقتلوه فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد
من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم

فما زال ترد دون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل
ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية
والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك
لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول
الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد
والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدايع تبصرة للناظر وتذكرة
لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد
فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة
الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه
من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات
لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف
وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن
وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى لولادة المسيح وعزير ان كنا
فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة
كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه
لذاته من اللعب اي بل من شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي

من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف
وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ كسر الدماغ بحيث
يشق غشاوه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله الباطل به ومبالغة
فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا
ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك
والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون
مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وهو في موضع الحال وما مصدرية
او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا
ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين
عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه
من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن السوء في السماء والارض
او مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون
ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها
على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون
حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله في لا يستحسرون
ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض

اشارة الى ان ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة

صفة الالهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير
دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن
لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به
تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص
الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصفت بالا لما تعذر
الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد
لكون الالهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها
على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع
على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا
لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت
عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش
المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ المقادير عما يصفون
من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته
وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم
يسألون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد
ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا
لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل



من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة
ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالهية
او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم آلهة متابعة للامر
ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني
ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل او
من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على
بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية
فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك
والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال
فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر
اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على
ان من اسم هو ظرف كقبل وبعد ونحوهما بل اكثرهم لا يعلمون الحق
ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف
وسط للتاكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع
الرسل من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي
من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله
سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث انهم
مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض
القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى
يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى
فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان
السبق المعرض به للقائلين على الله تعالى ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة
اختصارا وتجافيا عن تكرر الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته
فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم به
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا تخفى عليه خافية مما قدموا واخروا
وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطته بذلك يضبطون
انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له
مهابة منه وهم من خشيته عظمته ومهابته مشفقون
مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق
خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى
فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك من الملائكة وتهديد

وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين
من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا
اولم يعلموا وقرا ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا
ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا
وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات
واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون
واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا
بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما
بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها
باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما للامطار
والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا
فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا
لانه من جملة الممكنات وهي باسرها حادثة مفتقرة الى مخصص يخصص احد طرفيه بالوقوع
من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا رتقا ولم يقل كن لان
المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير
شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء
حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء
وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه

او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة
كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون
مع ظهور الايات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا
اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد
فحذف لا لامن الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي
فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا
فيدل على انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا
على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التاكيد لعلهم
يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع
بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق
السمع بالشهب وهم عن اياتها احوالها الدالة على وجود الصانع
ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث
عن بعضها في علمي الطبيعة والالهية معرضون غير متفكرين وهو الذي
خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الايات
كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه
والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون
على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من

من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بهما لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع
باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به
ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون
كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك
كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان
على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير
بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا
ترجعون فنجازيكم حسبما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه
ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب
تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا
ما يتخذونك الا هزوا الا مهزوءا به ويقولون اهذا الذي يذكر
الهتكم بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون
الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل
وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقران هم كافرون منكرون فهم احق
بان يهزا بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه
وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته

كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه
له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعد
روى انها نزلت فى النضر بن الحارث حين استعجل سَأُرِيكُمْ آيَاتِي نقماتى
فى الدنيا كوقعة بدر وفى الآخرة عذاب النار فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ بالاتيان بها
والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
وقت وعد العذاب او القيامة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يعنون النبى صلى الله عليه وسلم
واصحابه لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ
وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ محذوف الجواب وحين مفعول يعلم اى لو يعلمون الوقت الذى
يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب
بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان
يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان
ما هم عليه حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة
على ما اوجب لهم ذلك بَلْ تَأْتِيهِمْ العدة او النار او الساعة بَغْتَةً فجاءة
مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فَتَبْهَتُهُمْ فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان
بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا قوله فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا
لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار
او للبغتة وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ يمهلون وفيه تذكير بامهالهم فى الدنيا و

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وعد له بان ما يفعلو
به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء عليهم الصلوة والسلام
ما فعلوا يعنى جزاؤه قُلْ يا محمد للمستهزئين مَنْ يَكْلَؤُكُمْ يحفظكم
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ من بأسه ان اراد بكم وفى لفظ الرحمن
تنبيه على ان لا كالى غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بَلْ هُمْ
عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ لا يخطرون ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه
حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالى وصلحوا للسؤال عنه أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ
تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب
فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ استيناف بابطال
ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله تعالى
كيف ينصر غيره بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ
اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع
بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم
ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم

فحسبوا أن لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل
على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها
من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى
على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
قل انما انذركم بالوحي الذي اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر
لا تسمع بالضم على خطاب النبوة وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم
الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون
اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار
او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه
مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة
الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به
ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها
بالظلم ونضع الموازين القسط العدل يوزن بها صحائف الاعمال
وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على الاعمال
بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيامة
لجزاء يوم القيامة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر
فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل

اي و

اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ودفع نافع مثقال على كان التامة
اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب
من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب
وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين
اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا
للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء
به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما
يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء
بغير واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين
او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول
وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم
عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك كثير خيره
انزلناه على محمد عليه الصلوة والسلام افانتم له منكرون استفهام
توبيخ ولقد آتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته
ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة
من قبل من قبل موسى وهارون او محمد عليه الصلوة والسلام
وقيل من قبل استنباته او بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا به عالمين

علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة
الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه
متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما
هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها
فان التمثال صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية
فان تعدية العكوف بعلى وانتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى
او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين
فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها
وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون
في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد
ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على الحق قالوا اجئتنا بالحق ام انت
من اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله انما قاله
على وجه الملاعبة فقالوا اجد تقوله ام تلعب به قال بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه
وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم
وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المحققين له
والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالباء

على اصلها والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن
اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة
الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى
عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول
كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ
كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة
الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه
لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده
واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم
يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه
في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى التوحيد عند تحققهم
عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين
بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بفرطه في حطمها او بتوريطه نفسه
للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني
مفعولي سمع او صفة لفتى يصححه لان يتعلق بالسمع وهو ابلغ في نسبة الذكر
اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم ويجوز ان يرتفع بالفعل لان المراد به الاسم
لا المسمى قالوا فاتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث يتمكن صورته

في أعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله أو قوله أو يحضرون
عقوبتنا له قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم حين احضروه
قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون اسند الفعل اليه
تجوزاً لان غيظه لما راى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او
تقريراً لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من
لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق ءانت كتبت هذا فقلت له بل كتبته انت
او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه كانه قال لما تنكرون ان يفعله
كبير فان من حق من يعبد ويدعى الهاً ان يقدر على هذا واشد وقرئ
فلعله كبيرهم اي فلعل الفاعل كبيرهم وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا
ينطقون وما بينهما اعتراض او الضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا
مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه عليه الصلوة والسلام
قال لابراهيم ثلاث كذبات تسمية المعاريض كذباً لما شابهت صورتها صورته
فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض
إنكم أنتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع
لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا
الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة
اسفل الشيء مستعلياً على اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكَسوا اي نكسوا

انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو
على ارادة القول قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم
انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي
الالوهية أف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على اصرارهم
بالباطل البين وأف صوت المتضجر ومعناه قبحاً ونتناً واللام لبيان المتأفف
أفلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذاً في المضارة لما عجزوا عن المحاجة
حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها
وانصروا آلهتكم بالانتقام لها إن كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها
نصراً مؤزراً والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض
وقيل نمرود قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً ذات برد وسلام اي
ابردي برداً غير ضار وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقل ذلك
لاهلكته ببردها وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة
مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه وقيل نصب سلاماً بفعله اي وسلمنا سلاماً عليه روي انهم بنوا
حظيرة بكوثى وجمعوا اصناف الخشب ثم اشعلوا ناراً عظيمة ثم
وضعوه في المنجنيق مغلولاً فرموه به فيها وهو يقول حسبي الله ونعم الوكيل
فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فاسأل ربك فقال حسبي

من سؤال علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق
منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له
من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم
وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع
غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها
لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما تراه في السمندر ويشعر به
قوله على ابراهيم واردوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم
الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم
على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم لمزيد العذاب
ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام
وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه وانتشرت شرائعهم
التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم
والخصب الغالب روي انه نزل بفلسطين ولوطا بالمؤتفكة وبينهما
مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة عطية فهي حال
منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحاق فتختص بيعقوب ولا باس
به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم
للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم

يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا
مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام
العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات
وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص
على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين
لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين
في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة وهو ما
يجب فعله او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه
للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم التي كانت تعمل
الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها
على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم
سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل
رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا
الحسنى ونوحا اذ نادى اي دعا الله على قومه بالهلاك من قبل
من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله
من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد
ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا بآياتنا

إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين لاجتماع الأمرين تكذيب الحق والانهماك
في الشر ولعلهما لم يجتمعا في قوم إلا وأهلكهم الله تعالى وداود وسليمان
إذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده إذ نفشت فيه
غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين
عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة أو الفتوى وقرئ فأفهمناها
روي أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة
سنة غير هذا أرفق بهما فأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بألبانها
وأولادها وأشعارها والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كما كان
ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والأول نظير قول أبي حنيفة في العبد الجاني
والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب إذا أبق وحكمه
في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل إذ المعتاد ضبط الدواب
ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته
فقال على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل
وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لا ضمان إلا أن يكون معها حافظ لقوله عليه
الصلوة والسلام جرح العجماء جبار وكلا آتينا حكما وعلما دليل
على أن خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف
مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله ففهمناها لا

لإظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن
الله تعالى معه إما بلسان الحال أو بصوت يتمثل له أو بخلق الله فيها وقيل يسرن
معه من السباحة وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلق
بسخرنا أو يسبحن والطير عطف على الجبال أو مفعول معه وقرئ بالرفع
على الابتداء أو العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لأمثاله فليس
ببدع منا وإن كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع
وهو في الأصل اللباس وقال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها
وسردها لكم متعلق بعلم أو صفة للبوس لتحصنكم من بأسكم
بدل منه بدل الاشتمال بإعادة الجار والضمير لداود أو للبوس وفي قراءة
ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع وفي قراءة أبي بكر
ورويس بالنون لله عز وجل فهل أنتم شاكرون أمر أخرجه في صورة
الاستفهام للمبالغة أو التقريع ولسليمان وسخرنا له ولعل اللام فيه
دون الأول لأن الخارق فيه عائد إلى سليمان نافع له وفي الأول أمر
يظهر في الجبال والطير مع داود وبالإضافة إليه الريح عاصفة
شديدة الهبوب من حيث أنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها
شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة
وعاصفة أخرى حسب إرادته تجري بأمره بمشيئته حال ثانية أو بدل

من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا
بعد ما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة
ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسه ومن عطف
على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهو نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك
ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع
الغريبة لقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين
ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى
ربه اني مسني الضر بأني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين
النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال
وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها
واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا
من ولد عيص بن اسحاق استنبأه الله تعالى وكثر اهله وماله وابتلاه الله
باستهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه
ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات
روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم
بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء
فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة رخائي

رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه
وآتيناه اهله ومثلهم معهم بأن ولد له ضعف ما كان او احيي ولده
وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين
رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا
كما اثيب او لرحمتنا للعابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم
واسماعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا
سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل الانبياء
زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف
كل من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوب
وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الآخرة انهم من الصالحين
الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد
وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا
لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر
وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن
انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه
اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن
ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر

وبعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل وهو تمثيل
لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار
لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ
بالياء وقرا يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات
في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل
وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر
ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك ان يعجزك شيء
اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب فاستجبنا له
ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات
كان في بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة
وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام
نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرا
ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية
كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حرف
المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي
الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف

لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا
ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره
وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني
وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له
يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها
وكانت حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء عليهم السلام
كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا
رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين الاجابة او في الطاعة
وخائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دائمي
الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي
احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى
فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا
من الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبريل عليه السلام
لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها وجعلناها وابنها
اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين فان من تامل
حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم ان ملة التوحيد
او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة

فيما بين الانبياء اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب
على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا
ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غيري وتقطعوا امرهم
بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا
امره قطعا موزعة تقبيحا لفعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا
راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله تعالى
ورسله عليهم الصلوة والسلام فلا كفران لسعيه فلا تضييع سعيه استعير
لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له
لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما وحرام
على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي
حرم بكسر الحاء وسكون الراء وقرئ حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها
او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة
ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد
مسد خبره او دليل عليه وتقدير توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم
لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذاك وهو
المذكور في الاية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب
عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج متعلق بحرام اي

او بمحذوف دل عليه الكلام او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك
او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج
وحتى هي التي يحكى بعدها الكلام والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر
ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني يأجوج ومأجوج او الناس كلهم
من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون
يسرعون من نسلان الذئب واقترب الوعد الحق وهو القيامة فاذا هي
شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء
الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على
وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار
يا ويلنا مقدر بالقول وقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة
من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر
والاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان
وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم له في حكم عبدتهم لما روي انه عليه الصلوة
والسلام لما تلا الاية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك
ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح
عبدوا الملائكة فقال عليه الصلوة والسلام بل هم عبدوا الشياطين
التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية

وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما
روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون
الله فقال عليه الصلوة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله
ان الذين سبقت بيانا للتجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب حصب جهنم
ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام
معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان
هؤلاء آلهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها
خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد
وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام
وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل ما يسمعون
ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة
او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون لانهم
يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضي الله تعالى عنه خطب وقرأ هذه
الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام
يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها وهو بدل من مبعدون او حال

او حال من ضمير سبقت للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به
وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص
والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف
الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة
تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول
الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر
او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف
من توعدون والمراد بالطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث
وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ
بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار
لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك
يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه
كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا
اياه في كونهما ايجادا من العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود

بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي
المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء و ما كافة
او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة
والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذى بدأناه واول خلق
ظرف لبدأنا او حال عن ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله
تاكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اى علينا انجازه
انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود
عليه السلام من بعد الذكر اى التورية وقيل المراد بالزبور جنس
الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة
او الارض المقدسة يرثها عبادى الصالحون يعنى عامة المؤمنين
او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد
عليه الصلوة والسلام ان في هذا فيما ذكر من الاخبار والمواعظ
والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين
همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم
وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال
قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد اى ما يوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله

واحد وذلك لان المقصود الاصلى من بعثته عليه الصلوة والسلام
مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس
فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى
المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا
عن التوحيد فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربى لكم
على سواء مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما
اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى
على سواء اى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير وان ادرى
وما ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين
او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون
به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد
للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادرى لعله فتنة لكم وما ادرى
لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان
لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه
مشيئته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل
المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال
على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ربُّ بالضم وربي احكم

على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه
المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة
تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان
حقا لنزل بهم فاجاب الله تعالى دعوة رسوله عليه الصلوة والسلام فخيب
امانيهم ونصر رسوله عليه الصلوة والسلام وقرئ بالياء وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه
وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران سورة الحج مكية الا ست آيات
من هذان خصمان الى صراط الحميد وآيها ثمان وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على
الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية
بتقدير في واضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة
تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها
شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم
ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم
ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل
مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة

والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها
نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات
حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى
وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله
بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رايتك
قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة
وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد
على غيره وقرا حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث
وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث
بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله
كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على
الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر
لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه
وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد
تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول
او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه

يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث من امكانه وكونه
مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم
اى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب
اذ خلق ادم عليه الصلوة والسلام منه او الاغذية التى يتكون منها المنى
ثم من نطفة منى من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة
من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم وهى فى الاصل
قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها
ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة
لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير
والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره
اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله تعالى
هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر
فى الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع
وادناه بعد ستة اشهر واقصاه اخر اربع سنين وقرئ ونقر
بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كانه
خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم فى الارحام حتى
يولدوا وينشئوا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا

ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال
اجريت على تاويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه فى الاصل مصدر
ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم فى القوة والعقل جمع شدة كالانعم
جمع نعمة كانها شدة فى الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد
وقرئ يتوفى اى يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر
الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة
الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والاية استدلال ثان
على امكان البعث بما يعترى الانسان فى اسنانه من الامور المختلفة
والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى
الارض هامدة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت
وقرئ ربات اى ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف
بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى فى كتابه
لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان
فى اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد
موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق اى بسبب انه الثابت فى نفسه

الذى به يتحقق الاشياء وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى يقدر على احيائها والا
لما احى النطفة والارض الميتة وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لان قدرته
لذاته الذى نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته
على احياء بعض الاموات لزم اقتدارها على احياء كلها وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
لَا رَيْبَ فِيهَا فان التغير من مقدمات الانصرام وطلايعه وَأَنَّ
اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ تكرير للتاكيد ولما نيط به
من الدلالة بقوله وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ على انه لا سند له
من دلالة او وحى او الاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد
بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى عليه ثَانِيَ عِطْفِهِ متكبرا
وثنى العطف كناية عن التكبر كلى الجيد او معرضا عن الحق استخفافا
به وقرئ بفتح العين اى مانع تعطفه لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ علة
للجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو وورش بفتح الياء على ان اعراضه
عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى
الى الضلالة وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له لَهُ فِي الدُّنْيَا
خِزْيٌ وهو ما اصابه يوم بدر وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَذَابَ الْحَرِيقِ المحرق وهو النار ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ على

على الالتفات او ارادة القول اى يقال له يوم القيامة ذلك الخزى والتعذيب
بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وانما
هو مجازاتهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ
عَلَى حَرْفٍ على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش
فان احس بظفر قر والا فر فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ
فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ روى انها نزلت فى اعاريب قدموا الى المدينة
وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته
غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى
هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا
وانقلب وعن ابى سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصايب فتشاءم
بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقلنى فقال صلى الله عليه وسلم
ان الاسلام لا يقال فنزلت خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بذهاب عصمته وحبوط
عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع
الظاهر موضع المضمر تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذَلِكَ
هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ اذ لا خسران مثله يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ
وَمَا لَا يَنْفَعُهُ يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ
عن المقصود مستعار من ضلال من ابعد فى التيه ضالا يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ بكونه

معبود لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة أقرب من نفعه
الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل الى الله تعالى واللام معلقة
ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة
الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ
حين يرى استضراره به او مستأنفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ
خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب إن الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل
ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع
من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار
والمعنى ان الله تعالى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلافه
ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء
ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا
والمبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء السماء ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه
فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع
بكسر اللام فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك
وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي
يغيظه من نصر الله تعالى وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله تعالى لاستعجالهم

وشدة

وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال أنزلناه
انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وأن الله يهدي
ولان الله تعالى يهدي به او يثبت به على الهدى من يريد هدايته
او ثباته انزله كذلك مبينا إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين
والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة
بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق
به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت إن على كل واحد من طرفي الجملة
لمزيد التأكيد إن الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله
ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض يتسخر لقدرته
ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم
اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم
والشجر والدواب افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها
وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين
وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد
من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر
فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى وهو وضع الجبهة المسند اليهم
او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر

اى يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب
بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل كثير تكريراً للاول مبالغة
فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام
موصوفاً بما بعده وقرئ حُق بالضم وحقاً باضمار فعله ومن يهن الله
بالشقاوة فما له من مكرم بكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام
ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان
اى فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز
والمراد بهما المؤمنون والكافرون فى ربهم فى دينه او فى ذاته
وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق
بالله تعالى واقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله تعالى آمنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله تعالى من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسداً فنزلت فالذين
كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
قطعت قدرت لهم على مقادير جثتهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار
نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم
حال من الضمير فى لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما فى بطونهم
والجلود اى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فيذاب به

فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم
او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط
منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها
بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة
لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون
بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق
النار البالغة فى الاحراق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال
الى الله تعالى واكده بان احماداً لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم يحلون
فيها من حليت المرأة اذا البستها الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد
من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهى جمع سوار
من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد
السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفاً على محلها
او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى بهمزتين وقرئ ولؤلؤا بقلب
الثانية واواً ولؤلواً بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء ولؤلياً
بقلبهما يائين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام

فيه للدلالة على ان الحرير لباسهم المعتاد او للمحافظة على هيئة الفواصل
وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا الخ
او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته
وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما
يريد به استمرار الصدود منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه
على الماضى وقيل حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية
اى معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة و
استشهدوا بقوله الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اى المقيم
والطارى على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض
بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر رضى الله عنه دار السجن
فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون
للناس حالا من الهاء والا فالا من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول
او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود
بالحاد عدولا عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان
او الثانى بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اى ملحدا بسبب الظلم كا

كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا
لابراهيم مكان البيت اى اذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام
زائدة ومكان ظرف اى انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء وانطمس ايام الطوفان
فاعلمه الله تعالى ابراهيم مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه
القديم ان لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين
والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انها تضمن معنى تعبدنا
لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهى اى فعلنا
ذلك لئلا تشرك بعبادتى وطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به
ويصلى فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد
منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن
فى الناس ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به
روى انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله
تعالى من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب
ممن سبق فى علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
امر بذلك فى حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام
وقرئ رجالا بضم الراء مخففة الجيم ومثقلة ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر
اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين

صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان
او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد
وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ليشهدوا ليحضروا
منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع
مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا و
الضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك
عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى في ايام معلومات
هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام
علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها
على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة
لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء
ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس
الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب
وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم
بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال
وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج
وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث

التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت
وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه
يهدمه فمنعه الله تعالى واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه
دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله
يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر
ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة
والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم
خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم
الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به
لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا
الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس
وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا
قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور كانه لما
حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم
البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك
وقيل شهادة الزور لما روي انه عليه الصلوة والسلام قال عدلت
شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الاية والزور من الزور

وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو القرف فان الكذب منحرف مصروف
عن الواقع حُنَفَاءَ لِلَّهِ مخلصين له غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وهما حالان من الواو
وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ لانه سقط من اوج الايمان
الى حضيض الكفر فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ فان الاهواء المردية توزع افكاره
اَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة
واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان المشركين من لا خلاص له اصلا
ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات
المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد
الهالكين ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ دين الله تعالى او فرائض الحج
ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده
وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عليه الصلوة والسلام
اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر اهدى
نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ فان تعظيمها
من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر
القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ
الى اجل مسمى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ اي لكم فيها منافع درها ونسلها
وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه

من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع
دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى
هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي يرفع اليه الاعمال
او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها
منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية
الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ولكل اهل دين
جَعَلْنَا مَنسَكًا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرا حمزة
والكسائي بالكسر اي موضع نسك لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ دون غيره
ويجعلوا نسكهم لوجهه تعالى علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك
تذكر المعبود عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ عند ذبحها وفيه
تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا
اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ
المتواضعين له او المخلصين فان الاخبات صفتهم الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ هيبة منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها وَالصَّابِرِينَ
عَلَى مَا أَصَابَهُمْ من الكلف والمصائب وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ في اوقاتها
وقرئ المقيمين الصلوة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ في وجوه الخير
وَالْبُدْنَ جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت

به الابل لعظم بدنها ماخوذ من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر
في اجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلوة والسلام البدنة عن سبعة
والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك
وانتصابه بفعل يفسره جَعَلْنَاهَا لَكُمْ ومن رفعه جعله مبتدأ
مِنْ شَعَائِرِ اللهِ من اعلام دينه التي شرعها الله تعالى لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ
منافع دينية ودنيوية فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا بان تقولوا عند
ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صَوَافَّ
قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس
اذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها
فتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف
وصوافي اي خوالص لوجه الله تعالى وصوافي بسكون الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا
كقولهم اعط القوس باريها فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا سقطت على الارض
وهو كناية عن الموت فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ الراضي بما عنده
وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه
قنوعا اذا خضعت له في السؤال وَالْمُعْتَرَّ والمعترض بالسؤال وقرئ
والمعتري يقال عره وعراه واعتراه كَذَلِكَ مثل ما وصفنا من نحرها
قياما سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ مع عظمها وقوتها حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها

فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لَنْ يَنَالَ اللهَ لن يصيب رضاه ولن
يقع منه موقع القبول لُحُومُهَا المتصدق بها وَلَا دِمَاؤُهَا المهراقة
بالنحر من حيث انها لحوم ودماء وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ولكن يصيبه
ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص
له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة
الى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ كرره تذكيرا
للنعمة وتعليلا له بقوله لِتُكَبِّرُوا اللهَ اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما
لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح
عَلَى مَا هَدَاكُمْ ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل
المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وَبَشِّرِ
الْمُحْسِنِينَ المخلصين فيما ياتونه ويذرونه إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ
آمَنُوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ
في الدفع مبالغة من يغالب فيه إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ في امانة الله تعالى
كَفُورٍ لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم
أُذِنَ رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل
وهو الله تعالى لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه

وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون بأنهم
ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون
اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى اول آية
نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير
وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم
يعنى مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله
على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين
على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع
دفاع ولهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهابنة وبيع وبيع النصارى
وصلوات وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصله صلوثا
بالعبرانية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله
كثيرا صفة للاربع او للمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره
من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد
العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم
ان الله لقوى على نصرهم عزيز لا يمانعه شىء الذين ان مكناهم فى

الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء
الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره
ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده وان
يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم
وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له صلى الله عليه وسلم بان قومه
ان كذبوه فهو ليس باوحدى فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم
قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه
بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته
كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت
آجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكارى عليهم
بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكأين من قرية
اهلكناها باهلاك اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهى ظالمة
اى اهلها فهى خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها
بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت
فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا
بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اى هى خالية وهى على عروشها اى مظلة عليها

بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها
لا على وهي خاوية فانها حال والاهلاك ليس حال خرابها فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر
يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع بالخبرية وبئر معطلة
عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها
وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه
عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها
وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا
لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى
وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع
المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون
لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار
والاستدلال او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير
بحال من شاهد آثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار
وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت
عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز
وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن كان




في هذه اعمى الخ قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة
اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده
لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور
لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون بيان
لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه
حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وكاين من قرية وكم من اهل قرية
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة
في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل
عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به
يحيق بهم لا محالة وان تاخر لعادته تعالى امليت لها كما امهلتكم وهي
ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي مرجع الجميع
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار
على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه
للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم
من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا بالرد والابطال
معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه

فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الاخر
عن اللحاق به وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين على انها حال مقدرة اولئك
اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة مجددة يدعو
الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرائيل
الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام ولذلك شبه عليه
الصلوة والسلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه
انه عليه الصلوة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون
الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل
الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له
وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام
الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته
في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم وانه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان
فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه
ثم يحكم الله اياته ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة
والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال



بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليهم ما يقربهم
اليه واستمر به ذلك حتى كان عليه الصلوة والسلام في ناديهم فنزلت عليه
سورة والنجم فاخذ يقراها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه
الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه عليه السلام بالسجود لما سجد في اخرها
بحيث لم يبق في المسجد مسلم ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام
فاغتم به فعزاه الله تعالى بهذه وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز
به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرا لقوله تمنى كتاب الله
اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها
ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله والاية تدل على جواز السهو على الانبياء
عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين
الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة
للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين
وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم
لفي شقاق بعيد عن الحق وعن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم

أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ان القران هو الحق النازل من عند الله تعالى او تمكين الشيطان

من الالقاء هو الصادر من الله تعالى لانه مما جرت به عادته في جنس الانس

من لدن آدم عليه السلام فَيُؤْمِنُوا بِهِ بالقران او بالله تعالى فَتُخْبِتَ لَهُ

قُلُوبُهُمْ بالانقياد والخشية وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا فيما اشكل

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ

كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ فِي شك مِنْهُ من القران او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته

يقولون ما باله ذكرها ثم ارتد عنه حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ القيامة او

اشراطها او الموت بَغْتَةً فجأة أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ يوم حرب يقتلون

فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين

كانوا ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه

لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا او تلقح شجرا او لانه لا مثل له

لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه

موضع ضميرها للتهويل الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ التنوين فيه منوب عن الجملة التي

دلت عليه الغاية اي يوم يزول مريتهم يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بالمجازاة

والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ

وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله

تعالى وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل

هم في عذاب وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا في الجهاد أَوْ مَاتُوا

لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد

ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روى

ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله

من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وَإِنَّ اللَّهَ

لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ فانه يرزق بغير حساب لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ

هو الجنة فيها ما يحبونه وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ باحوالهم واحوال معاديهم

حَلِيمٌ لا يعاجل في العقوبة ذَلِكَ الامر ذلك وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ

مَا عُوقِبَ بِهِ ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي

هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ بالمعاودة الى

العقوبة لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ لا محالة إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ للمنتصر

حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله تعالى اليه بقوله ولمن صبر

وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة

فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى

وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده

ذَلِكَ اي ذلك النصر بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ

نزلت في المسلمين الذين طلب المشركون قتالهم في الاشهر الحرم فكره المسلمون قتالهم فيها فقاتلهم المشركون فيها وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصر الله المسلمين على المشركين فوقع في انفس المؤمنين من القتال في الاشهر الحرم ما وقع فقال الله تعالى ومن جازى الظالم بمثل ما ظلمه الظالم ثم تعدى عليه

بسبب ان الله تعالى قادر على تقليب بعض الامور على بعض جار عادته
على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين
في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء
النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ يسمع قول
المعاقِب والمعاقَب بَصِيرٌ يرى افعالهما فلا يهملهما ذَلِكَ الوصف
بكمال القدرة والعلم بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الثابت في نفسه الواجب لذاته
وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما
يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالوهية ولا يصلح لها الا
من كان قادرا عالما وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الها وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول
فيكون الواو لما فانه في معنى الآلهة هُوَ الْبَاطِلُ المعدوم في حد ذاته
او باطل الالوهية وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ على الاشياء الْكَبِيرُ عن ان
يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً استفهام تقرير ولذلك رفع فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما
في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة
الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ يصل علمه

217

او لطفه الى كل ما جل ودق خَبِيرٌ بالتدابير الظاهرة والباطنة
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خلقا وملكا إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ في ذاته
عن كل شيء الْحَمِيدُ المستوجب للحمد بصفاته وافعاله أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جعلها مذللة معدة لمنافعكم وَالْفُلْكَ عطف
على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ حال منها
او خبر وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ من ان تقع او كراهة ان تقع بان
خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك إِلَّا بِإِذْنِهِ الا بمشيئته وذلك
يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاته فانها مساوية لسائر الاجسام
في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ
حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار
وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثُمَّ يُمِيتُكُمْ اذا جاء
اجلكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ فِي الْآخِرَةِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ لجحود للنعم مع ظهورها
لِكُلِّ أُمَّةٍ اهل دين جَعَلْنَا مَنْسَكًا متعبدا او شريعة تعبدوا بها
وقيل عيدا هُمْ نَاسِكُوهُ ينسكونه فَلَا يُنَازِعُنَّكَ سائر ارباب الملل فِي الْأَمْرِ
في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك
اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات
الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء

اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما
يكون في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا
للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله تعالى
وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم والمبالغة
في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى
ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق
سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة فقل الله اعلم
بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد
فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب
والعقاب يوم القيامة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم
فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض
فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه
فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك ان الاحاطة به
واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته
المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به
سلطانا حجة تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم
من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم

218

الظالم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم
اياتنا من القران بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقة
والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار
لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهو منتهى الجهالة
وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر
يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم
قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم
او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه
جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين
كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من بشر فتكون الجملة
استينافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار
يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة
ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له
للمثل او لشانه استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله
يعني الاصنام وقرا يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع
الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون
على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي

والمنزوعنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة ولو اجتمعوا له
هو مع الجواب المقدر في موضع الحال جيء بها للمبالغة اى لا يقدرون على خلقه
مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب
شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قادرا
على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بأنها تماثيل هي اعجز الاشياء
وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء وانطوا لو اجتمعوا له بل لا تقوى
على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما
يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها
الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب
عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب
والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ
منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله
حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء
عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه
شيء والهتهم التى يعبدونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها
الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء
ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه



لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا
مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله تعالى
وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة
وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله
ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع
الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء
وغيره وهم يسألون يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا في صلاتكم
امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة
بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم
بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير لكم واصلح فيما
تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق
لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين
له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر
بالسجود لقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما
فلا يقرأها وجاهدوا في الله اى لله تعالى ومن اجله اعداء دينه الظاهرة
كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلوة والسلام انه رجع

من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حَقَّ
جِهَادِهِ اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد
مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه
مختص بالله تعالى من حيث انه مفعول لوجه الله تعالى ومن اجله هُوَ اجْتَبَاكُمْ
اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه
وفى قوله وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ اى ضيق بتكليف ما يشتد
القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه
او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله صلى الله
عليه وسلم اذا امرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان
جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضائق وفتح عليهم باب
التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد
مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ منتصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها
بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ابراهيم او على الاغراء
او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم
على الوجه المعتد به فى الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم
هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ من قبل القرآن فى الكتب المتقدمة وَفِي هَذَا فى



وفى القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم
وتسميتهم مسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كان سبب تسميته من قبل فى قوله
ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين
لِيَكُونَ الرَّسُولُ يوم القيامة متعلق بسماكم شَهِيدًا عَلَيْكُمْ بانه بلغكم
فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان
من عصى وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ بتبليغ الرسل اليهم فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف
وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ وثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة
الا منه هُوَ مَوْلَاكُمْ ناصركم ومتولى اموركم فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ
هو اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا ناصر ولا مولى سواه فى الحقيقة
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة
اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى سورة المؤمنون مكية وآيها
مائة وتسع عشرة عند البصريين وثمانى عشرة عند الكوفيين بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه
وقد تدل على ثباته اذا الماضى ولذلك تقرب من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين
ذلك عن فضل الله تعالى صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قَدِ افْلَحَ بالقاء
حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلونى البراغيث او على الابهام والتفسير

وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وأفلح على البناء للمفعول الذين هم
في صلاتهم خاشعون خائفون من الله تعالى متذللون له ملزمون
ابصارهم مساجدهم روى انه عليه الصلوة والسلام كان يصلي رافعا
بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى رجلا يعبث
بلحيته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو
عما لا يعنيهم من القول والفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم
عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون عن وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم
على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض
مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا
فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة
فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا
الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات
وسائر ما توجب المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول
لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف
والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك
احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج او

او التسري وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء او لانه اصل شايع فيه
وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى
الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل
عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم او اماءهم فانهم غير ملومين على ذلك
فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان
والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق
او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير لامانتهم على الافراد
لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون
يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد
والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا
فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة
تعظيم لشأنها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء
بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه
وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس
من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار
منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة
ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر
من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى
سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم
عليه الصلوة والسلام خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم
خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم
عليه السلام لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا
نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا
السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء
في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهي في الاصل صفة للمستقر وصف
به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان
احلنا النطفة البيضاء حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها
قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام
لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة
وقرا ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع
وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ثم انشأناه خلقا آخر هو صورة
البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من



من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان
البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته
احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه
ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت
الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيامة
تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات
لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة
او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق
عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين
امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى يبلغ منتهى ما قدر لها
من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت المشية وانزلنا من السماء ماء
بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم
فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به
على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه
لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه
ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله ارايتم ان اصبح ماؤكم
غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب

لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات
ثمارها وزروعها تأكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معاشكم
من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب
اي لكم في ثمرتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب
والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف على جنات
وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشأنا لكم به شجرة تخرج من طور
سيناء جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال
له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة
اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف
والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس
من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء
من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين
والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال
اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت
ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت
كما في قوله ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية
تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رايت ذوي الحاجات عند

بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها
ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن
وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين
عطف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر
اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه
اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ
وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم
مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه
فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها وشعورها
ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام
فان منها ما يحمل عليها كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول
عليها عندهم وهو المناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة
سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن
احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق لبيان كفران
الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم
من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر

على اللفظ أفلا تتقون أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم
برفضكم عبادته إلى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ
الأشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا إلا بشر مثلكم
يريد أن يتفضل عليكم بطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله
أن يرسل رسولا لأنزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا
الأولين يعنون نوحا عليه السلام أي ما سمعنا به أنه نبي أو ما كلمهم به
من الحث على عبادة الله ونفي إله غيره أو من دعوى النبوة وذلك إما لفرط
عنادهم أو لأنهم كانوا في فترة متطاولة إن هو إلا رجل به جنة
أي جنون ولأجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا
حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعد ما أيس من إيمانهم رب
انصرني بإهلاكهم أو بإنجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون
بدل تكذيبهم إياي أو بسببه فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا
بحفظنا نحفظه أن تخطئ فيه أو يفسد عليك مفسد ووحينا وأمرنا
وتعليمنا كيف تصنع فإذا جاء أمرنا بالركوب أو بنزول العذاب وفار
التنور روي أنه قيل لنوح عليه الصلاة والسلام إذا فار الماء من التنور
اركب أنت ومن معك فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحله الكوفة
عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه أخر

أخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك
غيره قال الله تعالى ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل أمتي
الذكر والأنثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كلٍ بالتنوين أي من كل
نوع زوجين واثنين تأكيد وأهلك وأهل بيتك أو ومن آمن معك
إلا من سبق عليه القول منهم أي القول من الله تعالى بإهلاكه لكفره
وإنما جيء بعلى لأن السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله تعالى
إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم
بالإنجاء إنهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالإشراك والمعاصي ومن هذا
شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد أمره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم
بقوله فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا
من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين وقل رب أنزلني في السفينة أو في الأرض منزلا مباركا
يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى إنزالا أو موضع إنزال
وأنت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه أمره بأن يشفعه به مبالغة
فيه وتوسلا به إلى الإجابة وإنما أفرده بالأمر والمعلق به أن يستوي هو ومن
معه إظهارا لفضله وإشعارا بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم
فإنه يحيط بهم إن في ذلك فيما فعل بنوح عليه السلام وقومه لآيات

يستدل بها ويعتبروا اولوا الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين
لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الايات وان هي المخففة
واللام هي الفارقة ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود
فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح عليهما الصلوة والسلام
وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم ياتهم من مكان غير مكانهم
وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون
عذاب الله تعالى وقال الملأ الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم
لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استونف به فعلى تقدير
سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاد
الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا
بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال
ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية
والعائد الى الثاني محذوف منصوب او مجرور وحذف مع الجار لدلالة ما قبله
عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم انكم اذا لخاسرون حيث
اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب

والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود
وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون
مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول
اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون
خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة
هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون
واللام للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل
فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى بعد وهو مبتدأ
خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع
هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف
وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حياتنا
الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير
واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل
ومعناه لا حيوة الا هذه الحيوة الدنيا لان ان نافية دخلت على هي التي
بمعنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس
نموت ونحيى يموت بعضنا ويولد بعضنا وما نحن بمبعوثين بعد الموت
ان هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له

وفيما بعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني
عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل
عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين
على التكذيب اذا عاينوا العذاب فأخذتهم الصيحة صيحة جبريل عليه السلام
صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القوم
قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله تعالى
كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم
في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك
فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك
وهو من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي
عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشأنا من بعدهم
قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة
اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون
الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر
وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان
الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا
كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى



المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه
اليهم فأتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات
يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا
لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هارون بآياتنا بالآيات
التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به
العصا وافرادها لانها اولى المعجزات وامها وانها تعلقت بها معجزات
شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون
بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا
وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها للنبوة
وحجة بينة على ما يدعيه النبي عليه الصلوة والسلام الى فرعون وملائه
فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين
فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله
بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن
المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى
شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء عليهم السلام على احوالهم لما بينهم
من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس
البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيها

وكما ترى في جانب النقصان أغبياء لا يعود عليهم التفكر بزيادة يمكن أن يكون في طرف
الزيادة أغنياء عن التفكر والتعلم في أكثر الأشياء وأغلب الأحوال فيدركون
ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي إليه علمهم وإليه أشار بقوله قل إنما أنا بشر
مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد وقومهما يعني بني إسرائيل لنا عابدون
خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق
في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني
إسرائيل ولا يجوز عود الضمير إلى فرعون وقومه لأن التورية نزلت بعد
إغراقهم يهتدون إلى المعارف والأحكام وجعلنا ابن مريم وأمه
آية بولادتها إياه من غير مسيس فالآية أمر واحد مضاف إليهما
أو وجعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد وظهر منه معجزات أخر
وأمه آية بأن ولدت من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية
عليها وآويناهما إلى ربوة أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة أو دمشق
أو رملة أو فلسطين أو مصر فإن قراها على الربا وقرأ ابن عامر وعاصم
بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من أرض
منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها
ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى فأصله
الإبعاد في الشيء أو من الماعون وهو المنفعة لأنه نفاع أو مفعول من عانه



من عانه إذا أدركه بعينه لأنه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها
بذلك لأنه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان يا أيها الرسل كلوا
من الطيبات نداء وخطاب لجميع الأنبياء عليهم الصلوة والسلام
لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة بل
على معنى أن كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى عليه السلام
دخولا أوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على أن تهيئة أسباب التنعم
لم يكن له خاصة وأن إباحة الطيبات للأنبياء عليهم الصلوة والسلام
شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات أو حكاية لما ذكر
لعيسى وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا
وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات
وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي
ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا
صالحا فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم إني بما تعملون عليم
فيجازيكم عليه وإن هذه أي ولأن هذه والمعلل به فاتقون
أو اعلموا أن هذه وقيل إنه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف
والكوفيون بالكسر على الاستئناف أمتكم أمة واحدة ملتكم ملة واحدة
أي متحدة في العقائد وأصول الشرائع أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان

والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا
ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم تقطعوا امر دينهم وجعلوه
اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز
والضمير لما دل عليه الامة من اربابها زبرا قطعا جمع زبور الذي
بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم
او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت
الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف
كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون
معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم حتى حين
شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ
في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به انما
نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه
غير معاب عليه وانما المعاب عليهم اعتقادهم ان ذلك خير لهم نسارع
لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم
فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم
ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة
في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير



ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم
من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم
المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم
لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما
اعطوا من الصدقات وقرئ يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا من الطاعات
وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق
فيؤاخذ به انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم
وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون
في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون في نيل الخيرات
الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله
ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها سابقون
لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة
او سابقونها اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله
هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض
على ما وصف به الصالحون وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني
اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه
ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب

بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف
به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك
متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون
معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب
يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف عليه السلام
فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجأرون
فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى
ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل
لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه
لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت
اياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون
مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى
مستكبرين به الضمير للتكذيب او للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم
بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره او لاياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة
بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث
بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه



فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر
تهجرون من الهجر بفتح الهاء اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون
عن القرآن او يهذون في شانه او الهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع
تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اي القرآن
ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم
ما لم يات اباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله
فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسماعيل واعقابه فامنوا به
وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم او لم يعرفوا محمدا
بصحة النسب والامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم
الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون دعواه لاحد هذه
الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا
ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن
فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون
انه عليه الصلاة والسلام ارجحهم عقلا واثقبهم نظرا بل جاءهم بالحق
واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه
وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ
قومه او لقلة فطنة وعدم فكرته لا كراهة الحق ولو اتبع الحق اهواءهم

بان كان في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن
كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع
الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع
الحق الذي جاء به محمد عليه الصلوة والسلام اهواءهم وانقلب شركا
لجاء الله تعالى بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم
بان اتى لما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر
ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم
بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم
لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم
معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة
خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى
خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل
يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار
بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله تعالى اياه
وقرا ابن عامر خرجا فخرج ربك وحمزة والكسائي خراجا فخراج ربك للمزاوجة
وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له

واعلم انه سبحانه وتعالى الزمهم الحجة وازاح العلل في هذه الايات
بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا
كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط
عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث
على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم
في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون
عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا الجيف والعلهز فجاء ابو سفيان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انشدك الله والرحم الست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع
فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان
استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون
اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله
حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد
من القتل والاسر اذا هم اذا هم فيه مبلسون متحيرون
آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم

السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الايات والافئدة لتتفكروا
فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما
تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها
فيما خلقت لاجلها والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتاكيد
وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون
تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل
والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى
الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد
الاخر افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم
الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق
لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون
اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتاملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا
ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا
اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل
فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن
الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك

بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي
الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم
قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى
نظر الى الاقرار بانه تعالى خالقها قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون
فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق
ليس اهون من اعادته وقرئ تذكرون على الاصل قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قرأ
ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال
قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته
على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن
وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه
ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم
تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون
عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد
والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله
من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه
في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب لمحاجتهم

وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما تقولون
لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبدّ به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين
ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده
ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان
على اسناد جميع الممكنات الى واجب واحد سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ
من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ خبر مبتدأ محذوف وقد جرّه ابن كثير وابن عامر وابو عمرو
ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء على توافقهم
فى انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ بالفاء
قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتاكيد
مَا يُوعَدُونَ من العذاب فى الدنيا والآخرة رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ قرينا لهم فى العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شؤم الظلمة
قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له فى امته نقمة ولم يطلعه
على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط
والجزاء به فضل تضرع وجؤار وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ
لكنا نؤخرهم علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم

وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء
به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ
وهو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن فى الدين
وقيل هى الكلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هى الامر بالمعروف
والسيئة المنكر وهى ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص
على التفضيل نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ بما يصفونك به او بوصفهم اياك
على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ
بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه
مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصى بهمز الراضة الدواب
على المشى والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه
وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ويحوموا حولى فى شئ من الاحوال
وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال
بان يخاف عليه حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ متعلق بيصفون وما بينهما
اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله تعالى عن الشيطان ان يزله
عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قَالَ
تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رَبِّ ارْجِعُونِ
ردونى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى

كما قيل في قفا واطرقا لعلي أعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي
تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه
عليه الصلوة والسلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا
فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول
رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة
يعني قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم
بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم
امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون
يوم القيامة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة
يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة فاذا نفخ
في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد ان
الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف
والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم
ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض
قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذا بعد المحاسبة
او دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمن ثقلت موازينه موزونات

موزونات عقايده واعماله اي ومن كانت له عقايد واعمال صالحة
يكون لها وزن عند الله تعالى وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون
بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه ولم يكن له ما يكون له وزن
وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فاولئك الذين خسروا
انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها
لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك
تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم
فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان
وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم اي اضمار القول اي يقال لهم الم تكن
فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية
الى سوء العاقبة وقرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة
وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها
من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤا
فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب
اذا زجرته فخسأ ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون راسا
قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني

فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون
فيقولون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم مالكم من زوال
فيقولون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر وجاءكم النذير فيقولون الفا ارجعونا فيجابون اخسئوا فيها
ولا تكلمون ثم لا يكون الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان وقرئ
بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل
الصفة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين
فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرا نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما
مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور
بمعنى الهزو والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم
ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي
وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا
على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به
وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرا حمزة وابن كثير والكسائي بالكسر
استينافا قال اي الله تعالى او الملك المامور بسؤالهم وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائي على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احيا



احياء او امواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار
او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية
والمنقضي في حكم المعدوم فاسال العادين الذين يتمكنون من عد
ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون
عن تذكرها واحصائها او الملائكة يعدون اعمار الناس ويحصون
اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول
والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة
الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم
في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال
بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم فانا خلقناكم لنتعبدكم
ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون
معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء
فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك
بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا اله
الا هو فان ما عداه عبيد رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام
وينزل منه الرحمة والخير والبركة ومحكمات الاقضية والاحكام

ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه
صفة الرب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان
له به صفة اخرى لالها لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتاكيد
وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما
دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه
عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون
ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدء
السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله
عليه الصلوة والسلام بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر
وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول
ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة
ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها واخرها من كنوز الجنة
من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح

## سورة النور مدنية وآيها ثنتان وستون او اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم سورة اي هذه
سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها جعلها



جعلها مفسرة لناصبها فلا يكون لها محل من الاعراب الا اذا قدر اتل او دونك
او نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو
لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها آيات
بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ
بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا في هذه السورة او انزلنا
حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئتا
بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر
وقرئ والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون
بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة
اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص من ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن
هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحول لقوله عليه الصلوة و
السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه
لينسخ احدهما الآخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلاثة
يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة كما قال ابو حنيفة
والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت
الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه الصلوة والسلام

يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي
يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله في طاعته
واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت
بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يقتضي
الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر
مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان يكون حافة حول شيء من الطوف
واقلها ثلاثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب
فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب
للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان
او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت
في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن
عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك
على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة



المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه
بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها
والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى
منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه الصلوة والسلام سئل
عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد
بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان لا تزني
بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا
لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة
شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة
والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن
والاحصان هاهنا بالحرية والبلوغ والاسلام والعقل والعفة
عن الزنا ولا فرق بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة
او لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند
الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوف خلافا لابي حنيفة وليكن
ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده
ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم
في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة رحمه الله تعالى

فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما
فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوء مما بعده ابداً ما لم يتب
وعند ابي حنيفة الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين
تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام
للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء
الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة
الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى
النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه عن موجب
وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة الاستثناء والذين
يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية
راى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا
بمعنى غير فشهادة احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم
او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفع حمزة والكسائي
وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة
لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماه من الزنا واصله على انه فحذف الجار
وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الزنا وقرا نافع ويعقوب بالتخفيف



بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه
وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه الصلوة والسلام
المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق وعند ابي حنيفة رحمه الله
ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المراة لقوله ويدرؤ
عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد
ونصبها حفص عطفا على اربع وقرا نافع ان غضب الله عليها بكسر الضاد وفتح
الباء ورفع الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم
متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا
بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مافوك
عن وجهه والمراد ما افك به عائشة رضي الله تعالى عنها وذلك انه عليه
الصلوة والسلام استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل
فمشت لقضاء الحاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع
ظفار قد انقطعت فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت
الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثم احدا
فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش

فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا
الجيش فاتهمت به عُصْبَةٌ مِنْكُمْ جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين
وكذلك العصابة يريد به عبد الله بن ابى و زيد بن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان و قوله
لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ مستانف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
وابى بكر وعائشة وصفوان رضى الله تعالى عنهم والهاء للافك بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثماني عشر
اية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على
ظن بكم خيرا لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ لكل جزاء ما اكتسب
بقدر ما خاض فيه مختصا به وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ تعظمه وقرا يعقوب
بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابى فانه بدء به
واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم او هو وحسان ومسطح فانهما
شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ في الاخرة او في الدنيا
بان جلدوا وصار ابن ابى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل
اليدين ومسطح مكفوف البصر لَوْلَا هلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا بالذين فيهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله
ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ



واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب
الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله
بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه
ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا
باوله وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ كما يقوله المتيقن المطلع على الحال
لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ
عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة
عليه كذب عند الله تعالى اى في حكمه ولذلك رتب الحكم عليه
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لولا هذه
لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا
بانواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الاخرة
بالعفو والمغفرة المقدران لكم لَمَسَّكُمْ عاجلا فِيمَا أَفَضْتُمْ خضتم
فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ يستحقرون دونه اللوم والجلد إِذْ ظرف لمسكم او افضتم
تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ياخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى
القول وتلقفه وتلقنه وتتلقونه على الاصل وتَلْقَوْنه من لقيه
اذا لقفه وتِلقونه بكسر حرف المضارعة وتُلْقُونه من القائه بعضهم
على بعض وتَلِقُونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه

من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اى تتبعونه وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه
بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله يقولون
بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند
الله عظيم فى الوزن واستجرار العذاب فهذه ثلاثة اثام مترتبة علق
بها مس العذاب العظيم تلقى الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق
واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ما ينبغى وما يصح لنا ان نتكلم بهذا يجوز ان يكون الاشارة
الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف احاد الناس محرم شرعا
فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبحانك تعجب ممن يقول ذلك واصله انه يذكر عند كل متعجب
تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر استعماله لكل متعجب او تنزيه
لله تعالى من ان يكون حرمة نبيه عليه الصلوة والسلام فاجرة فان فجورها
تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا
لقوله هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب
وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا
او فى ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان



فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايات الدالة
على الشرايع ومحاسن الاداب كى تتعظوا وتتادبوا والله عليم بالاحوال
كلها حكيم فى تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها
ان الذين يحبون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة فى الذين
امنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة الحد والسعير الى غير ذلك
وَاللّٰهُ يَعْلَمُ ما فى الضمائر وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فعاقبوا فى الدنيا على ما
دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حب الاشاعة
وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب
الدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف عليه قوله وَأَنَّ اللّٰهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ
على حصول فضله ورحمته عليكم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه لذكره
مرة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ باشاعة الفاحشة
وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزى وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها
وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ بيان لعلة النهى
عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة
لها مَا زَكَى ما طهر من دنسها مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا اخر الدهر وَلَكِنَّ اللّٰهَ
يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ بحمله على التوبة وقبولها وَاللّٰهُ سَمِيعٌ لمقالهم عَلِيمٌ بنياتهم

اعلم انه تعالى كما ادب اهل الافك ومن سمع كلامهم كما قدمنا ذكره فكذلك ادب ابا بكر رضي الله عنه فيما حلف ان لا ينفق مسطحا ابدا قال المفسرون الاية نزلت في ابي بكر حيث حلف ان لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته وكان يتيما في حجره وكان ينفق عليه

وَلَا يَأْتَلِ ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو
ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتألّ وانه نزل في ابي بكر رضي الله عنه
وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء
المهاجرين أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ في الدين وَالسَّعَةِ في المال وفيه
دليل على فضل ابي بكر وشرفه رضي الله عنه أَنْ يُؤْتُوا على ان لا يؤتوا
او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ و
الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها
لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود
وَلْيَعْفُوا ما فرط منهم وَلْيَصْفَحُوا بالاغماض عنه أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ
اللَّهُ لَكُمْ على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روى انه عليه الصلوة والسلام قرأها
على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ
العفائف الْغَافِلَاتِ مما قذفن به الْمُؤْمِنَاتِ بالله وبرسوله
استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
كابن ابى لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كما طعنوا فيهن وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
لعظم ذنوبهن وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما



عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القران لم تجد اغلظ مما نزل
في افك عائشة رضي الله عنها يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ظرف لما في لهم
من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي
بالياء للتقدم والفصل أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
يقترفون بها بانطاق الله تعالى اياها بغير اختيارهم او بظهور اثاره عليها
وفي ذلك مزيد تهويل العذاب يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ
جزاءهم المستحق وَيَعْلَمُونَ لمعاينتهم الامر أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ
الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر
على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اى العادل الظاهر عدله
ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الْخَبِيثَاتُ
لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ
اى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون
كالدليل على قوله أُولَئِكَ اى اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
او الرسول وعائشة وصفوان مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ اذ لو صدق
لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال
والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للافكين اى مبرؤون
مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرؤون من ان يقولوا

مثل قولهم لهم مغفرة و رزق كريم يعنى الجنة و لقد برّء الله
اربعة باربعة يوسف عليه الصلوة و السلام بشاهد من اهلها
و موسى عليه الصلوة و السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب
بثوبه و مريم رضى الله عنها بانطاق ولدها و عائشة رضى الله عنها
بهذه الايات مع هذه المبالغات و ما ذلك الا لاظهار منصب الرسول
صلى الله عليه و سلم و اعلاء منزلته يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم التى تسكنونها فان الاجر و المعير ايضا لا يدخلان
الا باذن حتى تستأنسوا تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام
من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه
هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذى هو خلاف
الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن
استأنس من الانس و تسلموا على اهلها بان يقولوا السلام عليكم
أأدخل و عنه عليه الصلوة و السلام التسليم ان يقول السلام عليكم
أأدخل ثلاث مرات فاذا اذن له دخل و الا رجع ذلكم خير لكم
اى الاستيذان و التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او بتحية الجاهلية
كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا و حييتم مساء
و دخل فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف و روى ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه و سلم



و سلم أستأذن على امى قال نعم قال انه ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت
قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون
متعلق بمحذوف اى انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا و تعلموا ما
هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى
يؤذن لكم حتى يأتى من يؤذن لكم فان المانع من الدخول ليس
الاطلاع على العورات فقط بل و على ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف
فى ملك الغير بغير اذنه محظور و استثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق
و ان كان فيه منكر و نحوها و ان قيل لكم ارجعوا فارجعوا و لا تلحوا
هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح و الوقوف على الباب عنه
من الكراهة و ترك المروة او انفع لدينكم و دنياكم و الله بما تعملون
عليم فيعلم ما تأتون و ما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه
ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط و الخانات
و الحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر
و البرد و ايواء الامتعة و الجلوس للمعاملة و ذلك استثناء من الحكم
السابق لشموله البيوت المسكونة و غيرها و الله يعلم ما تبدون
و ما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اى عما يحرم نحو محرم و يحفظوا

فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم والمكان المستثنى منه
كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج
هنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة
ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك
جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه
من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم
الغض لان النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب
والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له الا ما ظهر منها عند
مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة
مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى
هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر
فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة
كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن
ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له
الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن
حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن

او

او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن
واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع
من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة
والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان
او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم
او نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال
او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعم
الاماء والعبيد لما روي انه عليه الصلوة والسلام اتى فاطمة بعبد
وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت
رجليها لم يبلغ فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك بأس انما هو ابوك
وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي او التابعين
غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة وهم الشيوخ الهم والممسوحون
وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم
ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال
او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة
والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن

كتب عمر رضي الله عنه الى ابي عبيدة ان يمنع الكتابيات من دخول الحمامات
مع المسلمات فلا يجوز للمسلمة ان تنكشف بين يدي الذمية الا ان تكون امة لها
وذكر بعضهم وقال الا من هي على دينها

بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها
ذات خلخال فإن ذلك يورث ميلا في الرجال وهو أبلغ من النهي عن إظهار
الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون
إذ لا يكاد يخلو أحدكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم
تفعلونه في الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكن يجب الندم عليه والعزم
على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وأنكحوا الأيامى
منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم لما نهى عما عسى أن يفضي إلى السفاح
المخل بالنسب المقتضي للألفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية إلى بقاء
النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بأمر النكاح الحافظ له والخطاب
للأولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك
عند طلبها وإشعار بأن المرأة والعبد لا يستبدان به إذ لو استبدا لما وجب
على الولي والمولى وأيامى مقلوب أيايم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكرا كان
أو أنثى بكرا كان أو ثيبا قال فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم
أتأيم وتخصيص الصالحين لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم
وقيل الصالحين للنكاح والقيام بحقوقه إن يكونوا فقراء يغنهم الله
من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة
من المناكحة فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورائح أو وعد من الله

من الله تعالى بالإغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى في هذه الآية
لكن مشروطة بالمشيئة لقوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله
إن شاء والله واسع ذو سعة لا تنفد نعمته إذ لا تنتهي قدرته عليم
يبسط الرزق ويقدر ما تقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة
وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا أسبابه ويجوز أن يراد بالنكاح
ما ينكح به أو بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا
ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو أن يقول الرجل
لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لأن السيد كتب على نفسه عتقه إذا أدى
المال أو لأنه مما يكتب لتأجيله أو من الكتب بمعنى الجمع لأن العوض فيه
يكون منجما بنجوم يضم بعضها إلى بعض مما ملكت أيمانكم عبدا كان
أو أمة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم أو مفعول لمضمر
هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والأمر فيه للندب عند أكثر العلماء
لأن الكتابة معاوضة تتضمن الإرفاق فلا يجب كغيرها واحتجاج الحنفية
بإطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لأن المطلق لا يعم مع أن العجز
عن الأداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل إن علمتم
فيهم خيرا أمانة وقدرة على أداء المال بالاحتراف وقد روي مثله
مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو

شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز وَآتُوهُم مِن مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُم
امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفى معناه حط شيء من مال
الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقل ما يتمول وعن على رضى الله عنه
بحط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وقيل ندبهم الى الانفاق عليهم
بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم
سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن
والمشترى ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث بريرة هو لها صدقة
ولنا هدية وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُم اماءكم عَلَى الْبِغَاءِ على الزنا كانت
لعبد الله بن ابى المنافق ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكى بعضهن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا تعففا شرط
للاكراه فانه دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز
ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن
من الاماء كالشاذ النادر لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللهَ
مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ اى لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر
ولما فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه من بعد اكراههن لهن غفور رحيم
ولانه الاكراه ربما لم يكن على الزنا المعتبر شرعا فتكون آثمة
ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى
المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص وَلَقَدْ أَنزَلْنَا



وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ يعنى الآيات التى بينت فى هذه السورة واوضحت
فيها الاحكام والحدود وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى بالكسر لانها
واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين
او لانها بينت الاحكام والحدود وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ
ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة
رضى الله تعالى عنها فانها كقصة يوسف ومريم وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ
يعنى ما وعظ به فى تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها
وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته اللَّهُ نُورُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا
وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام
الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا
بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور
السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها
من الانوار او بالملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام او مدبرها
من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور
او موجدها فان النور ظاهر لذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود
كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه

او الذي به تدرك او تدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به
او المشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها
تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات
وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات
ليست بذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى
ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام ولذلك سموا
انوارا ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه هادي من فيهما فهم بنوره
يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالها على الانوار
الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول
لهما مَثَلُ نُورِهِ صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه
دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كَمِشْكَاةٍ كصفة مشكاة
وهي الكوة الغير النافذة فِيهَا مِصْبَاحٌ سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة
الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
في قنديل من الزجاج الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ مضيء متلالئ
كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء
فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته
ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء



دِرِّيّ كشرّيب وقد قرئ به مقلوبا تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته
بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم
لشانها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد
وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف
وقرئ توقّد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب
لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها
طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج
وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام
فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها
ومقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي حديث لا خير في شجرة ولا نبات
في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نُورٌ عَلَى نُورٍ
متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة
القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه
الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها
وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى

من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وضيا لانهم بالمصباح
وانما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه
بالشمس او تمثيل لما نور الله تعالى به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور
المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة أُبي مثل نور المؤمن او تمثيل
لما منح الله تعالى به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التى بنوط بها
المعاش والمعاد وهى الحاسة التى تدرك المحسوسات بالحواس الخمس
والخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية
متى شاءت والعلمية التى تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهى التى تؤلف
المعقولات لتستنتج منها علم ما لا يعلم والقوة القدسية التى يتجلى فيها
لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى
ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة
المذكورة فى الاية وهى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت
فان الحاسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك
ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة
فى قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها الى الانوار العقلية وانارتها
بما يشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات
الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتاديها الى ثمرات لا نهاية

٢٤٦

لا نهاية لها والزيتونة المثمرة بالزيت الذى هو مادة المصابيح التى لا تكون شرقية
ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة
فى القبيلتين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها
وشدة ذكائها يكاد يضئ بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية
فى مراتبها بذلك فانها فى بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة
ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل
النظريات فتصير كالزجاجة متلالئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن
ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان
بقوة قدسية فكالذى يكاد زيتها يضئ لانها تكاد تعلم ولو لم يتصل بها ملك الوحى
والالهام الذى مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم
بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور
يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ بهذا النور الثاقب مَنْ يَشَاءُ فان الاسباب دون مشية
لاغية اذ بها تمامها وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ادناء للمعقول من المحسوس
توضيحا وبيانا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا
وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها فِى بُيُوتٍ متعلق بما قبله
اى كمشكاة فى بعض بيوت او توقد فى بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون
تحبيرا او مبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين

او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها
ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها
تكرير مؤكد لا بيذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف
مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلايمها وقيل
المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء
او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة
في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال
ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو مصدر
اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ
والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرا ابو عمرو وعاصم يسبح بالفتح
على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء
مكسورة لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو رجال
لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله
مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو
اهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى فانه اصلها
ومبدؤها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه
وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض فيه الاضافة عن التاء المعوضة



عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء
الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه
من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير
من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار
ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار
من اي ناحية يوخذ بهم ويوتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم
او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود له من الجنة
ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم
والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة
ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة
عند الله تعالى يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كسراب وهو ما يرى في الفلاة
من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة
بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات
كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه
لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه
جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله

عِنْدَهُ عقابه او زبانيته او وجده محاسباً اياه فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ استعراضاً

او مجازاة وَاللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ لا يشغله حساب عن حساب روى انها

نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبّد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء

الاسلام كفر أَوْ كَظُلُمَاتٍ عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم

لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات

المتراكمة من لجّ البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة

فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها

كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ عميق منسوب

الى اللج وهو معظم الماء يَغْشَاهُ يغشى البحر مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ

اى امواج مترادفة متراكمة مِنْ فَوْقِهِ من فوق الموج الثاني

سَحَابٌ غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر

ظُلُمَاتٌ اى هذه ظلمات بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وقرأ ابن كثير ظلماتٍ

بالجر على ابدالها من الاولى او باضافة السحاب اليها إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ

وهى اقرب ما يرى اليه لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا لم يقرب ان يراها فضلا

من ان يراها كقوله اذا غيّر الهجر المحبين رسيس الهوى من حب مية يبرح

والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه وَمَنْ

لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُورًا ومن لم يقدّر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما

لَهُ مِنْ نُورٍ خلاف الموفق الذى له نور على نور أَلَمْ تَرَ الم تعلم

علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحى والاستدلال

أَنَّ اللّٰهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ينزه ذاته من كل نقص

وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان

بما يدل عليه من مقال او دلالة حال وَالطَّيْرُ على الاول تخصيص لما فيها

من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صَافَّاتٍ

فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافّة باسطة

اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف

تدبيره كُلٌّ كل واحد مما ذكر او من الطير قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ

اى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله وَاللّٰهُ عَلِيمٌ

بِمَا يَفْعَلُونَ او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع

على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير

دعاءً وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدى

اليها العقلاء وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ فانه الخالق لهما ولما

فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة

الانتهاء الى الواجب وَإِلَى اللّٰهِ الْمَصِيرُ مرجع الجميع أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يُزْجِي

سَحَابًا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثُمَّ يُؤَلِّفُ

بَيْنَهُ بان يكون قزعاً فضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى
بين اجزائه ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا متراكما بعضه فوق بعض فَتَرَى الْوَدْقَ
المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ
من خلله وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ من الغمام وكل ما علاك فهو سماء
مِنْ جِبَالٍ فِيهَا من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها
مِنْ بَرَدٍ بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء
من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض
واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد
كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة
اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء
وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا
وان اشتد فان وصل الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا
وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر
او الثلج وكل ذلك لابد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل
على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله
فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ والضمير للبرد يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ
ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبُرَقه بفتح الراء



الراء وهو جمع بُرقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يَذْهَبُ
بِالْأَبْصَارِ بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل
على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يُذهب على زيادة
الباء يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة
الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك
إِنَّ فِي ذَلِكَ فيما تقدم ذكره لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ لدلالته
على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه
عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ
حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة
مِنْ مَاءٍ هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا
للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما لا يتولد عن النطفة وقيل من ماء
متعلق بدابة وليس صلة لخلق فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ كالحية وانما
سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ
كالطير والانس وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ كالنعم والوحش ويندرج
فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير
الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة
والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ مما ذكر

او مما لم يذكر بسيطا او مركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات
والحركات والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيته
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيفعل ما يشاء لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ
للحقايق بانواع الدلائل وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ بالتوفيق للنظر فيها
والتدبر لمعانيها إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ هو دين الاسلام الموصل
الى درك الحق والفوز بالجنة وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ
نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه
في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وَأَطَعْنَا اى واطعنا
هما ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ بامتناع عن قبول حكمه فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ
بعد قولهم هذا وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ اشارة الى القائلين باسرهم
فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم يؤمن قلوبهم
او الى الفريق المتولي منهم وسلب الايمان منهم لتوليهم والتعريف فيه
للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان
او الثابتون عليه وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ اى ليحكم
النبي عليه الصلوة والسلام فانه الحاكم ظاهرا او المدعو اليه وذكر الله لتعظيمه
والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله تعالى إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ

فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم
وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ اى الحكم لا عليهم
يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا
او المذعنين وتقديمه للاختصاص أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ كفر او ميل الى الظلم
أَمِ ارْتَابُوا بان راوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك أَمْ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ في الحكومة بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم
ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم
او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين
الاول فظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل
لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا
إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي
بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده
الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فيما يامرانه
او في الفرائض والسنن وَيَخْشَ اللَّهَ على ما صدر عنه من الذنوب
وَيَتَّقْهِ فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو

وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فتنبه تقه بكتف ويخف
فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم
انكارا للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم
ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب
طاعة معروفة اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمان الطاعية
النفاقية المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او ليكن طاعة وقرئت
بالنصب اى اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم
قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به
على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم فان تولوا فانما عليه اى على محمد
ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم به من الامتثال
وان تطيعوه فى حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا
البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفهم به وقد ادى وانما بقى ما
حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول وللامة او له ولمن معه ومن للبيان
ليستخلفنهم فى الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف الملوك
فى ممالكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم
او الوعد فى تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم



يعنى بنى اسرائيل استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن لهم
دينهم الذى ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم
من بعد خوفهم من الاعداء امنا منهم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون
فى السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله تعالى وعده فاظهرهم على العرب كلهم
وفتح لهم بلاد المشرق والمغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب
على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود
عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة
يعبدوننى حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف
ببيان المقتضى للاستخلاف والامن لا يشركون بى شيئا حال من الواو
اى يعبدوننى غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة
بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون
الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا
تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول
فى سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد
على المامور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتاكيد

وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق
به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ولا تحسبن يا محمد
الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين وقرأ
ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى كما هو
في القراءة بالتاء او الذين كفروا فاعل والمعنى ولا تحسبن الكفار في الارض احدا
يعجز الله تعالى فيكون معجزين في الارض مفعوليه او لا يحسبنهم معجزين
فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين كشيء واحد فاكتفى بذكر اثنين
عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات ومأويهم
النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأويهم النار
لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير
المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت
ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من التمثيلات الدالة
على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض
عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام
اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو
عمر رضي الله عنه فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله تعالى عنه



رضي الله تعالى عنه لوددت ان الله تعالى نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا
ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله
عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم
والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه
اقوى دلائله ثلاث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة
الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب
اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبرا لمحذوف
اي هي من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة
للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء
لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلاث عورات لكم
اي هي ثلاث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره
ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور
وقرأ حمزة والكسائي بالنصب بدلا من ثلاث مرات ليس عليكم ولا
عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان وليس
فيه ما ينافي آية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه
وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استئناف
ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة

وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاث
وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف
بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات
اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم الذين
بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد
البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما
للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم
كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء
العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن
فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة
كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها
غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه في قوله ولا يبدين
زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة
لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها
كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها وان
يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن



للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء
حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم
التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك
من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم
فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضاء
صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله
لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وقيل نفي
للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده ولا على انفسكم
ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل
فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله صلى الله عليه وسلم
انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان
ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم
او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم
او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم
وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك
والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم

اوبيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط فى اموالهم واسر به وهو يقع

على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضاء صاحب البيت

باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانهم يعتاد التبسط بينهم وكان

فى اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم

ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين

نزلت فى بنى ليث بن عمرو بن كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده

او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او فى قوم

تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام فى القزازة والنهمة

فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها

الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره

مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب الحياة وهى من عنده

وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها

زيادة الخير والثواب طيبة تطيب نفس المستمع وعن انس رضى الله

انه عليه الصلوة والسلام قال متى لقيت احدا من امتى فسلم عليه يطل عمرك

واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى

فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثالثا

لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا



وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اى الحق والخير فى الامور

انما المؤمنون اى الكاملون فى الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله

من ضميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب

والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع

لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

باذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص

فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب

عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا

على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله

ورسوله فانه يفيد ان المستاذن مؤمن وان الذاهب بغير اذن

ليس كذلك فاذا استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض لهم من المهام

وفيه ايضا مبالغة وتضييق الامر فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر

الى راى الرسول عليه الصلوة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام

مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه

وكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن

فان الاستيذان ولو بعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين

ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا

دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُم كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا لا تقيسوا دعاءه اياكم

على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن

فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذن محرمة وقيل لا تجعلوا

نداءه وتسميته كنداء بعضكم باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء

الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير

والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم

على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه

كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب

قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ ينسلون قليلا قليلا من الجماعة

ونظير تسلل تدرج وتدخل لِوَاذًا ملاوذة بان يستتر بعضهم

ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يوذن فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه

على الحال وقرئ بالفتح فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ يخالفون امره

بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الاعراض

او يصدون عن امره دون المومنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه

وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى

فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ

محنة في الدنيا أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الاخرة واستدل به على ان الامر



للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر

بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ايها المكلفون

من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد

الوعيد وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء

ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فَيُنَبِّئُهُم

بِمَا عَمِلُوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ لا يخفى خافية عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ

سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن ومومنة فيما

مضى وفيما بقي سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تَبَارَكَ الَّذِي

نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد

على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة

وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل

دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف

فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل

بينهما سمي به القران لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل

بالمجازه اولكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته لقوله ولقد انزلنا اليكم او الانبياء
عليهم الصلوة والسلام على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون
العبد او الفرقان للعالمين للانس والجن نذيرا منذرا او انذارا
كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكن لقوة دليلها
اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض
بدل من الاولى او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى
ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا
ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال
وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه
الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا
فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان
للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة و
مزاولة الافعال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى
وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون
المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا
من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد



على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم
ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون لا يستطيعون لانفسهم ضرا
دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا
ولا يملكون اماتة احد ولا احياءه اولا ولا بعثه ثانيا ومن كان كذلك
فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه
على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا
الا افك كذب مصروف عن وجهه افتريه اختلقه واعانه عليه
قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه
بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر
فقد جاؤا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود
وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل
فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون
اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي
واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار
اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه فهي
تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب
اوليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم

عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة
لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا
رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها
واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي
يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما نأكل ويمشي
في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله
حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم
ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه تعالى بقوله انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم
بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش
او تكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز
فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة
والكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا
عليهم بالظلم فيما قالوا ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر
فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا
لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة
فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي صلى الله عليه وسلم والمميز بينه وبين



وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك
او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا لك
مما قالوه لكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها
الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير
وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم
والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه
جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية
وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك
لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب
ويصدقون بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك
فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة
الاشتعال وقيل اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم
اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لا تتراءى ناراهما
اي لا تتقاربا بحيث يكون احدهما بمرأى من الآخر على المجاز والتأنيث
لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه
سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ

ورفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة
عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر
وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا
في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب
مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله تعالى الجنة بان عرضها
كعرض السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم
بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون
الهلاك وينادونه فيقولون تعالى يا ثبوراه فهذا حينك لا تدعوا اليوم
ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم
انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد كقوله تعالى
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه
لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد
المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع
مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة
الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا كانت لهم
في علم الله تعالى او اللوح او لان ما وعده الله تعالى في تحققه كالواقع جزاء
على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل



ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب
لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر
همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل
بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين
حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا الضمير في كان لما يشاؤن
والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسئل ويطلب او مسئولا سأله
الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم
ربنا وادخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده
ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم
على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين
وقرا ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود
سواه واستعماله ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف
او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب تحقيرا او اعتبارا
لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب
او الاصنام ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل
فيقول اي للمعبودين وهو تلوين للخطاب وقرا ابن عامر بالنون ءانتم
اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم

عن الرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم او ضلوا
فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه
لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة
قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون
او جمادات لا تقدر على شيء واشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده
فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله تعالى عن الانداد ما كان ينبغي لنا
يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف
يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نُتَّخَذ على البناء للمفعول
من اتخذ الذي له مفعولان كقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني
من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم
بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك
او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث
انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله تعالى بهم فحملهم عليه وهو عين
ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك
قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع
او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام
على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او

او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير
بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي
المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم
وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه
ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط
وان عم كل من كفر وفسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا
وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه
كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير
وهو جواب لقولهم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يُمَشَّون اي
يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة
ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم
ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر أتصبرون علة
للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا

لمن يصبر او فيما يبتلى به وغيره وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لا يأملون

لِقَآءَنَا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة

واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد به

الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لَوْلَا هلا

أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ فيخبرونا بصدق محمد عليه الصلوة والسلام

وقيل فيكونون رسلا الينا أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا فيامرنا بتصديقه واتباعه

لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ اى فى شانها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد

من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله تعالى فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم

من ذلك وَعَتَوْا وتجاوزوا الحد فى الظلم عُتُوًّا كَبِيرًا بالغا

اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا

لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية

واللام جواب قسم محذوف وفى الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب

من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس أبأنا بنابها كليبا

غلت نابٌ كليب بواءها يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ ملائكة الموت او العذاب

ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ فانه بمعنى

يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين

او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية

غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم

من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفى

البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم

تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها

وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ

هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا

يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما

محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حُجرا بالضم واصله الفتح غير انه

لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لم يتصرف فيه ولا يظهر

ناصبه ووصفه بمحجور للتاكيد كقولهم موت مائت وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا

عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم

من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه

لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا

سلطانهم فقدم الى اشيائهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء

غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا

صفته شبه به عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه

فى انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها

او مفعول الثاني من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى كونوا قردة خاسئين أصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث وأحسن
مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان
القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن
رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد
باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل
من الامكنة والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة
الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل
الجنة في الجنة واهل النار في النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق
فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع
الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم
الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام
وهو الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت
وانزل ونزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق
للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو
الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر
او صفة والخبر يومئذ او للرحمن والحق وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا



شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين
واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة
لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط
كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى
ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه
فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي
فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ
قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك
بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه بقتله وطعن
ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق
ولم يتشعب بي طرق الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل
ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام
كما ان هن كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله تعالى
او كتابه او موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة
بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل

او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم
او كل من تشيطن من جن وانس للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه
الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد عليه الصلوة
والسلام يومئذ او في الدنيا بثا الى الله تعالى يا رب ان قومي اتخذوا
هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلوة والسلام
من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة
متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا
ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه
فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه
لان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه تعالى
خالق الشر والعدو ويحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم
ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن اي انزل عليه
كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلاثة
وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان
للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك
انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى



وداود وعيسى عليهم الصلوة والسلام حيث كان اميا وكانوا
يكتبون فلو القي اليه جملة لعيي بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف
لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص
في المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته
زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا انزل به جبريل عليه السلام حالا بعد حال
يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن
الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر
محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف
عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق
بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة
وتمهل في عشرين سنة او ثلاث وعشرين سنة واصل الترتيل في الاسنان
وهو تفلجها ولا يأتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون
به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا
وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون
هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو
احسن كشفا لما بعثت الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي مقلوبين

او منحنين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها
وعنه عليه الصلوة والسلام يحشر الناس على ثلاثة اصناف صنف على الدواب
وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو منصوب او مرفوع او مبتدأ
خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول
عليه الصلوة والسلام على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه
الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم
شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة
ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا يوازره
في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان
المتشاركين في الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا
يعني فرعون وقومه بآياتنا فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم
فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود
منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم
على التأكيد بالنون المثقلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا

نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل
او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم
وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين
عذابا أليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع الضمير
وعادا وثمود عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا
الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهي البئر
الغير المطوية فانهارت فخسفت بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة
كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل
بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان
النبي عليه الصلوة والسلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون
وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ
او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك
سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه
فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بئر وقرونا
واهلا اعصارا قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون
بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله تعالى وكلا ضربنا له

الامثال بيناله القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا
فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر
لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا
والثانى بتبرنا لانه فارغ ولقد اتوا يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم
الى الشام على القرية التى امطرت مطر السوء يعنى سدوم عظمى قرى
قوم لوط امطرت عليهم الحجارة افلم يكونوا يرونها فى مرار مرورهم
فيتعظون بما يرون فيها من اثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا
بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا
فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون
طمعا فى الثواب او لا يخافونه على اللغة التهامية واذا راوك
ان يتخذونك الا هزوا وما يتخذونك الا موضع هزوء او مهزوء
به اهذا الذى بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم
على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا له اهذا الذى زعم انه
بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا
عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما سبق
الى الذهن انها حجج او معجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها
واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى



دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا
كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفى ما يلزمه ويكون الموجب له
وفيه وعيد و دلالة على انهم لا يهملهم وان امهلهم ارايت
من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة
فلا يبتصر دليلا وانما قدم المفعول الثانى للعناية افانت تكون عليه
وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله هذا فالاستفهام
الاول للتقرير والتعجيب والثانى للانكار ام تحسب بل اتحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدى لهم الايات والحجج فتهتم
بشانهم وتطمع فى ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب
عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم عقل الحق
وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام
فى عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم وعدم تدبر فيما شاهدوا
من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها
تنقاد من يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون
احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم
المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد

حقا ولم نكتسب خيرا لم نعتقد باطلا ولم نكتسب شرا بخلاف هؤلاء
ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن
وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة عن طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم
وهؤلاء مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك
الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل
كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح
برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة
على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه
او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر
والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد
النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة
فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير
متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا
الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض
الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا
اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد عبر عن ازالته
بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع



ترتفع الشمس لتنتظم بذلك مصالح العباد ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق
وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها
وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها
ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا
اي مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من
يهديه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة
بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذي جعل لكم
الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا
راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو
الذي يتوفيكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار
نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم
بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان رحمه الله يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر وهو
الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نشرا
ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة
والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا

تخفيف بُشُر جمع بَشُور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا مطهرا لقوله تعالى ليطهركم به وهو

اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ ويوقد به قال عليه

الصلوة والسلام التراب طهور المؤمن اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه

ان يغسل سبعا احديهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول

وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول

وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به يكون اشعارا بالنعمة فيه

وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل

طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم

بذلك اولى لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة

في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد

وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا يعني اهل البوادي الذين

يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل

المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام

غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها

الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم القدرة

فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية



وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقياهم كما قدم عليها

احياء الارض فانها سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى

لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي

او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر

الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات

المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا

او في الانهار والمنابع لِيَذَّكَّرُوا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة

وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم

فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها

او جحودها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ومن يرى الامطار الا من الانواء

كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله تعالى والانواء وسائط وامارات

بجعله تعالى وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا نبيا ينذر اهلها

فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك

وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد والدعوة

واظهار الحق فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين

وَجَاهِدْهُم بِهِ بالقران او بترك طاعتهم الذى يدل عليه ولا تطع والمعنى
انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة
اباطلهم جِهَاداً كَبِيرًا شديدا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة
الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم
وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى
وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان
من مرج دابته اذا خلاها هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ قامع للعطش من فرط عذوبته
وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ بليغ الملوحة وقرئ مَلِح على فعل ولعل اصله مالح فخفف
كبرد فى بارد وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا حاجزا من قدرته وَحِجْرًا مَحْجُورًا وتنافرا
بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا
وذلك كدجلة تدخل البحر تشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها
وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير
وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فيكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة
مع ان مقتضى اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية
وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا يعنى الذى خمر به طينة ادم عليه السلام
او جعله جزء من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات
بسهولة او النطفة فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا اى قسمه قسمين ذوى نسب



اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن كقوله وجعل
منه الزوجين الذكر والانثى وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا حيث خلق من مادة
واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعل قسمين متقابلين
وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى وَيَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ يعنى الاصنام او كل ما
عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وَكَانَ الْكَافِرُ
عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر
الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم
ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا للمؤمنين
والكافرين قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه
الا مبشرا ونذيرا مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ الا فعل من شاء
أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده
بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله
واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة
حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب
اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم

تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلا لانه عليه الصلوة والسلام وقيل
الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم
فانه تعالى الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا
ماتوا ضاع من توكل عليهم وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ونزهه عن صفات النقصان
مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وَكَفَى بِهِ
بِذُنُوبِ عِبَادِهِ ما ظهر منها وما بطن خَبِيرًا مطلعا فلا عليك ان
آمنوا او كفروا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير
لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض
على الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد
خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرَّحْمَنُ خبر للذي ان جعلته مبتدأ
او لمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر
صفة للحي فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء
عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل عليه السلام او من وجده
في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا
اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجي ما يراد



ما يراد فه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده
والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء
وقيل انه صلة خبيرا وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ
لانهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا انه اراد به غيره
ولذلك قَالُوا أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا اي للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده
او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وهو قراءة
حمزة والكسائي وقرأ الباقون بالتاء على انه قول بعضهم لبعض وَزَادَهُمْ
اي الامر بالسجود للرحمن نُفُورًا عن الايمان تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ
بُرُوجًا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية
لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج
لظهوره وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا يعني الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا
وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وَقَمَرًا مُنِيرًا مضيئا بالليل
وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر
كالرشد والرشد والعرب والعرب وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
خِلْفَةً اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه
فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار
وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أن يتذكر

آلاء الله تعالى ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم
واجب الذات رحيم على العباد أو أراد شكوراً ان يشكر الله تعالى
على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من
فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر
بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ
خبره أولئك يجزون الغرفة أو الذين يمشون على الأرض واضافتهم
الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان
عباد جمع عابد كتاجر وتجار هوناً هينين او مشياً هيناً مصدر
وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاماً تسلماً منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا
ولا شر او سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم ولا ينافيه
آية القتال لتنسخه فان المراد هو الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم
والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً في الصلوة وتخصيص البيتوتة
لان العبادة بالليل أحمز وأبعد عن الرياء وتأخير القيام للروي
وهو جمع قائم او مصدر أجري مجراه والذين يقولون ربنا اصرف
عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً لازماً ومنه الغريم لملازمته
وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة



في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم
لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت
مستقراً ومقاماً اي بئست مستقراً وفيها ضمير مبهم يفسره المميز
والمخصوص بالذم ضمير محذوف به يرتبط الجملة باسم ان او احزنت
وفيها ضمير اسم ان ومستقراً حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الأولى
او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله تعالى والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا
تضييق الشحيح وقيل الإسراف هو الإنفاق في المحارم والتقتير منع الواجب
وقرأ ابن كثير وابن عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر والكوفيون
بضم الياء ولم يقتروا من أقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان
بين ذلك قواماً وسطاً وعدلاً سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء
لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها
ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك
لغواً وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف
لانه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون
مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها
بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون

ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصى بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات
اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع
بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا
لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء
وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام اى صعب يضاعف له
العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه فى معناه كقوله متى تاتنا
تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرا ابو عمرو
بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا
وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد
وحذف الالف فى يضعف وقرئ ويخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ
مثقلا وتضعف العذاب ومضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر
ويدل عليه قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة
ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية فى النفس
بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت
له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات
ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصى بتركها والندم عليها و



وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعات
فانه يتوب الى الله يرجع الى الله تعالى بذلك متابا مرضيا عند الله
ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذى يحب التائبين
ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله تعالى والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا
تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة
الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه
واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه
مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء
عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به
والذين اذا ذكروا بايات ربهم بالوعظ او القراءة لم يخروا عليها
صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها
كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين
بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لا يلقانى
زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصى المدلول عليها باللغو والذين يقولون
ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة
وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شارك اهله فى طاعة الله تعالى
سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين

وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت منك
اسدا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر ذريتنا وتنكير الاعين
لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة
بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا
باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس
كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل
كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم
وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم
اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع
كقوله وهم في الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا
بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات
ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة
ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة
من كل آفة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب يلقون من لقي خالدين
فيها لا يموتون فيها ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت
مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت
الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف



فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر
الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة
وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء
يعبؤ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم
في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون
اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم
من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب
لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار
وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف
وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما
بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي عليه الصلوة والسلام
من قرا سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية
لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

## سورة الشعراء

مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخرها وآيها مائتان
وست او سبع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرا حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين
كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده

تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القران
على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ
بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك
بالاضافة ولعل للاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها ان لا يكونوا مؤمنين
لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء
آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها
خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع
الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء
اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق
من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف اكن
على فاصدق لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا وما يأتيهم من ذكر موعظة
او طائفة من القران من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد
انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين
الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا
اى بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى
الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم اى
اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة انباء ما كانوا به

يستهزئون من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق
ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض او لم ينظروا
الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة
وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة
على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا له فائدة
اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك
ان في انبات تلك الاصناف او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة
والحكمة وسابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله
وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام وان ربك لهو
العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم
او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى
مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اى ائت او بان ائت القوم
الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون
بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون
كان اولى بذلك الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار
تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات
اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين

في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغ اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم
مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها
عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا
قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون
رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه في الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب
وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى القلب
عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب
منابه متى يعتريه حبسة حتى لا يختل دعوته ولا ينبتر حجته وليس ذلك
تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره
وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف منه
ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما
سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون
به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة
كما ان ذاك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا باياتنا
اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه
في الارسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي
يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته



طلبته انا معكم يعني موسى وهارون وفرعون مستمعون اي سامعون
لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم
استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة في الوعد
بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو
مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو
فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر وصف به
فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما
للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل
معنا بني اسرائيل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول
والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام قال اي فرعون لموسى بعدما اتياه
فقالا له ذلك الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه
من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة
ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقي
بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به
معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة
بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الآن

فانه كان عليه الصلوة والسلام يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التاءين
ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه عليه السلام من الكافرين بالهيئة ونعمته
لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها اذا وانا
من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل
والسفه او الخاطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤل اليه الوكز
لانه اراد به التاديب او الناسين من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم
لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين رد اولا بذلك
ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدّ عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه
كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها
فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة
تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم
فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار
اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف
او بدل من نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة
شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة
تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه
وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما



سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه
فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما
عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال
واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين
لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها
فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات
ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض
الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية
لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته
قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله
او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية
او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما
لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب
الى الناظر واوضح عند التأمل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا بالسخرية قال رب المشرق والمغرب
وما بينهما تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار
غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات

ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك

لاينهم اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل

مقالهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين

عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند

المحجوج واستدل به على ادعائه للالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه

بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا

اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله

واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم

في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك

بشيء مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعواي يعني المعجزة

فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق

مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فات به

ان كنت من الصادقين في ان لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له

من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان

من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين

روي ان فرعون لما راى الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها

فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال

قوله



حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق

في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون بهره سلطان

المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة قومه وائتمارهم وتنفيرهم

عن موسى عليه الصلوة والسلام واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه

على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن

حاشرين شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه

في هذا الفن وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت

به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس

هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه

كقولهم تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق

اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين

لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي لاعتبار الغلبة المقتضية للاتباع

ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لا ان يتبعوا السحرة

فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى عليه السلام

فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم

وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه

ان غلبوا فاذن على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان

قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون اى بعد ما قالوا له إما أن تلقى
واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن
في تقديم ماهم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فألقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون اقسموا بعزته
على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى
به من السحر فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرا حفص تلقف
بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم
فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به
مبالغة فألقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر
وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزوير يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر
في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما راوه
لم يتمالكوا انفسهم فكأنهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم
بما خولهم من التوفيق قالوا آمنا برب العالمين بدل من القى بدل الاشتمال
او حال باضمار قد رب موسى وهارون ابدال للتوضيح ودفع التوهم
والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما قال آمنتم له
قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء
ولذلك غلبكم او فواعدكم على ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه لئلا



لئلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
وروح أآمنتم بالهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له
قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك إنا إلى ربنا منقلبون بما توعدنا به
فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى
او بسبب من اسباب الموت وقتلك انفعها وارجاها إنا نطمع ان يغفر لنا
ربنا خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل
المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة
وقرئ إن كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة
المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا الى موسى ان اسر
بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق
ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرا ابن كثير ونافع
ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير
انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء
اى اسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم
قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون
مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فأرسل فرعون حين اخبر بسراهم

في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم إن هؤلاء لشرذمة قليلون
على إرادة القول وإنما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين ألفا بالإضافة
إلى الجنود إذ روي أنه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة
الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار أنهم
أسباط كل سبط منهم قليل وإنهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا
وإنا لجميع حذرون وإنا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمور
أشار أولا إلى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم إلى تحقق ما يدعو إليه
من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه أو اعتذر بذلك
إلى أهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون
حاذرون والأول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح
وهو أيضا من الحذر لأن ذلك إنما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال
المهملة أي أقوياء قال أحب الصبي السوء من أجل أمه وأبغضه
من بغضها وهو حادر أو تامّو السلاح فإن ذلك يوجب حدارة في أجسامهم
فأخرجناهم بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس
السنية البهية كذلك مثل ذلك الإخراج أخرجنا فهو مصدر أو مثل
ذلك المقام الذي كان لهم على أنه صفة مقام أو الأمر كذلك فيكون خبر المحذوف



المحذوف وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين داخلين في وقت
شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث يرى كل منهما الآخر
وقرئ تراءت الفئتان قال أصحاب موسى إنا لمدركون لملحقون
وقرئ لمدّركون من ادّرك الشيء إذا تتابع ففني أي لمتتابعون في الهلاك
على أيديهم قال كلا لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم
إن معي ربي بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم
روي أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال أين أمرت فهذا البحر
أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع فأوحينا
إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر القلزم أو النيل فانفلق أي فضرب
فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم
كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب
وأزلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على إثرهم
مداخلهم وأنجينا موسى ومن معه أجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة
إلى أن عبروا ثم أغرقنا الآخرين بإطباقه عليهم إن في ذلك لآية
وأية آية وما كان أكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها أكثرهم
إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط وبنو إسرائيل بعد ما نجوا
سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وإن ربك لهو العزيز

المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركي العرب
نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه
لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم
بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل هنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون
فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم اي يسمعونكم الجواب
عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها
او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا
آباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر
او نفع والتجؤوا الى التقليد قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم
وآباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب الباطل
حقا فانهم عدو لي يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث يتضررون
من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغري بعبادتهم
اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم
فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه
ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب
الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه



عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله تعالى الذي خلقني فهو يهدين
لانه تعالى يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال تعالى
والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله
يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة الى الانسان
هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية
الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول
مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق
واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين على الاول مبتدأ
محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول
على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم
واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما
من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب
المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه
فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض
ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية
وخلاص من انواع المحن والبليات ولان المرض في غالب الامر انما يحدث بتفريط
من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافي

والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص
عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ في الآخرة
وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما
للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما تفرط
منهم او استغفار لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة
على كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها
معاريض وليست خطايا رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا كمالا في العلم والعمل
استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ
ووفقني للكمال في العلم لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح
الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين
ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي
يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد عليه
الصلوة والسلام وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ في الآخرة وقد مر
معنى الوراثة فيها وَاغْفِرْ لِأَبِي بالهداية والتوفيق للايمان
إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ طريق الجنة وان كان هذا الدعاء بعد موته
فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به



به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار وَلَا تُخْزِنِي بمعاتبتي
على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة
وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين
وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يَوْمَ يُبْعَثُونَ
الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ
إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ اى لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب
عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شأنه
وبنوه حيث انفقوا ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير
وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء لهم يوم القيامة
وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اى لا ينفع غنى الا غناه
وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم ينفعه
وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم
المحشورون اليها وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ فيرونها مكشوفة
ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح
لجانب الوعد وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ اين الهتكم
الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ بدفع العذاب عنكم صح أَوْ يَنْتَصِرُونَ
بدفعه عن انفسهم لانهم والهتهم يدخلون النار كما قال فَكُبْكِبُوا فِيهَا

هم والغاوون اى الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرر معناه
كانه الفى من فى النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى قعرها وجنود ابليس
متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود
ان جعل مبتدأ خبره ما بعده او للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير
المنفصل وما يعود اليه فى قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله
ان كنا لفى ضلال مبين على ان الله تعالى ينطق الاصنام فتخاصم العبدة
ويؤيده الخطاب فى قوله اذ نسويكم برب العالمين اى فى استحقاق العبادة
ويجوز ان يكون الضمائر للعبدة كما فى قالوا والخطاب للمبالغة فى التحسر
والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم فى مبدأ ضلالهم معترفون
بانهماكهم فى الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون
فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء عليهم الصلوة
والسلام ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم اصدقاء وشفعاء
اذ وقعنا فى مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع
ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق ولان الصديق
الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو
لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمنى للرجعة واقيم



فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير او شرط حذف جوابه
فنكون من المؤمنين جواب التمنى او عطف على كرة اى لو ان لنا ان نكر فنكون
ان فى ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام لاية
لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب
واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم
الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم
وكمال الاشفاقة عليهم وتصور الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد
على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول
وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز
القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكى يؤمنوا هم او واحد
من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك
تصغر على قويمة وقد مر الكلام فى تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح
لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره انى لكم رسول
امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم به
من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسألكم عليه على ما انا عليه
من الدعاء والنصح من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون
كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته

فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص
بفتح الياء في اجرى الكلمات الخمس قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ
جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرا يعقوب وَأَتْبَاعُكَ وهو جمع تابع كشاهد
واشهاد أو تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم
على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم
بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر
وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا
عَلَىٰ رَبِّي ماحسابهم على بواطنهم الا على الله تعالى فانه المطلع عليها لَوْ تَشْعُرُونَ
لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ
جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا
اتباعهم المانع عنه وقوله إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ كالعلة له اي ما انا الا رجل
مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء
فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا
بينا بالبرهان الواضح فلا علي بان اطردهم لاسترضائكم قَالُوا لَئِنْ لَمْ
تَنْتَهِ يَا نُوحُ عما تقول لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ من المشتومين
او المضروبين بالحجارة قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو



وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا
فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ من قصدهم
وشوم عملهم فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ المملو ثُمَّ أَغْرَقْنَا
بَعْدُ بعد انجائه الْبَاقِينَ من قومه إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً شاعت
وتواترت وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ
تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة
الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء
عليهم الصلوة والسلام متفقون على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع
مبرؤن عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آيَةً علما للمارة تَعْبَثُونَ
ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها
او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا
يفتخرون بها وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ماخذ الماء وقصورا مشيدة وحصونا
لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ فتحكمون بنيانها وَإِذَا بَطَشْتُمْ بسوط او سيف

اي تسخرون بمن مر بهم مدارك
اي ترجون الخلود في الدنيا مدارك
اي اخذتم اخذ العقوبة مدارك

بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تاديب ونظر
في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم اليه
فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله تعالى
اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد
والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل تلك النعم كما فصل بعض مساويهم
المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث
على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما قدر على الانعام
قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة
في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به
الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث
ولا حساب وقرا نافع وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي خلق بضمتين
اي ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا
الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن به مقتدون
او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها
وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح



بريح صرصر ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا
امنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم
واسباب تنعمهم امنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع
ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل انثى
وطلع اناث النخل وهو الطف ما يطلع فيها كنصل السيف في جوفه شماريخ
القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر
اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال
بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق
يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال
الامر او نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض
وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون
دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا
حتى غلب على عقلهم او من ذوي السحر وهي الرية اي من الاناسي فيكون

ما انت الا بشر مثلنا تأكيد له فأت بآية ان كنت من الصادقين
في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله تعالى من الصخرة
بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت
للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا
على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر
فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم
العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقرها برضاهم
ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب
لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب
اي العذاب الموعود ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه
لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله
ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين
اي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او أتأتون
الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن قد اعوزتكم فالمراد

فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق
لكم لاجل استمتاعكم ربكم من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس
الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا
يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون
عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون
في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم
هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او
تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم
كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين
من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان
يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه
من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شومه وعذابه
فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم
من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امرأة لوط عليه السلام
في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها
لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت في القرية
فانها لم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَطَرًا قيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة
بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام
كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ
ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو
المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهو اسم بلدهم وانما كتبت
هنا وفي ص بغير الالف اتباعا للفظ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ
أَوْفُوا الْكَيْلَ اتموه وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ حقوق الناس بالتطفيف
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان
من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرا حمزة والكسائي
وحفص بكسر القاف وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ لا تنقصوا شيئا من حقوقهم
وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بالقتل والغارة وقطع الطريق وَاتَّقُوا
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم
من الخلائق قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا اتوا بالواو



اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه
وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ في دعواك فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ قطعة
منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرا حفص بفتح
السين إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في دعواك قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ
وبعذابه منزل عليكم ما اوجبه لكم في وقته المقدر له لا محالة فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ
عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام
حتى غلت انهارهم واظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها وامطرت عليهم نارا
فاحترقوا إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ هذا اخر القصص السبع المذكورة على
سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا
للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسول به
واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة يدفع به ان يقال انه كان بسبب اتصالات
فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز
القران ونبوة محمد عليه الصلوة والسلام فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها
لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به
العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل

منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فتنتقش بها
لوح المتخيلة والروح الامين جبريل عليه السلام لانه امين الله تعالى
على وحيه وقرا ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بتشديد الزاء ونصب
الروح والامين لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ عما يؤدى الى العذاب من فعل
او ترك بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه
فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اى لتكون ممن انذروا
بلغة العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد عليهم
الصلوة والسلام وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ وان ذكره او معناه
لفى الكتب المتقدمة أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً على صحة القران ونبوة
محمد عليه الصلوة والسلام أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرا
ابن عامر تكن بالتاء وآيةٌ بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه
بدلا او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان ضمير القصة وآية
خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ
كما هو زيادة فى اعجازه او بلغة العجم فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
مُؤْمِنِينَ لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم
من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة



العقوبة وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ لتؤتاه مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ اى حكيم واى
عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة
على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القران منها ما هى حكمة كالعقايد
والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان
بعض تلك العلوم بقوله إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا اى اذكر قصته
اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ اى عن حال الطريق لانه
قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل
والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ أَوْ آتِيكُمْ
بِشِهَابٍ قَبَسٍ شعلة نار مقبوضة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا
وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل عنه او وصف له
لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى
فى طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر
وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ
أَنْ بُورِكَ اى بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك
على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض
بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى احكام كثيرة

مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا من في مكان النار وهو البقعة المباركة
المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة
ومن حولها مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها
من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام
وكِفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها
موسى عليه السلام وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب
بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام
وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع
كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب موسى عليه السلام
لما دهاه من عظمته يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الهاء للشان وانا الله جملة
له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ صفتان لله ممهدتان
لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب
العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير وَأَلْقِ عَصَاكَ
عطف على بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه
قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فَلَمَّا رَآهَا
تَهْتَزُّ تتحرك باضطراب كَأَنَّهَا جَانٌّ حية خفيفة سريعة وقرئ جأن
على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ولم



ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر
اريد به ويدل عليه قوله يَا مُوسَى لَا تَخَفْ اي من غيري ثقة بي او مطلقا
لقوله إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق
فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون
منه إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ استثناء
منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من
فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون
به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل
متصل وثم بدل مستانف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه
بالتوبة وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ لانه كان مدرعة صوف لا كم له
وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ
آفة كبرص فِي تِسْعِ آيَاتٍ في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم
والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخرين
واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات
على انه استيناف بالارسال فيتعلق به إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وعلى الاولين
يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ تعليل للارسال

فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل
اطلق للمفعول اشعارا بانه لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها
لو كانت مما تبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا
ان تهدى او مبصرة كل من نظر اليها وتامل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر
فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوها
واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما
لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق
في الاخرى ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم
الحكم والشرائع او علما اى علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا
بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما
فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من
لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث
شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا
من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما آتاه
من فضله وعلى ان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه
كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في



ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس
علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها
بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير
وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ
يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به
على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان
والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات
منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض
بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت
حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه
ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يتصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت
نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق
لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة
من مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه
او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء
كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل
المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن

وَالْانْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ يحبسون بحبس اولهم على آخرهم

ليتلاحقوا حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ واد بالشام كثير النمل

وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عل او لان المراد

قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا

اخريات الوادي قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ كانها لما

رأتهم متوجهين الى الوادي فرت النملة عنهم مخافة حطمهم

فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها

فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم

مع انه لا يمتنع خلق الله تعالى فيها العقل والنطق لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ

وَجُنُودُهُ نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم

لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له

فان النون لا تدخله في السعة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ انهم يحطمونكم

اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء

وقيل استيناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا

تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله تعالى

من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وَقَالَ رَبِّ

أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه





وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني

الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها

فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما

الدينية وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ اتماما للشكر واستدامة للنعمة

وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ في عدادهم الجنة وَتَفَقَّدَ

الطَّيْرَ وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ

أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر

ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب

فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث

النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ ليعتبر به

ابناء جنسه أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ بحجة تبين عذره

والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى

ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه

خوفا منه فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ يعني حال سبأ وفي مخاطبته

اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به

لیتحاق الیه نفسه ویتصاغر لدیه علمه وقرئ بادغاء الطاء فی التاء
باطباق وبغیر اطباق وَجِئتُكَ مِن سَبَأٍ وقرا ابن کثیر بروایة البزی و
ابو عمرو غیر منصرف علی تاویل القبیلة او البلدة بِنَبَأٍ یَقِینٍ خبر محقق
روی انه علیه الصلوة والسلام لما اتم بناء بیت المقدس تجهز للحج فوافی الحرم واقام
بها ما شاء ثم توجه الی الیمن فخرج من مکة صباحًا فوافی صنعاء ظهیرة فاعجبته
نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم یجد الماء وکان الهدهد رائده لانه یحس طلب الماء
فتفقده لذلک فلم یجده اذ حلق حین نزل سلیمان فرای هدهدًا واقفا فانحط الیه
فتواصفا وطار معه لینظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحکی ما حکی ولعل
فی عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشیاء اعظم من ذلک
یستکبرها من یعرفها ویستنکرها من ینکرها إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ
یعنی بلقیس بنت شراحیل بن مالک بن الریان والضمیر لسبأ او لاهلها وَأُوتِيَتْ
مِن كُلِّ شَيْءٍ یحتاج الیه الملوک وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ عظمه بالنسبة الیها
او الی عروش امثالها وقیل کان ثلاثین ذراعا فی ثلاثین عرضا وسمکا او ثمانین
فی ثمانین من ذهب وفضة مکللا بالجواهر وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ
لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ کانهم کانوا یعبدونها وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
عبادة الشمس وغیرها من مقابح افعالهم فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ سبیل الحق
والصواب فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ الیه أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ فصدهم لان



لان لا یسجدوا او زین لهم ان لا یسجدوا علی انه بدل من اعمالهم
او لا یهتدون الی ان یسجدوا بزیادة لا وقرا الکسائی ویعقوب الا بالتخفیف
علی انها للتنبیه ویا للنداء ومناداه محذوف ای الا یا قوم اسجدوا کقوله
وقالت الا یا اسمع نعظک بخطه فقلت سمیعا فانطق واجیبی وعلی هذا
صح ان یکون استینافا من الله تعالی او من سلیمان علیه السلام والوقف
علی یهتدون ویکون امرا بالسجود وعلی الاول ذما علی ترکه وعلی الوجهین
یقتضی وجوب السجود فی الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا والا تسجدون
وهلا تسجدون علی الخطاب الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وصف له بما یوجب اختصاصه باستحقاق
السجود من التفرد بکمال القدرة والعلم حثا علی سجوده وردا علی من یسجد
لغیره والخبء ما خفی فی غیره واخراجه اظهاره وهو یعم اشراق الکواکب
وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما فی الشیء
بالقوة الی الفعل والابداع فانه اخراج ما فی الامکان والعدم الی الوجوب
والوجود ومعلوم انه یختص بالواجب لذاته اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الذی هو اول الاجرام واعظمها والمحیط بجملتها
فبین العظیمین بون عظیم قَالَ سَنَنظُرُ سنتعرف من النظر بمعنی التامل
أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ام کذبت والتغییر للمبالغة ومحافظة
الفواصل

اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى قريب

تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول

قالت اى بعدما القى اليها يا ايها الملأ انى القى الى كتاب كريم

لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت

مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد فى كوة والقاها

على نحرها بحيث تشعر به انه من سليمان استيناف كانه قيل لها ممن هو

وما هو فقالت انه اى ان الكتاب او العنوان من سليمان وانه وان المكتوب

والمضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن

الرحيم ان لا تعلوا على ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف

اى هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل كتاب وأتونى مسلمين مؤمنين

او منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود

لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما

والنهى عن الترفع الذى هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل

وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء

للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة قالت

يا ايها الملأ افتونى فى امرى اجيبونى فى امرى الفتى واذكروا ما تستصوبون

فيه ما كنت قاطعة امرا ما كنت ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم



بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولوا قوة

بالاجساد والعدد واولوا بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك

موكول فانظرى ماذا تأمرين من المقاتلة والصلح نطعك

ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف

لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية

والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم

فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال

لا يدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم

وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون

تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عادتهم الثابتة

المستمرة او تصديق لها من الله تعالى وانى مرسلة اليهم بهدية

بيان لما ترى تقديمه فى المصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية

ادفعه بها عن ملكى فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل

بحسب ذلك روى انها بعثت منذر بن عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمانا

على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة

معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب

الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره

وراوا عظم شانه تقاصر اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد
سبقهم جبريل عليه السلام بالحال فطلب الحق واخبر عما فيه فامر الارضة
فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت
في الجزعة ودعا بالماء وكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى
ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب وجهه ثم رد الهدية
فلما جاء سليمان اى الرسول او ما اهدت اليه وقرئ جاؤا قال اتمدونني
بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب
وقرا حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء
فما آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه خير مما آتيكم
فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم تفرحون
لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم
حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار
الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله
على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول
اليهم اى الى بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة
لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها
من سبإ اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العزة وهم صاغرون اسراء



اسراء مهانون قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها اراد بذلك
ان يريها بعض ما خصه الله من العجائب الدالة على عظيم القدرة
وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان تنكر عرشها فينظر
اتعرفه ام تنكره قبل ان يأتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة
لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت خبيث مارد من الجن
بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان
او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة
وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه على حمله لقوي امين
لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب
آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل عليهما السلام او ملك ايده الله
تعالى به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف
العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في انا آتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك
او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له
ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب
المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين للفعلية والاسمية والطرف
تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان يوصف الناظر بارسال الطرف

كما في قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
وصفه برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك
نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع
ومثل فيه فلما رآه اي العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه
قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا
من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن
من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او
غيره والكلام في امكان مثله قد مر في اية الاسراء ليبلوني أأشكر
بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر
بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلهما النصب
على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب
لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة
الكفران ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام عليه
قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر
وقرئ بالرفع على الاستيناف أتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون
الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت
تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس

الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان
عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو هو
لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها
وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها
واظهار معجزة لها فقالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك
قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الايات وقيل انه كلام سليمان
وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله
حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات
التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على الانبياء اي واوتينا العلم
بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل
على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم
في ذلك شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي وصدها عبادة
الشمس عن التقدم الى الاسلام او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان
انها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد
على الاول اي صدها نشوها بين اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلي
الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته حسبته لجة وكشفت
عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض

واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوان البحر ووضع سريره فى صدره
فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن
ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤق و
أسؤق قال انه اى ما تظنه ماء صرح ممرد مملس من قوارير
من الزجاج قالت رب انى ظلمت نفسى بعبادتى الشمس وقيل
بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة واسلمت مع سليمان
لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها
او زوجها من تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم
صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ ان اعبدوا الله
بضم النون على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون
ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين
قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون
ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول
العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا
تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها
فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك
اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق مذ اخترعتم دينكم

قال طائركم سببكم الذى جاء منه شركم عند الله وهو
قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون
بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما
يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه وكان فى المدينة تسعة رهط
تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه
وبين النفر انه من الثلاثة او السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة
الى التسعة يفسدون فى الارض ولا يصلحون اى شأنهم
الافساد الخالص عن شوب الصلاح قالوا اى قال بعضهم لبعض
تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد
لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى
بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر
ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث لوليه لولى دمه
ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل
المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك فى قراءة حفص فان مفعلا
قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون
ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد
للشىء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه

ومهلكهم كقولك ما رايت ثمه رجلا بل رجلين ومكروا مكرا
بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم
وهم لا يشعرون بذلك روى انه كان لصالح عليه السلام
في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث
فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه
فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمه
وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين
وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استيناف
او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة
فكيف حال وقرا الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر
محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية
خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة متهدمة من خوى النجم
اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر
مبتدا محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم يعلمون
فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا عليه السلام ومن معه
وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر

واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال
لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون
تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها
بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون افحش أئنكم لتأتون
الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة
على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر
من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون
تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح
او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم
اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون
فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين
قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء
مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى امر رسوله عليه السلام بعد ما قص عليه القصص الدالة
على كمال قدرته وعظم شانه وما خص به رسله من الآيات الكبرى
والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا

علی ما انعم علیهم وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم
واجتهادهم فی الدین او لوطا بان یحمد علی هلاک کفرة قومه ویسلم
علی من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاک آلله خیر
اما یشرکون الزام لهم وتهکم بهم وتسفیه لرأیهم اذ من المعلوم
ان لا خیر فیما اشرکوه رأسا حتی یوازن بینه وبین من هو مبدأ کل
خیر وقرأ ابو عمرو وعاصم ویعقوب بالیاء امن بل امن خلق السموات
والارض التی هی اصول الکائنات ومبادی المنافع وقرئ امن بالتخفیف
علی انه بدل من الله وانزل لکم لاجلکم من السماء ماء فانبتنا به
حدائق ذات بهجة عدل به عن الغیبة الی التکلم لتاکید اختصاص
الفعل بذاته والتنبیه علی ان انبات الحدائق البهیة المختلفة الانواع
المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا یقدر علیه غیره کما اشار الیه
بقوله ما کان لکم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهی البساتین
من الاحداق وهو الاحاطة ءاله مع الله اغیره یقرن به ویجعل له
شریکا وهو المتفرد بالخلق والتکوین وقرئ ءالها باضمار فعل مثل
اتدعون او اتشرکون وبتوسیط مدة بین الهمزتین واخراج الثانیة
بین بین بل هم قوم یعدلون عن الحق الذی هو التوحید
امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات وجعلها قرارا



قرارا ابداء بعضها من الماء وتسویتها بحیث یتأتی استقرار الانسان
والدواب علیها وجعل خلالها وسطها انهارا جاریة وجعل
لها رواسی جبالا تتکون فیها المعادن وتنبع من حضیضها المنابع
وجعل بین البحرین العذب والمالح او خلیجی فارس والروم حاجزا
برزخا وقد مر بیانه فی الفرقان ءاله مع الله بل اکثرهم لا یعلمون
الحق فیشرکون به امن یجیب المضطر اذا دعاه المضطر الذی احوجه
شدة ما به الی اللجأ الی الله تعالی من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة
واللام فیه للجنس لا للاستغراق فلا یلزم منه اجابة کل مضطر
ویکشف السوء ویدفع عن الانسان ما یسوءه ویجعلکم خلفاء الارض
خلفاء فیها بان ورثکم سکناها والتصرف فیها ممن قبلکم ءاله مع
الله الذی متعکم بهذه النعم العامة والخاصة قلیلا ما تذکرون
ای تذکرون آلاءه تذکرا قلیلا وما مزیدة والمراد بالقلة العدم
او الحقارة المزیحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح بالیاء وحمزة و
الکسائی وحفص بالتاء وتخفیف الذال امن یهدیکم فی ظلمات البر
والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات اللیالی
اضافها الی البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق یقال طریقة
ظلماء وعمیاء للتی لا منار بها ومن یرسل الریاح بشرا بین یدی رحمته

يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة

من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب

الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب

فاعل المسبب أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ يقدر على مثل ذلك تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

تعالى الخالق القادر عن مشاركة العاجز المخلوق أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ

ثُمَّ يُعِيدُهُۥ والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة

عليها وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ اى باسباب سماوية

وارضية أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ يفعل ذلك قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ على ان

غيره يقدر على شىء من ذلك إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ فى اشراككم

فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ لما بين اختصاصه بالقدرة التامة

الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب

والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة

على انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيهما من يعلم الغيب

مبالغة فى نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن فى السموات والارض

من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى

واولى العلم من خلقه وهو موصولا او موصوف وَمَا يَشْعُرُونَ



أَيَّانَ يُبْعَثُونَ متى ينشرون مركبة من اى وآن وقرئت بكسر الهمزة

والضمير لمن وقيل للكفرة بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لما نفى عنهم

علم الغيب واكد ذلك بنفى شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه

بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج

والايات فيه وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغى

بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا كمن تحير فى الامر لا يجد عليه دليلا بَلْ هُم

مِّنْهَا عَمُونَ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا

وان اختص بالمشركين ممن فى السموات والارض نسب الى جميعهم كما

فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل

الاول اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم

باستحكام علمهم فى امر الاخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى

واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لان تلك غايتها التى عندها تعدم

وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائى بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم

او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك

وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ بهمزتين ءادرك

وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك وبلى أادرك

وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار

وما فيه بل فاتبات لشعورهم وتفسير له بالإدراك على التهكم
وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان
شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انتم منها عمون او رد
وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا
لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا
لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام
مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد
بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة وقرأ
نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي
اننا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل
من قبل وعد محمد عليه الصلوة والسلام وتقديم هذا على نحن
لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث
ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب
وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير
عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم
على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير



بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ في ضيق اي امر ضيق مما يمكرون
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد
العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم
تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل
تعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون
حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك
كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز
منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده وان
ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل
والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل ولكن اكثرهم
لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون
بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه
وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك
فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما
وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او
اسمان لما يغيب ويخفى والتاء فيهما كالتاء في عاقبة وعافية الا
في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء

على الاستعارة إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُم
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير
والمسيح وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فانهم المنتفعون به إِنَّ
رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بين بنى اسرائيل بِحُكْمِهِ بما يحكم به وهو الحق او
بحكمته ويدل عليه انه قرئ بِحِكَمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ فلا يرد قضاؤه
الْعَلِيمُ بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ولا تبال بمعاداتهم
إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره
إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه
عن متابعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم
باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ
الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ فان اسماعهم في هذه الحالة ابعد
وقرا ابن كثير ولا يَسْمَعُ الصُّمُّ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ
حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرا حمزة وحده وما انت تهدى العمى
إِن تُسْمِعُ اى ما يجدى اسماعك إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا من هو في علم الله
كذلك فَهُم مُّسْلِمُونَ مخلصون من اسلم وجهه لله وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ
عَلَيْهِمْ اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب
أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ وهي الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا



ستون ذراعا ولها قوايم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب
ولا يدركها طالب وروى انه عليه الصلوة والسلام سئل عن مخرجها
فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام تُكَلِّمُهُمْ
من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تَكْلِمُهُم وروى انها تخرج ومعها
عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلوة والسلام فتنكت بالعصا
في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر
نكتة سوداء فيسود وجهه أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا خروجها
او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا
يعنى يوم القيامة مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا بيان للفوج اى فوجا مكذبين
ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبى او اهل قرن شامل للمصدقين
والمكذبين فَهُمْ يُوزَعُونَ يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا
وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا
الى المحشر قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا الواو للحال
اى اكذبتم بها بادى الراى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها
وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اى اجمعتم بين التكذيب بها
وعدم القاء الاذهان لتحققها أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ام اى شئ
كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل

فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل
بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا
بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فهم لا ينطقون باعتذار
لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم
الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص
غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة
بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان
وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل
بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا
فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها
بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها
على الامور الثلاثة ويوم ينفخ في الصور في الصور اذ يقال الصورة
وصور كصوفة وصوف او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى
بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الارض
من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله اي لا يفزع
بان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل



الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام
لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف
بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص اتوه
على الفعل وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين
وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها
وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار
اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر
مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي
اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما يفعلون
عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة
فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعماية
بواحدة وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء
وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول
ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاحوال والعظائم ولذلك يعم
الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد
من افزاع ذلك اليوم وآمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله

وقرا الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها وَمَنْ جَآءَ
بِالسَّيِّئَةِ قيل بالشرك فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ فكبوا فيها
على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى
في قوله ولا تلقوا بايديكم هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
على الالتفات او باضمار القول اى قيل لهم ذلك إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ
رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا امر الرسول صلى الله عليه وسلم
بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة
اشعاراً بانه قد تم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال
بشانه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف
لها وتعظيم لشانها وقرى التى حرمها وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ خلقا وملكا
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ من المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام
وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ وان اواظب على تلاوته لينكشف لى حقايقه في تلاوته
شيئا فشيئا او اتباعه وقرى واتل عليهم وان اتل فَمَنِ اهْتَدَى باتباعه
اياى في ذلك فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ فان منافعه عايدة اليه
وَمَنْ ضَلَّ بمخالفتى فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ فلا على من وبال
ضلالته شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
على نعمة النبوة او على ما علمنى ووفقنى للعمل به سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ القاهرة

القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او في الاخرة فَتَعْرِفُونَهَا
فتعرفون انها ايات الله ولكن لا ينفعكم المعرفة وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم
وقرئ في السبعة بالياء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به
وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله
الا الله سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين اتيناهم الكتاب
الى قوله الجاهلين وآيها ثمان وثمانون بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ نقرأ بقراءة جبريل
ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ
بعض نبأهما مفعول نتلوا بِالْحَقِّ محقين لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
لانهم المنتفعون به إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ استيناف
مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا
فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا
في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم
العداوة كيلا يتفقوا عليه يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ وهم
بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا

اواستيناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منه
وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب
ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع
بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك
اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان
نمن على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم
من باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا
من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف ولا يلزم
من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون
تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله تعالى
بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع جاز ان يجري مجرى المقارن
ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدين ونجعلهم الوارثين
لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر
والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير
للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم
من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم
على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما

وجنودهما بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا
ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس
به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه
ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك
عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين
روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني
اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه
وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية
فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد
العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما
هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي
حزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء
فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوا يربونه ليكبر
ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى
عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتاكيد خطائهم او لبيان الموجب
لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ

وقالت امرأة فرعون اى لفرعون حين اخرجته من التابوت
قرة عين لى ولك وهو قرة عين لنا لانهما لما راياه اخرج من التابو
احباه او لانه كانت لها ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان
بحرى يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفى الحديث
انه قال لك لا لى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها
لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه
مخائل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه و
ارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا
او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين
او من القائلة والمقول له اى وهم لا يشعرون انهم على الخطأ
او فى طمع النفع منه والتبنى له او من احد ضميرى نتخذه على ان الضمير
للناس اى وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد
ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة
حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اى خلاء
لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا بكسر الفاء وسكون الراء
من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر او من الهم لفرط وثوقها
بوعد الله تعالى او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت



ت لتبدى به انها كادت لتظهر بموسى اى بامره وقصته
من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها
بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين
بوعد الله او من الواثقين بحفظه لا بتبنى فرعون وعطفه
وقرئ مؤسى اجراء للضمة فى جار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها
همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه
ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعى اثره وتتبعى
خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب
وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا
عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع
وهو الرضاع او موضعه يعنى الثدى من قبل من قبل قصها اثره
فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له
ناصحون لا يقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان
لما سمعه قال انها لتعرفه واهله خذوه حتى تخبر بحاله فقالت انما
اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتى بمن يكفله فاتت
بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس
والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدى الا ثديك فقالت

انى امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه

اليها اجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه

الى امه كى تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم

ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون

ان موعد محق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلى من الرد

علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت

بوقوعه فى يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذى لا يزيد

عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل

حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على راس الاربعين واستوى

قده او عقله آتيناه حكما نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء

والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل

فيه وهو اوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد الهجرة فى المراجعة

وكذلك ومثل ذلك فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين

على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون

وقيل من منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة

من اهلها فى وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعون فيه قيل كان

وقت القيلولة وقيل بين العشائين وجد فيها رجلين يقتتلان

ن هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه

وهم بنو اسرائيل والاخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة

على الحكاية فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه

فساله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه

فوكزه موسى فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به

صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله

وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه

لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان ماسونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم

ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطا وانما عده من عمل الشيطان

وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت

منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب انى

ظلمت نفسى بقتله فاغفر لى ذنبى فغفر له لاستغفاره

انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت

على قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها

لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اى بحق انعامك

على اعصمنى فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس

رضى الله تعالى عنهما لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت

على من القوة اعين اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك فَأَصْبَحَ

فِى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ يترصد الاستقادة فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ

بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ يستغيثه من الصراخ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِىٌّ

مُبِينٌ بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل اخر فَلَمَّا أَنْ

أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن

على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بنى اسرائيل قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ

أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ قاله الاسرائيلى لانه لما سماه

غويا ظن انه يبطش عليه او القبطى وكانه توهم من قوله انه الذى

قتل القبطى بالامس لهذا الاسرائيلى إِنْ تُرِيدُ ما تريد إِلَّا أَنْ تَكُونَ

جَبَّارًا فِى الْأَرْضِ تطاول على الناس ولا تنظر العواقب وَمَا تُرِيدُ أَنْ

تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى احسن ولما قال

هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن

من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبر كما قال وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ

يَسْعَى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له

لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ

يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ايتمارا

لان كلا من المتشاورين يامر الاخر ويأتمر فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ



اللام للبيان وليست صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم

على الموصول فَخَرَجَ مِنْهَا من المدينة خَائِفًا يَتَرَقَّبُ لحوق طالب

قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ خلصنى منهم واحفظنى

من لحوقهم وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قبالة مدين قرية شعيب

سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن فى سلطان فرعون وكان

بينها وبين مصر مسيرة ثمان قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ

توكلا على الله تعالى وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له

ثلاث طرق فاخذ فى اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا

فى الاخريين وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وصل اليه وهو بئر

كانوا يسقون منها وَجَدَ عَلَيْهِ وجد فوق شفيرها

أُمَّةً مِنَ النَّاسِ جماعة كثيرة مختلفين يَسْقُونَ مواشيهم

وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ فى مكان اسفل من مكانهم امْرَأَتَيْنِ

تَذُودَانِ تمنعان اغنامهما عن الماء لئلا يختلط باغنامهم

قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ما شانكما تذودان قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّى

يُصْدِرَ الرِّعَاءُ يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة

الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما

ويدعوه الى السقى لهما ثم دونه وقرا ابو عمرو وابن عامر يَصْدُرَ

اى ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وَاَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا
فَسَقَى لَهُمَا مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على راس البئر
حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به
من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئر اخرى عليها
صخرة فرفعها واستقى منها ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ
إِلَيَّ لاى شئ انزلت الى مِنْ خَيْرٍ قليل او كثير وحمله الاكثرون
على الطعام فَقِيرٌ محتاج سائل ولذلك عدى باللام وقيل معناه انى لما
انزلت الى من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة عند فرعون
والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي
عَلَى اسْتِحْيَاءٍ اى مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى
واسمها صفوراء او صفراء وهى التى تزوجها موسى قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ
لِيَجْزِيَكَ ليكافئك أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا جزاء سقيك لنا ولعل
موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر
بل روى انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت
لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا
هذا وان من فعل معروفا فاهدى بشئ لم يحرم اخذه فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ

الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ يريد فرعون
وقومه قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يعنى التى استدعته يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ
لرعى الغنم إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ تعليل شائع
يجرى مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه
جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امر مجرب
معروف روى ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت
اقلال الحجر وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه
قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ان تاجر
نفسك منى او تكون لى اجيرا او تثيبنى من اجرك الله ثَمَانِيَ حِجَجٍ
ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اى رعية
ثمانى حجج فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا عمل عشر حجج فَمِنْ عِنْدِكَ فاتمامه
من عندك تفضلا لا من عندى الزاما عليك وهذا استدعاء
العقد لا نفسه ولعله جرى على معينة وبمهر اخر برعية الاجل
الاول ووعد له ان يوفى الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت
الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك وَمَا
أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ بالزام اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة
الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما

يصعب عليك بشق عليك اعتقادك في طاقته ورأيك في مزاولته
ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب
والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني
فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما
قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا يعتدى علي
بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بزيادة على
الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي
وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال
ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين
ايهما علي من الغيث استهلت مواطره واي الاجلين ما قضيت
فتكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه
وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد
حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامرأته روي انه قضى
اقصى الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشرا اخر ثم عزم على الرجوع آنس
من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله
امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة
عود غليظ سواء كان في رأسه نار او لم تكن قال كثير باتت حواطب ليلى

ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس
من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله
من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم
تصطلون تستدفئون فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن
اتاه النداء من شاطئ الواد الايمن لموسى في البقعة المباركة متصل
بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال
لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله
رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل في اللفظ فهو طبقه
في المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت
ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة
او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع
يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين
عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك
ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك
يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى
تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر
وهو ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة

ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية
استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن
واطمأن ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف
فافعل ذلك تجلدا او ضبطا لنفسك وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرا حفص بالفتح
والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد
وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان
وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم
بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل
فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا بهما الى فرعون
وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل
اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها
واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا معينا وهو
في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرا نافع ردا بالتخفيف
يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف
ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق
القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب

الى السبب وقرا عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب
محذوف قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة
الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها
بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون
اليكما باستيلاء او حجاج باياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا
باياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم
او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما
الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة على ان اللام فيه للتعريف
لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا قالوا ما هذا الا سحر مفترى
سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله او سحر
موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر
او ادعاء النبوة في اباءنا الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى
ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون
وقرا ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لقولهم ووجه العطف ان المراد
حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحها من الفاسد
ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا
وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها

بالذات الثواب والعقاب انما قصدت بالعرض وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء

انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة

في العقبى وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري

نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه

ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لي

يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم

انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه

من الكاذبين او اراد ان يبنى له رصد يترصد منها اوضاع الكواكب

فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم

نفي المعلوم كقوله تعالى اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض

فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة

لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم

الانفعالية وقيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه

يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا

في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير استحقاق

وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرا نافع وحمزة والكسائي

بفتح الياء والجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه



فخامة وتعظيم لشان الاخذ واستحقار للماخوذين كانه اخذهم مع

كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره

والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه

فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها

وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية

كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف

الصارفة يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي

ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم

في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم

الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين

وممن قبح وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما

اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط

بصائر للناس انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق

والباطل وهدى الى الشرايع التي هي سبيل الله ورحمة لانهم

لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال

يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب

الغربي يريد به الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى عليه السلام

او الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اى ما كنت حاضرا إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ اذ أوحينا اليه الامر
الذى اردنا تعريفه وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ للوحي اليه او على الوحي
اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخبارا
عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لا تعرف الا بالوحي ولذلك
استدرك عنه بقوله وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ
اى ولكنا اوحيناه اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت
عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست العلوم فحذف
المستدرك واقام سببه مقامه وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا مقيما فِي أَهْلِ مَدْيَنَ
شعيب والمؤمنين به تَتْلُو عَلَيْهِمْ تقرأ عليهم تعلما منهم آيَاتِنَا
التى فيها قصتهم وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ اياك ومخبرين لك بها وَمَا
كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية
وبالاول حين استنباه لانهما المذكوران في القصة وَلَكِنْ رَحْمَةً
مِنْ رَبِّكَ ولكن علمناك رحمة وقرئت على هذه رحمة لِتُنْذِرَ
قَوْمًا متعلق بالفعل المحذوف مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ
لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهى خمسماية وخمسون سنة
او بينك وبين اسماعيل على ان دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت



مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
يتعظون وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا
رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا لولا الاولى امتناعية والثانية
تحضيضية واقعة في سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها
لها بالامر ومفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى
السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفا
ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب
محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم
ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها
ونكون من المصدقين ما ارسلناك اى انما ارسلناك قطعا لعذرهم
والزاما للحجة عليهم فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ
الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا يعني الرسول المصدق بانواع من المعجزات قَالُوا لَوْلَا
أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما
اقتراحا وتعنتا أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ يعني ابناء جنسهم
في الراى والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد
عاد قَالُوا سَاحِرَانِ يعني موسى وهارون او موسى ومحمد
عليهما السلام تَظَاهَرَا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين

وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او
اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا
على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء
عليهم الصلوة والسلام قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
منهما مما انزل على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد
ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام
اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي
يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم
فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف
المفعول للعلم به ولأن فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء
وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله
وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها
ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله
في موضع الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله
لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا في الا



في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ
بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون
الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل
الكتاب وقيل في الاربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون
جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله
للقرآن كالمستكن في واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله
انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله
مسلمين استيناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه
حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره في الكتب المتقدمة
وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم
صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم
بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمان
او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى المشركين ومن هاجرهم
من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة
المعصية لقوله عليه الصلوة والسلام اتبع الحسنة السيئة تمحها
ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم

شاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين
لا نطلب صحبتهم ولا نريدها إنك لا تهدي من أحببت لا تقدر أن تدخله
في الإسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الإسلام وهو أعلم
بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب
فإنه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا إله إلا الله
كلمة أحاج بها لك عند الله قال يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق ولكني أكره
جزع عند الموت وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا
نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك
وخالفنا العرب وإنما نحن أكلة الرأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد الله تعالى
عليهم بقوله أولم نمكن لهم حرما آمنا أولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن
بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى إليه
يحمل إليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء
من كل أوب رزقا من لدنا فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام
فكيف نعرضهم للخوف والتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد
ولكن أكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا
وقيل إنه متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك



ذلك رزق من عند الله تعالى إذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا
على المصدر من معنى يجبى أو الحال من الثمرات لتخصصها بالإضافة ثم
بين أن الأمر بالعكس فإنهم أحقاء بأن يخافوا من بأس الله على ما هم عليه
بقوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي وكم من أهل قرية
كانت حالهم كحالهم في الأمن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله تعالى عليهم
وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم إلا قليلا
من السكنى إذ لا يسكنها إلا المارة يوما أو بعض يوم أو لا يبقى من يسكنها
إلا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم إذ لم يخلفهم
أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها
بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بإضمار زمان
مضاف إليه أو مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك
وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث في أمها في أصلها التي هي
أعمالها لأن أهلها يكون أفطن وأنبل رسولا يتلو عليهم آياتنا
لإلزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون
بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما أوتيتم من شيء من أسباب الدنيا
فمتاع الحياة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية
وما عند الله هو ثوابه خير في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة

وبهجة كاملة وأبقى لانه ابدى افلا تعقلون فتستبدلون الذى
هو ادنى بالذى هو خير وقرئ بالياء وهو ابلغ فى الموعظة افمن وعدناه
وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه
مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية
معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذى هو مشوب بالآلام
مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين
للحساب او العذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وابن عامر
فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه
الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتبت عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف
على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون
اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما
قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو
قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد
ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع
الى الموصول اغويناهم كما غوينا اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما
غوينا وهو استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا
بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر



الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة
لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر
هوى منهم وهى تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا
ما كانوا ايانا يعبدون اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون
اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اى من عبادتهم ايانا
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم
لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما لهم
لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب
او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمنى اى تمنوا انهم كانوا مهتدين
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول
فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء
فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم
لا تهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة
ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج
فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا
به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك
من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم

وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون
لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله
فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان
والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق
عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق
ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة
اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا
والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى
منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه
ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل في قولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة
مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى يختار الذى كان لهم فيه
الخيرة اى الخير والصلاح سبحان الله تنزه ان ينازعه احد
او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة
ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول وحقده
وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا
هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولى للنعم

للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه
في الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى
صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء
النافذ في كل شئ واليه ترجعون بالنشور قل ارأيتم ان جعل
الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والميم
مزيدة كميم دلامص الى يوم القيامة باسكان الشمس تحت الارض
او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم بضياء
كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير
بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل
ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة باسكانها
في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله
يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال
ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته
مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله
ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان
استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله

في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله
في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين
كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله
من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن
عن سند وانما كان محض تشهٍّ وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة
شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم
هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق
لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة
الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى
كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به فبغى عليهم
فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم
قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال
لموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه
من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه
جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح
لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي
آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى امال والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة

الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف
حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر
والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول
عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح
كما قال اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
ولذلك قال الله تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه
مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا
وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك
فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي
نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك
واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك
وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ
الفساد في الارض نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي يكون علة
للظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما
اوتيته على علم عندي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق
عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التورية وكان
اعلمهم بها وقيل هو علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب

وقيل علم بكنوز يوسف عليه السلام وعندى صفة له او متعلق
باوتيته كقولك جاز هذا عندى او فى ظنى واعتقادى اولم يعلم
ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر
جمعا تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه
بذلك لانه قراه فى التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد
لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم منه اى اعنده مثل ذلك
العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين
ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع
او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه تعالى لما هدد قارون
بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين
انه لم يكن مما يخصهم بل الله تعالى مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم
عليها لا محالة فخرج على قومه فى زينته كما قيل انه خرج على بغلة
شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على
زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس
من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون تمنوا مثله لا عينه
حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا
العلم باحوال الاخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر



للزجر عما لا يرتضى ثواب الله فى الاخرة خير لمن آمن وعمل صالحا
مما اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقاها الضمير فيه
للكلمة التى تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة
او للايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة الا الصابرون
على الطاعات وعن المعاصى فخسفنا به وبداره الارض روى انه
كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت
الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح
موسى بين بنى اسرائيل فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان
يوم العيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه
ومن زنا غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون
ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة
فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله ان تصدق فقالت
جعل لى قارون جعلا على ان ارميك بنفسى فخر موسى عليه السلام
شاكيا عنه الى ربه فاوحى الله تعالى اليه ان مر الارض بما شئت
فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته
الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به
وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه

ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة
لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف
بداره وامواله فما كان له من فئة اعوان مشفقة من فاوذ
راسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه
وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه
فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته
بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة
تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض ويكأن عند البصريين
مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله
يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويك اعلم
ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا
لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله ويكأنه لا يفلح الكافرون
لنعمة الله تعالى او المكذبون لرسله وبما وعد لهم من ثواب الاخرة
تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها
وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد



اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين
ما لا يرضاه الله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا
ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات
وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة
اليهم الا ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون
مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته
وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود
الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على ان ها
من العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين
واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة
الحسنى في الدارين روى انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق
الى مولده ومولد آبائه فنزلت قل ربي اعلم من جاء بالهدى
وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم
ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال
يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله
وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معاد كما
القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه

رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القى
اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين
بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة لطلبتهم ولا يصدنك
عن ايات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك
وقرئ يصدنك من اصد وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده
ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها آخر
هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع عن مساعدته لهم لا اله الا هو
كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد
ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ فى الخلق واليه ترجعون
للجزاء بالحق عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص
كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات
والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وآيها تسع وستون بسم الله الرحمن
الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده
دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان
مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى
مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان

ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين
لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم
آمنا هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين
غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله تعالى بمشاق التكاليف كالمهاجرة
والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب
فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت فى الدين
من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد
الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب
روى انها نزلت فى ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل فى عمار
قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه
وامراته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا
يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا
ينبغى ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا
فى الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك
قيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اى

وليعرفنهم الناس او لنسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة
كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر
والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا
ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد
مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان
ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس
الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم
من كان يرجو لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى
او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال
عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله
فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله
فان الوقت المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء
آتيا كان اللقاء كائنا فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما
يستوجب به القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد العليم
بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة
والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله
لغني عن العالمين فلا حاجة له الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم



عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم
ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن
او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى
وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له احسن بوالديك حسنا
وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية
اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه
يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم
بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم
بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر
قبل الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه
ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والاية
نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانها سمعت باسلامه
حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد

ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى
انبياء الله المرسلين او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من
يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان
جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان
كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة
ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون
او قوم ضعيف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول
اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق
وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين
فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا
الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة
او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين
على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف
الاوزار عنهم ان كانت تنجيهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم
وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون

من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين
شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم
واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال
والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء
وليسألن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون
من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روي
انه بعث على راس اربعين ودعا قومه تسعماية وخمسين وعاش
بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال
العدد فان تسعماية وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر
الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة
تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد
من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان
طوفان الماء وهو ما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم
ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب
معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين
وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة

او الحادثة آية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وابراهيم عطف
على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم
اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله
وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال
ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون
الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور
بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون
افكا وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله
او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث
انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق وتخلقون من تخلق للتكلف
وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث
انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم
وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله
فانه المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم
بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما
فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبوني

وان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضر
هم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب
فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي يزول معه
الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة
قصة ابراهيم عليه السلام الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون
اعتراضا بذكر شأن النبي عليه الصلاة والسلام وقريش وهدم
مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته
من حيث ان مساقها لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به
من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم في قومه
اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة وغيرها وقرأ حمزة
والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم
يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا
على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة
بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار
ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة
او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء

قل سيروا في الارض حكاية كلام الله تعالى لابراهيم او محمد عليهما
الصلاة والسلام فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس
والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى
التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع
واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد
اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود
بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له
بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرئ
النشاءة كالرآفة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته
ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر
على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء
رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم
عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري
في الارض او الهبوط في مهاويها او التحصن في السماء او القلاع الذاهبة
فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان رضي الله تعالى عنه
امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل

من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله
بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا
من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضي للتحقق
والمبالغة او يئسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم
عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابراهيم له
وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند
الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه في النار فانجاه الله منها
بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات
هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء
روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص والتأمل
فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة
الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني
مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني
بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة
بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر مودة ناصبة بينكم والوجه
ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة

على انها خبر مبتدأ محذوف اى هى مودة او سبب مودة بينكم والجملة
صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف
وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ
لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا اى يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على
تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ومأويكم النار وما
لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخته
واول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وقال
انى مهاجر من قومى الى حيث امرنى ربى انه هو العزيز الذى
يمنعنى من اعدائى الحكيم الذى لا يأمرنى الا بما فيه صلاحى روى انه
هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران
ثم منها الى الشام فنزل بفلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا
له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة
من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا فى ذريته
النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول
الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا فى الدنيا
باعطاء الولد فى غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم



فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه آخر الدهر
وانه فى الآخرة لمن الصالحين لفى عداد الكاملين فى الصلاح
ولوطا عطف على ابراهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه
ائنكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة فى القبح وقرأ الحرميان
وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام
واجمعوا على الاستفهام فى الثانى ما سبقكم بها من احد
من العالمين استيناف مقرر لفحاشتها من حيث انها مما اشمأزت
منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم
ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة
بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون
سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون
فى ناديكم فى مجالسكم الغاصة ولا يقال النادى الا لما فيه اهله
المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبايح
عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمى البنادق فما كان جواب
قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
فى استقباح ذلك او فى دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال
رب انصرنى بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة

وسنتها فمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العقاب
واشعارا بانهم احقاء بان يحل بهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه
القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال
ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم
في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض
عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي
عليه السلام بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه
وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تاقيت الاهلاك
باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان عن الخطاب الا امرأته كانت
من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا
لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم
قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا
وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده
وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع
ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن

انا



على تمكنهم انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين
وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك
بالتخفيف ووافقهم ابو بكر في الثاني وموضع الكاف الجر على المختار
ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل
انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها
سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب
وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم
ولقد تركنا منها آية بينة هي حكايتها الشايعة او آثار
الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية
بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق
بتركنا او آية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا
الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه
فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف
ولا تعثوا في الارض مفسدين فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة
وقيل صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب ترجف لها فاصبحوا
في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين

باركين على الركب ميتين وعادًا وثمود منصوبان باضمار اذكر
او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب
وثمود غير مصروف على تأويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم
اى تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم
اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر
والمعاصى فصدهم عن السبيل السوى الذى بين الرسل لهم
وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا
او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا
حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفون على عاد
وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات
فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم
امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين
اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبًا
ريحًا عاصفًا فيها حصباء او ملكًا رماهم بها كقوم لوط ومنهم
من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض
كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه
وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم



جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض
للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه
معتمدًا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا فيما نسجه من الوهن
والخور بل ذاك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعًا او مثلهم بالاضافة
الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل يبنى بيتًا من حجر وجص والعنكبوت
يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت
ويجمع على عناكب وعكاب واعكبة واعكب وعناكيب وان اوهن
البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد
منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى العلم لعلموا ان هذا مثلهم
او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت
دينهم سماه به تحقيقًا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به
فى الدين دينهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء
على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان ويعقوب
بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم
معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون
او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون
عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل

وعلى الاخرين وعبدهم وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ تعليل على المعنيين
فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه
وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم
واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قدر
على مجازاتهم وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ يعني هذا المثل ونظائره
نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ تقريبا لما بعد من افهامهم وَمَا يَعْقِلُهَا
ولا يعقل حسنها وفائدتها إِلَّا الْعَالِمُونَ الذين يتدبرون
الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلا
هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب
سخطه خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ محقا غير قاصد به
باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة
على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِلْمُؤْمِنِينَ لانهم المنتفعون بها اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه
فان القارئ المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له
اول ما قرع سمعه وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ بان يكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها



بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روي
ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال
ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وللصلوة
اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل فان اشتمالها
على ذكره هي العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات
او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا تَصْنَعُونَ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة
وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الا بالخصلة التي
هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة
بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه
وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم
إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات
الولد وقولهم يد الله مغلولة او نبذ العهد ومنع الجزية وَقُولُوا
آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ هو من المجادلة بالتي هي احسن
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم

وان قالوا صدقا المنكذبوهم وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله وَكَذَٰلِكَ ومثل ذلك الانزال أَنزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله
فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ هم عبد الله بن سلام واضرابه
او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم من اهل الكتابين مَن يُؤْمِنُ بِهِ بالقرآن
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا مع ظهورها وقيام الحجة عليها إِلَّا الْكَافِرُونَ
الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التامل فيما يفيد
لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم
كما اشار اليه بقوله وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ
بِيَمِينِكَ فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة
على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين
زيادة تصوير للمنفي ونفي التجوز في الاسناد إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ
اي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب
الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه

واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم
نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون
المقدر بَلْ هُوَ بل القرآن آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا الظَّالِمُونَ الا المتوغلون في الظلم والمكابرة بعد وضوح
دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ
مِّن رَّبِّهِ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم
الصلوة والسلام وقرا نافع وابن عامر والبصريان وحفص ايات
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم
بما تقترحون وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ليس من شاني الا الانذار
وابانته بما اعطيت من الايات أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ آية مغنية
عما اقترحوه أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يدوم تلاوته
عليهم متحدين به فلا يزال معهم اية ثابتة لا تضمحل بخلاف
سائر الايات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم
من نعتك ونعت دينك إِنَّ فِي ذَٰلِكَ هو اية مستمرة
وحجة مبينة لَرَحْمَةً لنعمة عظيمة وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين

اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول
اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم نبيهم الى ما
جاء به غير نبيهم فنزلت قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا
بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او تبليغي ما ارسلت به اليكم
ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ فلا يخفى عليه حالي وحالكم وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وهو
ما يعبد من دون الله وَكَفَرُوا بِاللَّهِ منكم أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
بقولهم امطر علينا حجارة من السماء وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لكل عذاب او
قوم لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عاجلا وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً فجأة
في الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
باتيانه يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
ستحيط بهم يوم ياتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الآن
لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا
بحكم الجنس على حكمهم يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ ظرف لمحيطة
او لمقدر مثل كان كيت وكيت مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ من



جميع جوانبهم وَيَقُولُ الله او بعض الملائكة بامره
وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
اي جزاءه يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم
فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام
من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة
وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام والفاء جواب
شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي
في ارض فاخلصوها في غيرها كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ تناله لا محالة
ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد
في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ لننزلنهم مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا علالي وقرئ لنثوينهم
اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى
لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ وقرئ
فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الَّذِينَ صَبَرُوا
على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق

وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكأين من دابة
لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح
ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها
وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها
واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا
على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة
ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم
بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس
والقمر المسئول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول
وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق
عليه واحدا على ان القبض والبسط على التعاقب وان لا يكون واحدا
على وضع الضمير في له موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم
ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله
معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم

ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك
قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك
واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون
حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم
وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة
الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة
الا لهو ولعب الا كما يلهو ويلعب به الصبيان يجتمعون
عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار
الآخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت
عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به
ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ
من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة
ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا
عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة
سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح
حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا في البحر
دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه

من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم
بانه لا يكشف الشدايد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
فاجئوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي
اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا
باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد
ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا
بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا
يعني اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا
عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس
من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور
وتناهب افبالباطل يؤمنون ابعد هذه النعمة المكشوفة
وغيرها مما لا يقدر عليها الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون
وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين
للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه
يعني الرسول او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا
قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم

مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله ألستم خير من ركب المطايا
اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله
وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان
في جهنم مثوى للكافرين حين اجترؤوا هذه الجرأة والذين
جاهدوا فينا في حقنا واطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي
الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير
الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير
وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله مع المحسنين
بالنصر والاعانة قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة
العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين
والمنافقين سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الآية وآيها ستون او تسع و
خمسون بسم الله الرحمن الرحيم
الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض
المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل
من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول

وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب  سيغلبون في بضع سنين
روى ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل
بالجزيرة وهو ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة
ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب
ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن
عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم
فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف
كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل
واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رضي الله عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث
الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع
سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر
رضي الله عنه الخطر من ورثة ابي وجاء به الى الرسول صلى الله
عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود
الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والاية
من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون
بالضم

بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم
في السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض
بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل  لله الامر
من قبل ومن بعد  من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم
مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين
اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه
وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا
وبعدا اي اولا واخرا  ويومئذ  ويوم يغلب الروم
يفرح المؤمنون بنصر الله  من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه
من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين
وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم
وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم
بعضا حتى تفانوا  ينصر من يشاء  فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى
وهو العزيز الرحيم  ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل
عليهم بنصرهم اخرى  وعد الله  مصدر مؤكد لنفسه
لان ما قبله في معنى الوعد  لا يخلف الله وعده  لامتناع الكذب
عليه  ولكن اكثر الناس لا يعلمون  وعده ولا صحة وعده لجهلهم

وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها
والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصودة منها
هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ
وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وعلى الوجهين مناد على تمكن
غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله
لا يعلمون تقرير لجهالتهم وتشبيهها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها
من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها
وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها
منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها
مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعار
بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا
اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او لم يتفكروا
في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها
للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات باسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها
على اعادتها قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه الكلام
واجل مسمى ينتهي عنده ولا يبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء



بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى او قيام
الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية
وان الآخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض
ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد
وثمود واثاروا الارض قلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج
المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض
اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي
زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون
بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدارها على التبسط
في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة
وهم ضعفاء ملجؤون الى دار لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم
ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا
انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة
الذين اساؤوا السوءى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة
السوءى او وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان تكون تلك عاقبتهم

وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث الاسوء كالحسنى تانيث الاحسن

او مصدر كالبشرى نعت بها أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا

يَسْتَهْزِئُونَ علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان

والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين

اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات

واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة للفعل وان كذبوا

تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة

لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة

معنى القول وقرا ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم

السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ينشئهم

ثم يعيده يبعثهم ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ للجزاء والعدول الى

الخطاب للمبالغة في المقصود وقرا ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء

على الاصل وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ يسكتون متحيرين

آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه

الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته

وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ ممن اشركوهم بالله شُفَعَاءُ يجيرونهم

من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ يكفرون

بالهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم

وكتب في المصحف شفعوا وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف

اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ

يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ اى المؤمنون والكافرون لقوله فَأَمَّا الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ارض ذات ازهار وانهار

يُحْبَرُونَ يسرون سرورا تهللت له وجوههم وَأَمَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ

مُحْضَرُونَ مدخلون لا يغيبون عنه فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ

تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ اخبار في معنى الامر بتنزيه الله

تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته

وتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد

الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات

والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة

والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار

من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد

النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون

وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا
المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون
صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان
الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة
والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان
يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية
وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون
الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي
ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه
وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر
من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة من الانسان
والطائر او يعقب الحيوة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات
بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون
من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرا حمزة والكسائي
بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء
لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون فاجأتم وقت

وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام وسائر النساء
خلقن من نطفة الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر
لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم
والاختلاف سبب التنافر وجعل بينكم اي بين الرجال والنساء
او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق
وغيرها خلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش
الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم
وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمة
منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك
من الحكم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف
السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها
واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد تسمع
منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده
او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع
التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما
والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة

إن في ذلك لآيات للعالمين لا يكاد يخفى على عاقل من ملك أو إنس أو جن
وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها إلا العالمون ومن
آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين
لاستراحة القوى النفسانية وقوة قوى الطبيعية وطلب معاشكم
فيهما أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين
والفعلين بعاطفين إشعارا بأن كلا من الزمانين وإن اختص بأحدهما
صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الوارد فيه إن في ذلك
لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فإن الحكمة فيه ظاهرة
ومن آياته يريكم البرق مقدر بأن كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر
كقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أو صفة لمحذوف تقديره آية
يريكم بها البرق كقوله فما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى
أبتغي العيش أكدح خوفا من الصاعقة وللمسافر وطمعا
في الغيث وللمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فإن إراءتهم
يستلزم رؤيتهم أو له على تقدير مضاف نحو إراءة خوف وطمع أو
تأويل الخوف والطمع بالإخافة والإطماع كقوله فعلته رغما للشيطان
أو على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد



بالتشديد فيحيي الأرض بالنبات بعد موتها يبسها
إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط
أسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته
ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره قيامهما بإقامته لهما
وإرادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس
والتعبير بالأمر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثم إذا
دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون عطف على أن تقوم
على تأويل مفرد كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والأرض بأمره
ثم خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة فيقول أيها الموتى
اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق إرادته
بلا توقف واحتياج إلى تجشم عمل بسرعة ترتب إجابة الداعي
المطاع على دعائه وثم إما لتراخي زمانه أو لعظم ما فيه ومن
الأرض متعلق بدعا كقوله دعوته من أسفل الوادي فطلع إلي
لا بتخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبله وإذا الثانية
للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الأولى وله من
في السموات والأرض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم
لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد إهلاكهم

وهو أهون عليه والإعادة أسهل عليه من الأصل بالإضافة
إلى قدرتكم والقياس إلى أصولكم وإلا فهما عليه سواء ولذلك
قيل الهاء للخلق وقيل أهون بمعنى هين وتذكيره هو لأهون
أو لأن الإعادة بمعنى أن يعيد وله المثل الأعلى الوصف العجيب الشأن
كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا إله إلا الله
أراد به الوصف بالوحدانية الأعلى الذي ليس لغيره ما يساويه
أو يدانيه في السموات والأرض وصفه به ما فيهما دلالة
ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن
وإعادته الحكيم الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته
ضرب لكم مثلا من أنفسكم منتزعا من أحوالها التي هي أقرب
الأمور إليكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من مماليككم
من شركاء فيما رزقناكم من الأموال وغيرها فأنتم فيه سواء
فتكونون أنتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر
مثلكم وأنها معارة لكم ومن الأولى للابتداء والثانية للتبعيض
والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي تخافونهم
أن يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم أنفسكم كما تخاف الأحرار
بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات نبينها



نبينها فإن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال بل اتبع الذين ظلموا بالإشراك
أهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فإن العالم إذا اتبع
هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من أضل الله فمن يقدر على هدايته
وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها
فأقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت أو ملتفت عنه
وهو تمثيل للإقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرت الله
خلقته نصب على الإغراء أو المصدر بما دل عليه ما بعدها التي فطر
الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه
أو ملة الإسلام فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها
وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر
أحد أن يغيره أو ما ينبغي أن يغير ذلك إشارة إلى الدين المأمور
بإقامة الوجه له أو الفطرة إن فسرت بالملة الدين القيم المستوي
لا عوج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم
منيبين إليه راجعين إليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقيل
منقطعين إليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله
أو في أقم لأن الآية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والأمة لقوله

واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت
بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما له من الذين فرقوا دينهم
بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم
وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا
شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم
فرحون مسرورون ظنا بانه على الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة
كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا
ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم
منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون
فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم
اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه
التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم
وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة
وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة
كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم
وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون في الوهيته واذا اذقنا الناس
رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان



وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم
اذا هم يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائي
بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة
والحكمة فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به ابو حنيفة
رحمه الله تعالى على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به
والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له الرزق ولذلك رتبه على ما
قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته
اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب الى الله تعالى
لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم
النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة
او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما
جئتم به من اعطاء ربا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو
في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه
وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم

من زكوة تريدون وجه الله يبتغون به وجهه خالصا فاولئك
هم المضعفون ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف
المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم
واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة
عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به
الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل
ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما
موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها راسا
عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه
البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه
عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون
الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابطة من ذلكم لانه بمعنى من افعاله
ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال
والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منهما مستقلة بالتاكيد لتعجيز الشركاء
ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق و



اخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم
وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى والجود بما كسبت ايدي الناس
بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه
وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي
عملوا بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة
وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون
عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل
لتشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين
استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم
او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم
وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم
لا مرد له لا يقدر احد ان يرده وقوله من الله متعلق بياتي
ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته
القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون
فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله
وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص

ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون
او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود
بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه
اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم
من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له وقوله من فضله دال على ان
الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول
عن الظاهر ومن آياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب
فانها رياح الرحمة فاما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة
والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير والكسائي
وحمزة الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته
يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها
او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها
مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه
ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم
تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك
رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا
بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم

لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه
عليه الصلاة والسلام ما من امرء مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا
على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا
على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا
او واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك
ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرا ابن عامر بالسكون على انه
مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر
يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده
يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير
للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم
وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين
فانظر الى اثر رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار
وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده
الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها

لَمُحْيِي الْمَوْتَى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد
ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى
النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما تكون
من مواد ما تفتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا فراوا الاثر او الزرع فانه مدلول
عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام
موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ
يَكْفُرُونَ جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه
الايات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة
تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي
ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم
ولم ييأسوا من رحمته وان يتبادروا الى الشكر والاستدامة
بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان
يصبروا على بلائه اذا اخرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا
نعمته فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق
مشاعرهم وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ قيد الحكم به
ليكون



ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يفهم الكلام تفطن منه
بواسطة الحركات شيئا وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم
وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ سماهم عميا لفقدهم
المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرأ حمزة وحده
تهدي العمي إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فان ايمانهم
يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن
المشارف للايمان فَهُمْ مُسْلِمُونَ لما تأمرهم به اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم
كقوله خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف
هو النطفة ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً وذلك اذا بلغتم
الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا
وَشَيْبَةً اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد
في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضُعف وهما لغتان
كالفقر والفُقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ من ضعف وقوة وشيبة وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ
فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة

ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر
ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة او صارت علماً
لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا
او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم
وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل
للساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا
مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة او نسياناً
كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون
يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة
والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه
او اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم
البعث ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث
الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم
في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين
البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ
لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان
المعذرة بمعنى العذر او لان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا

هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي
ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا
من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد
وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال
مثل صفة المبعوثين يوم القيامة فيما يقولون وما يقال لهم
وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا
لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول
صلى الله عليه وسلم ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن
ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم
ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون
كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون
لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب
يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم
ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق
لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة
والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون

ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ
لا يستحقنك اى لا يزيغونك فيكونوا احق بك من المؤمنين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض
وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية وقيل
الا آية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما
بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا
من قوله ولو انما في الارض من شجرة اقلام وآيها اربع وثلاثون
وقيل ثلاث وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم
الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة
للمحسنين حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما
حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم
او تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير
للتاكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل
الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث



كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك
وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث
المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث
اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان
محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم
واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن
على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله
دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى
ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه
او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا
ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق
باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا
متكبرا لا يعبأ بها كأن لم يسمعها مشابها حاله حال من
لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها حاله حال من في اذنيه ثقل
لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا
والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا

استينافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة
وقرا نافع اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها
حال من الضمير لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا
مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم
جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء
فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما
يستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استيناف
وقد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ
ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان تشابه اجزائها يقتضى
تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء
من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا
من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير
المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته
التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله
هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر
مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب خلق

بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واو في معلق عنه
بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم
بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني
لقمان بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى
ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه
كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس
الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على
الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام
شهورا وكان يسرد الدرع فلم يساله عنها فلما اتمها لبسها
وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله
وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري
فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح شاة
ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام
امره بان ياتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فساله عن ذلك
فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله
لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر

فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق
مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق
بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال
واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير
اشفاق وقرا ابن كثير يا بني لا تشرك باسكان الياء وفي يا بني اقم الصلوة
باسكان الياء وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء والبزي مثله
في الاخير وقرا الباقون في الثلاثة بكسر الياء لا تشرك بالله قيل كان
كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما
ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة
منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن
وهنا على وهن اى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها
والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا
ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء عامين
وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى
مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا
او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال
في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثمة قال عليه

السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم
اباك الى المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما
وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما
في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم
واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة
ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون
بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والايتان معترضتان
في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال
وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين المبالغة في ذلك
فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز
ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص
وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب
اليه ابو بكر فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة
من خردل اى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا
في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقالا على ان الهاء ضمير القصة
وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول الشاعر

كما شرقت صدر القناة من الدم اولان المراد به الحسنة او السيئة
فتكن في صخرة او في السموات او في الارض في اخفى مكان واحرزه
كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ
بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله
يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير
عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد
سيما في ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم
الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر
اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر
اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة
وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي
عنقه وقرا نافع وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل
واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا
مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان
الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتاخير الفخور وهو مقابل
للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق رؤس الآي واقصد



في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلوة
والسلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها
كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من
اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص
منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار
مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين
وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة
مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس
في النكر دون الآحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان الله
سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم
وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة
ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة
وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء
او القاف كصلخ وصقر وقرا نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع
والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته
بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى الرسول صلى الله عليه وسلم

ولا كتاب منير انزله الله تعالى بل التقليد كما قال واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع
صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم
يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم الى عذاب السعير الى ما
يؤل اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه
والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله
بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون
ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص
وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى
تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة
بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه
والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك
كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ ولا يحزنك من احزن
وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا
بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه
فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما
يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم



عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من
اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم
والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون
ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق العبادة
فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق
للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت
كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة
ابحر فاغنى عن ذكر المداد بيمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف
على محل ان ومعمولها ويمده حال او الابتداء على انه مستأنف او الواو
للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده
وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام
بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل
فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه
وحكمته امر والاية جواب اليهود سألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم

من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله
شان عن شان لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته
الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله
ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري كل من
النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس
الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه
وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل هنا منتهى الجري وثمه غرضه حقيقة
او ادعاء وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير
عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة
وعجائب الصنع واختصاص الباري بها بان الله هو الحق بسبب انه
الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الاهيته
وان ما تدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد
ولا يتصف الا بجعله او الباطل الهيته وقرا البصريان والكوفيون
غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع عن كل شيء ومتسلط عليه



عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة
اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه
والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين
وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته
دلائله ان في ذلك لايات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه
بالتفكر في الافاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها
او المؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا
غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او
سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال
دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى
والتقليد بما دهاهم من الخوف والشدائد فلما نجاهم الى البر
فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او
متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد باياتنا
الا كل ختار غدار فانه نقض العهد الفطري او لما كان في البحر
والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم
واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا
يجزي من اجزا اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه

ولا مولود عطف على والد او مبتدا خبره هو جاز عن والده شيئا
وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع
طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد
الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم
التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة
وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض
فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي اذكر ام انثى وما اعمل غدا
واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له
في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام
اذكر ام انثى اتام ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا
من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري
نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي
ان ملك الموت مر على سليمان عليه الصلاة والسلام فجعل ينظر الى رجل
من جلسائه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني



يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك الموت
كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند
وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة
فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان اعمل حيلة وابعد فيها
وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره
مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها
بتأنيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير
يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ
سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطي له من الحسنات
عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر سورة السجدة
مكية وآيها ثلاثون وقيل تسع وعشرون بسم الله الرحمن
الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره
تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف
كان تنزيل خبر محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه فيكون
من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر
ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والاوجه انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب
او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتراه

فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه
تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى الاعجاز ثم رتب
عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب
عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه
فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين
المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضاء الله احد ينصركم
ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم
وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم
لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله تعالى
يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية
كالملائكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم
يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة
مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما

ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر امر الدنيا باظهاره في اللوح المحفوظ
فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله
وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة
سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف
لالف اخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيامة
وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي
ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين
والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة
فيدبرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على
العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا
الذي احسن كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده
ويليق به على وفق الحكمة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال
وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته
وخلقه مفعول ثان وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف
فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق
الانسان يعني ادم من طين ثم جعل نسله ذريته
سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين

ضعيف ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي
ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفاً واظهاراً بانه خلق
عجيب وان له شاناً له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله
من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة خصوصاً لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلاً ما
تشكرون تشكرون شكراً قليلاً وقالوا اءذا ضللنا
في الارض اي صرنا تراباً مخلوطاً بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها
وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن
وقرا ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق
جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرا نافع والكسائي ويعقوب
انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم
به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده
كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك
منها شيئاً او لا يبقي منكم احداً والتفعل والاستفعال يلتقيان
كثيراً كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت
الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثم الى ربكم ترجعون
للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من



من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا
منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحاً انا موقنون
اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت امراً
فظيعاً ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم
الله تعالى بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو تكون
منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها ما يهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له
ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم
ايمانهم لعدم المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار
ولا يدفعه جعله ذوق العذاب مسبباً عن نسيانهم العاقبة
وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا
فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم
من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استئنافه وبناء الفعل
على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد
بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط من التصريح بمفعوله

وتعليله بافعال السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر

امر العاقبة والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك إِنَّمَا يُؤْمِنُ

بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا وعظوا بها خَرُّوا سُجَّدًا خوفا من عذاب الله

وَسَبَّحُوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ

ترتفع وتتنحى عَنِ الْمَضَاجِعِ الفرش ومواضع النوم يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

داعين اياه خَوْفًا من سخطه وَطَمَعًا في رحمته وعن النبي

عليه الصلوة والسلام في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه

عليه الصلوة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد

ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى

بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المواضع

فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون

الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة

ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء

فنزلت فيهم وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ في وجوه الخير فَلَا تَعْلَمُ

نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ مما تقر



تقر به عيونهم وعنه عليه الصلوة والسلام يقول الله تعالى اعددت

لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب

بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي

لهم من قرة اعين وقرأ حمزة ويعقوب أُخْفِي على انه مضارع اخفيت وقرئ

يخفي واخفى والفاعل للكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها

والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اي جوزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو

شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم أَفَمَنْ كَانَ

مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا خارجا عن الايمان لَا يَسْتَوُونَ تاكيد وتصريح

والجمع للحمل على المعنى أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ

جَنَّاتُ الْمَأْوَى فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة

وقيل المأوى جنة من الجنان نُزُلًا سبق في آل عمران بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

بسبب اعمالهم او على اعمالهم وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ مكان

جنة المأوى للمؤمنين كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا عبارة

عن خلودهم فيها وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ

اهانة لهم وزيادة في غيظهم وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى

عذاب الدنيا يريد ما محنوا من السنة سبع سنين والقتل والاسر

دون العذاب الأكبر عذاب الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم
يرجعون يتوبون عن الكفر روي أن وليد بن عقبة فاخر عليا
يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه
ثم أعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط
وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما
في بيت الحماسة لا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها
إنا من المجرمين منتقمون فكيف ممن كان أظلم من كل ظالم ولقد
آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية في شك من لقائه
من لقائك الكتاب لقوله وإنك لتلقى القرآن فإنا آتيناك من الكتاب
مثل ما آتيناه منه فليس بدعا مما لم يكن قط حتى ترتاب فيه
أو من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى وعنه عليه الصلاة والسلام
رأيت ليلة أسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا
كأنه من رجال شنوءة وجعلناه أي المنزل على موسى هدى
لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس إلى ما فيه من الحكم
والأحكام بأمرنا إياهم به أو بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ
حمزة والكسائي ورويس لما صبروا أي لصبرهم على الطاعة أو عن الدنيا
وكانوا بآياتنا يوقنون لإمعانهم فيها النظر إن ربك هو يفصل

بينهم يوم القيامة فيقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل
فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين أولم يهد لهم الواو
للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه
كم أهلكنا من قبلهم من القرون أي كثرة من أهلكناهم
من القرون الماضية أو ضمير الله بدليل القراءة بالنون يمشون
في مساكنهم يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ
يمشون بالتشديد إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون سماع تدبر
واتعاظ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز التي جرز
نباتها أي قطع وأزيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا
وقيل اسم موضع باليمن تأكل منه من الزرع أنعامهم كالتبن
والورق وأنفسهم كالحب والثمر أفلا يبصرون فيستدلون
به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر أو
الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا إن كنتم صادقين
في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم
ينظرون وهو يوم القيامة فإنه يوم نصر المؤمنين على الكفرة
والفصل بينهم وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا
المقتولون منهم فيه فإنه لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون

وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم
فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف
وَانْتَظِرْ النصرة عليهم إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ الغلبة عليك
وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة
ينتظرون عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك
الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه السلام
من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون اية بسم الله
الرحمن الرحيم يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ناداه بالنبي وامره بالتقوى
تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه
ليكون مانعا له عما نهي عنه بقوله وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
اي فيما يعود بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل
وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم
وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له
ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بالمصالح والمفاسد حَكِيمًا لا يحكم الا بما



يقتضيه الحكمة وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ كالنهي عن طاعتهم
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا فموح اليك ما يصلح به اعمالك
ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير
الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكائدهم فيدفعها عنك
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وكل امرك الى تدبيره وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا موكولا
اليه الامور كلها مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ
اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني
المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع
التعدد وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ وما جمع الزوجية والامومة
في امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت
العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر
او جميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها
كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن الحارثة
الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفي
الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل
يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه

الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل
الزوجة والدعى اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين
بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو واللاى بالياء وحده على ان اصله
اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة
وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية فى الظاء
وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف
وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر
كقعد بمعنى قاعد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول
للزوجة انت على كظهر امى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية
من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا فى
الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة
كما عدى الى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو
عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون
اتيان المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعى على الشذوذ وكانه شبه
بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير
قولكم بافواهكم لا حقيقة له فى الاعيان كقول الهاذى والله يقول
الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدى السبيل سبيل الحق

ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود
من اقواله الحقة وهو قوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير
لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط
بمعنى العدل ومعناه البالغ فى الصدق فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم
اليهم فاخوانكم فى الدين فهم اخوانكم فى الدين ومواليكم واولياؤكم
فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التأويل وليس عليكم جناح فيما
اخطأتم به ولا اثم عليكم فيما فعلتم من ذلك مخطئين قبل النهى
او بعده على سبيل النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن
الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن ما تعمدت فيه الجناح وكان
الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبنى لا عبرة به
عندنا وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب
لمجهوله الذى يمكن الحاقه به النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم
فى الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم
ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم
من انفسهم وامره انفذ فيهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم
عليها روى انه عليه الصلاة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج
فقال اناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم فى الدين

فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك
صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن
في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذلك
قالت عائشة رضي الله تعالى عنها لسنا امهات النساء واولو الارحام
وذوو القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ
لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين
في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الآية او آية المواريث
او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام
او صلة لاولى اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين
بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم
معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد
بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا
كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التورية واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر ومواثيقهم عهودهم
بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع
وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او



او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن صدقهم
اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم
عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم
عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا
عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين
عذابا اليما عطف على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق
منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين
واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم
جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير
وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا
لم تروها الملائكة انه عليه الصلاة والسلام لما سمع باقبالهم
ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة الاف والخندق
بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي
بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة فاخصرتهم وسفت
التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت
الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة
بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا

من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرأ البصريان
بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا
إذ جاؤكم بدل من إذ جاءتكم من فوقكم من أعلى الوادي من قبل المشرق
بنو غطفان ومن أسفل منكم من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش
وإذ زاغت الأبصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا
وبلغت القلوب الحناجر رعبا فإن الرئة تنتفخ من شدة الروع
فترتفع بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام
والشراب وتظنون بالله الظنونا الأنواع من الظن فظن المخلصون
الثبت القلوب أن الله منجز وعده في إعلاء دينه أو ممتحنهم فخافوا
الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم
والألف مزيدة في أمثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد أجرى نافع
وابن عامر وأبو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها أبو عمرو وحمزة
ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا
فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا
من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح وإذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر
وإعلاء الدين إلا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير



قشير قال يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يتبرز فرقا ما هذا
إلا وعد غرور وإذ قالت طائفة منهم يعني أوس بن قيظي وأتباعه
يا أهل يثرب أهل المدينة وقيل هو اسم أرض وقعت المدينة في ناحية
منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على أنه مصدر أو
من أقام فارجعوا إلى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين
محمد فارجعوا إلى الشرك وأسلموه لتسلموا أو لا مقام لكم بيثرب
فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستأذن فريق منهم النبي
للرجوع يقولون إن بيوتنا عورة غير حصينة وأصلها الخلل
ويجوز أن يكون تخفيف العورة من عورت الدار إذا اختلت وقد قرئت
بها وما هي بعورة بل هي حصينة إن يريدون إلا فرارا أي ما
يريدون بذلك إلا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت
المدينة أو بيوتهم من أقطارها من جوانبها وحذف الفاعل
للإيماء بأن دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر
سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة
ومقاتلة المسلمين لآتوها لأعطوها وقرأ الحجازيان
بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة أو بإعطائها
إلا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل ما لبثوا بالمدينة

بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسؤولا
عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء
وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار
مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتيعا او زمانا قليلا
قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة
اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله
متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا
يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم
من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله
في الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا
قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع
المؤمنين ولكن يقاتلون الا قليلا كقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه

وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب
ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة
او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال
من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي
عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة من الموت من معالجة
سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم
سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة
والسلق البسط بقهر باليد او باللسان اشحة على الخير نصب على الحال
او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه
اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها
اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك
الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه منه
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان
الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب
كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون
الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم من جانب المدينة

عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا
الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها
ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او في نفسه
قدوة يحسن التاسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا
اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرا عاصم بضم الهمزة وهو لغة
فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله او لقاءه
ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك
ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها والرجاء يحتمل الامل
والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر
على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء
كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول
عليه الصلاة والسلام من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه السلام
سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله
عليه الصلاة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وصدق



ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة
والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم
فيه ضمير لما راوا او الخطب او البلاء الا ايمانا بالله ومواعيده
وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم
والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد
اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره
بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر
والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان
ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا
شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة
وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله
ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء
او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به وكان المنافقين
قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصين بالثبات والوفاء
العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد به التوفيق

ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب
بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان
بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة
وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء
وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب
يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية
وهي ما تحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك
وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون
وتاسرون فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبريل عليه السلام
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها
الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم تضعوا السلاح ان الله
يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس
ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين
او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي
فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم
وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد
حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستماية او اكثر واسر سبعماية



سبعماية واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم
واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روي انه عليه الصلاة
والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال عليه السلام
انكم في منازلكم وقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر
فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة وارضا لم تطؤوها كفارس والروم
وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شيء
قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة
الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين امتعكن
اعطكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار
وبدعة روي انهن سالنه ثياب الزينة وزيادة النفقة
فنزلت فبدا بعائشة رضي الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله
ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل
لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها
قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق
خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن علي رضي الله عنه
ويؤيده قول عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعد
طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق

وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة
رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه للدخول بها
وليس ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف
وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا يستحقر دونه الدنيا وزينتها
ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ
مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ بكبيرة مُبَيِّنَةٍ ظاهر قبحها يُضَاعَفْ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب
منهن اقبح فان زيادة قبحه يتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه
ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب
به غيرهم وقرا البصريان يُضَعَّف وابن كثير وابن عامر نُضَعِّف
بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه
وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ ومن يدم على الطاعة لِلَّهِ وَرَسُولِهِ
ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا
مَرَّتَيْنِ مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبي صلى الله عليه وسلم
بالقناعة وحسن المعاشرة وقرا حمزة والكسائي ويعمل بالياء

بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله
وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا في الجنة زيادة على اجرها يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي
العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن
كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل إِنِ اتَّقَيْتُنَّ مخالفة
حكم الله ورضاء رسوله فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فلا تجبن بقولكن
خاضعا لينا مثل قول المريبات فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ فجور وقرئ بالجزم
عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن
عن الخضوع بالقول وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا حسنا بعيدا عن الريبة
وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى
من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني به عن همزة الوصل
ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون
من قار يقار اذا اجتمع وَلَا تَبَرَّجْنَ ولا تتبخترن في مشيكن تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ
الْأُولَى تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم
ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانت المراة
تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية
الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية جاهلية الكفر

قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده
قوله عليه الصلاة والسلام لابي الدرداء رضي الله عنه ان فيك جاهلية
قال جاهلية كفر او اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة
واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن
على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء والمدح
ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح
بالتطهير للتنفير عنها وتخصص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما
لما روي انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر
اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن
والحسين فادخلهما فيه رضي الله تعالى عنهم ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة
ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضي
انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله
والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بالنعم عليهن حيث جعلهن
اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان
والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا
خبيرا
يعلم

يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من
يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات
الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات
المصدقين بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات
المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في القول
والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي
والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم
والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين
والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات
عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم
اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات
واجرا عظيما على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة
والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر
به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا
شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري
وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك
ترك

في قوله مسلمات مومنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعتبر لهم
للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له
إذا قضى الله ورسوله أمراً اى اذا قضى رسول الله وذكر الله
لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب
بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم
بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد
ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم
ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير
وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي
وجمع الثاني للتعظيم وقرا الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص الله
ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب
واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك
لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد
بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه صلى الله
عليه وسلم ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله
مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك



ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء فقال
لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له
امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا
او تعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها
ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به
والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست
المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة
قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك
ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا
حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها
زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة
لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها
زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى انكاحي وانتن زوجكن
اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم
وشاهد بين على قوة ايمانه لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج

ادعيائهم

إذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على أن حكمه وحكم
الأمة واحد إلا ما خصه الدليل وكان أمر الله أمره الذي يريده
مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان
ومنه فروض العسكر لأرزاقهم سنة الله سن ذلك سنة
في الذين خلوا من قبل من الأنبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم
وكان أمر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا
الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا أو مدح لهم
منصوبا أو مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون أحدا
إلا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف
أو محاسبا فينبغي أن لا يخشى إلا منه ما كان محمد أبا أحد
من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد والولد
من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه أبا للطاهر
والطيب والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال
ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول
أبو أمته لا مطلقا بل من حيث إنه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة
عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه عليه الصلاة والسلام ولادة

ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ولكن بالتشديد
على حذف الخبر أي ولكن رسول الله أب من غير ولادة إذ لم يعش له ولد ذكر
وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح
ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه أن يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام
في إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى عليه السلام
بعده لأنه إذا نزل كان على دينه مع أن المراد أنه عليه الصلوة والسلام
آخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة
وكيف ينبغي شأنه يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الأوقات
ويعم أنواع ما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد
وسبحوه بكرة وأصيلا أول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما
بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين
كإفراد التسبيح من جملة الأذكار لأنه العمدة فيها وقيل الفعلان
موجهان إليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم
بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد
بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار
من الصلوة وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلوة
المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار

ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة
من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين
رحيما حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل
في ذلك الملائكة المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول
اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر
او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة
واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة
الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم
وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته
باذنه بتيسيره اطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة
ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا
منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم
او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا

ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من
مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به
او ايذاءك اياهم مجازاة ومؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ
وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه
الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا
منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان
ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين
والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله
بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من
اناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره
يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن
فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم
فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال
للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير
تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء
بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة

وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا
ينكح الا مؤمنة تخيرا للنطفة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم
ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر في العدة فمتعوهن
ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف دون المتعة
وهي سنة لها ويجوز ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين
الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن
اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير
ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق
والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي آتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد
الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل
له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك
مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدو امرها وما جرى
عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك
وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك
ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت
ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني

ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء
وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله
او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى
بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها
ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به
ذكر انها ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك
بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت
كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط
الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها
الا بارادة نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب
الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك
من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير
لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد
بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام
بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة
مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة
خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة

قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب
القسم والمهر بالوطي حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم
من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان نفرض عليهم والجملة اعتراض
بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة
على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع
عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس
اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة
في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها
وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء
وتمسك من تشاء وقرا حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد
ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا
جناح عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك
اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضائهن جميعا لانه
حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا
منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن
وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن



تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم
فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما
لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء
لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرا البصريان بالتاء من بعد من بعد
التسع وهو في حقه عليه الصلاة والسلام كالاربع في حقنا او من
بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن
من ازواج فتطلق واحدة وتنكح اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق
ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل
تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره
مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة
بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني
فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل
لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك
ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك
استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع
وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا
ما حد لكم يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم

الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق
بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول
على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين
اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا
او المجرور لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من
هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد اما لحمزة
والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا
دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا
والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة
بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن
لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين
لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع
له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اى ولا تدخلوا ولا تمكثوا
مستأنسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق
المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم
من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق

حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج
وقرئ لا يستحي بحذف الياء والقاء حركتها على الحاء واذا سألتموهن
متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن المتاع من وراء حجاب ستر
روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة
والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة
رضي الله عنها فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم
اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم
وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي
لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر
فهم برجمهما فاخبر انه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك
من غير نكير ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما
ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله عليه السلام وايجاب
لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا
شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله
كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي التعميم مع البرهان

على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن
ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن
استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم لما روي أنه لما نزلت آية الحجاب
قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء حجاب
فنزلت وإنما لم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم
أبا في قوله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أو لأنه كره ترك
الاحتجاب عنهما مخافة أن يصفا لأبنائهما ولا نسائهن يعني النساء
المؤمنات ولا ما ملكت أيمانهن من العبيد والإماء وقيل من الإماء
خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما أمرتن به إن الله
كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية إن الله وملائكته
يصلون على النبي يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه يا أيها الذين
آمنوا صلوا عليه اعتنوا أنتم أيضا فإنكم أولى بذلك وقولوا
اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك
أيها النبي وقيل وانقادوا لأوامره والآية تدل على وجوب الصلاة
والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله صلى الله
عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده
فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله ويجوز الصلاة على غيره تبعا وتكره

استقلالا لأنه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره أن
يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا إن الذين يؤذون الله ورسوله
يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي أو يؤذون رسول الله بكسر رباعيته
وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز إطلاق
اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله
أبعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا
يهينهم مع الإيلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما
اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا
ظاهرا روي أنها نزلت في المنافقين يؤذون عليا رضي الله تعالى عنه
وقيل في أهل الإفك وقيل في زناة يتبعون النساء وهن كارهات
يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن
إذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع
ببعض ذلك أدنى أن يعرفن يميزن من الإماء والقينات فلا يؤذين
فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف
رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته
المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف إيمان وقلة ثبات

عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة
يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله
التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا
غير ثابت لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم
الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة
على ان الجلاء ومفارقة جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم ما
يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا
ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي
لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها
سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في الامم
الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله
تبديلا لانه لا يبدلها احد او لا يقدر احد ان يبدلها يسئلك الناس
عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا او امتحانا قل انما علمها
عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون
قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون

ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين
واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد
خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب
عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى
بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ونقلب ومتعلق الظرف
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب
وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر
وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة
فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب
مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كثيرا كثير العدد
وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر
براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض
امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس
بقتل هارون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة
ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه فاخبرهم ببراءته
او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم

الله على انه برئ منه وكان عند الله وجيهاً ذا قربة ووجاهة وقرئ
وكان عبداً لله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه
فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولاً سديداً قاصداً الى الحق
من سد يسد سداداً والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد
يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول
والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم
في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي
فقد فاز فوزاً عظيماً يعيش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم
الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها
لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات
شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها
بخير الدارين انه كان ظلوماً حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولاً
بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة
الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي



الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها
الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها
لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه
والظلم والجهالة الخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها
فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني
فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا
ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه
بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل
او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبحمل الانسان
قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة
الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من
فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي و
مجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما
ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله
على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتاديب
للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما
جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب

على فرطاتهم واثاب الفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة
الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وقيل الا وقال الذين اوتوا العلم الاية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما
في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته
وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة لان ما في الآخرة ايضا كذلك
وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم
بالنعم الدنيوية وقيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم
الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك
نعم الآخرة وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين الخبير
ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ في موضع وينبع
في آخر وكالكنوز والدفاين والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات
والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب
والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة
واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين
في شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة
للحصر وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء



استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتأتينكم
عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات
تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب
للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف
او مبتدأ خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب
مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح
على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر
لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب
وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى
لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة
ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا
بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرأ
ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم
عذاب من رجز من سيء العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير
ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولو العلم من الصحابة

ومن شايعهم من الامة او من مسلمي اهل الكتاب الَّذِيْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
القرآن هُوَ الْحَقَّ ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق خبره والجملة
ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستانف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة
الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي ليعلم اولوا العلم
عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا قال بعضهم لبعض هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
يُنَبِّئُكُمْ يحدثكم باعجب الاعاجيب إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ
جَدِيدٍ انكم تنشاؤن خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق
وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة
وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده
مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى
اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى
فاعل من جد فهو جديد كحد وهو حديد وقيل بمعنى مفعول من جد
النساج الثوب اذا قطعه أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين
صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة



عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب بَلِ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ رد من الله عليهم
ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد
عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداها من العذاب وجعله
رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم
والبعد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد
المجازي أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ
تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة
لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديدا عليها والمعنى
اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا
اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا
لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرا حمزة والكسائي يشا ويخسف
ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك إِنَّ فِي ذَلِكَ
النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لَآيَةً لدلالة لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في امره وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا
فَضْلًا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه

النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال أوّبي معه رجّعي معه
التسبيح على الذنب او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها
اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ أُوبي من الاوب
اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قلنا
او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها
تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعرابية او على فضلا او مفعول
معه لأوّبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان اصل
النظم ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدّل به هذا
النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه
حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها
وألنّا له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء
وطرق بالآلة او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او
مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من
اتخذها وقدّر في السرد وقدّر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدّر
مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بأن دروعه
لم تكن مسمّرة ويؤيده قوله وألنّا له الحديد واعملوا صالحا الضمير لداود
عليه السلام واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح



الريح وسخرنا الريح وقرئ الريحُ بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة
غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي
كذلك وقرئ وغدوتها وروحتها وأسلنا له عين القطر النحاس
المذاب اساله من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك
سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف
على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدأ وخبر باذن ربه
بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل منهم عن امرنا عما امرناه من طاعة
سليمان وقرئ يُزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة
يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة
سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل
للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا
نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روي انهم عملوا اسدين
في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له
ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف
كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات
الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها
لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة

اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له
او الحال او المفعول له وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ المتوفر على اداء الشكر
بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه
للشكر نعمة تستدعي شكرا اخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه
عن الشكر فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ اي على سليمان مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ
ما دل الجن وقيل آله إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ اي الارضة اضيفت الى فعلها
يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح
الاسنان اكلا فاكلت اكلا تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ عصاه من نسأت البعير
اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا
على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساته على مفعالة كميضاة
ومن سأته اي طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما
في قحة وقحة وقرا نافع وابو عمرو ومنساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة
وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فَلَمَّا خَرَّ
تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ علمت الجن بعد التباس الامر عليهم أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون
لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت
الجن وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا



في العذاب وذلك ان داود عليه السلام اسس بيت المقدس في موضع
فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان
عليه السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله واعلم به فاراد
ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له
باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك
حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا
الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه
قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن
ثلاثة عشر سنة وابتداء عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لَقَدْ
كَانَ لِسَبَإٍ لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه
ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا
ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب فِي مَسْكَنِهِمْ في مواضع
سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث
وقرا حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ
من القياس كالمسجد والمطلع آيَةٌ علامة دالة على وجود الصانع المختار
فانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة
للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان جَنَّتَانِ بدل من آية او خبر محذوف

تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح فالمراد جماعتان من البساتين
عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شمالها كل واحدة
منهما في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين
مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم
نبيهم او لسان الحال او دلالة بأنهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك
بلدة طيبة ورب غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة
التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور
فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها
لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم
سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه
وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا
ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون
اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة
وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما
الصلاة والسلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط مر
بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له
والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا

بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل
لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئ بالنصب عطفا على
جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله
ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم
وقرأ ابو عمرو ذواتي اكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف اكل
ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي
انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم
لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل يجازي بمثل ما فعلنا بهم
الا البليغ في الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص
نجازي بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى
التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة
متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل
وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية
الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان المقال او الحال
ليالي واياما متى شئتم من ليل ونهار آمنين لا يختلف الامن فيها
باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا
فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد

بين أسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسألوا
الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء
بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة
وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعّد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر
على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفيه وعدم الاعتداد بما
انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرا ربنا بعد او بعّد على النداء
واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة
اذ لم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب
مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم
غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة
والازد بعمان ان في ذلك لآيات لكل صبار عن المعاصي
شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه
او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه
كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه
او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى
وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله
اغواهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبإ حين راى



انهماكهم في الشهوات او ببني ادم حين راى اباهم النبي ضعيف العزم
او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من
يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا
من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم
من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من
يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا
يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه
ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه
مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ
محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم
اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته
والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه
لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا يجوز لا يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله
والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم
ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة
فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في الارض

فى امرما وذكرهما للعموم العرفى او لان الهتهم بعضها سماوية كالملائكة

والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر

والخير سماوية وارضية والجملة استيناف ببيان حالهم وما لهم

فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير

يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا تنفعهم

شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له

ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول

كاللام فى قولك الكرم لزيد وعلى الثانى كاللام فى جئتك لزيد وقرا ابو عمرو

وحمزة والكسائى بضم الهمزة حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام

من ان ثمة توقفا وانتظارا للاذن اى يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع

عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم

ذكرهم ضمنا وقرا ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اى

نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فنى قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال

ربكم فى الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن

بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اى مقوله الحق

وهو العلى الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبى ان يتكلم

ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير



تقرير قوله قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا

فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى

او فى ضلال مبين اى وان احد الفريقين الموحدين المتوحد بالرزق

والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل فى ادنى المراتب

الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم

من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح

لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان

اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه

نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها

او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس فى ظلام مرتبك

لا يرى شيئا او محبوس فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون

عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبات

حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا

يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة

والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة

العليم بما ينبغى ان يقضى به قل ارونى الذين الحقتم به شركاء

لارى باى صفة الحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم

بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة
بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة
والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة
رأسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة
عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم
او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز
جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد
يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم
صادقين يخاطبون به رسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم
وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ
يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت
والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه
ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث قيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب
عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك
وقيل الذي بين يديه يوم القيامة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي

اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول
يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم
لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم
بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم
هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك
بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل
والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا
ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له
اندادا العاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف
على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف
ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما رأوا العذاب واضمر الفريقان
الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها
فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم
واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم
ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض

وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي
المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات
والاستهانة لمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب
فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن
اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين
اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب
قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
ولذلك تختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات
ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة
وكثيرا ما تكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم
واولادكم او لانها صفة محذوفة كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي
اي بالشيء الذي يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول
تقربكم اي الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي
ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او

او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف
ان يجازوا الضعف الى العشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر
الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب برفعهما على ابدال الضعف
ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا
وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء وقرأ حمزة في الغرفة
على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها
معاجزين سابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك
في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد
باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء
فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره
وسط في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا
المستكبرين والمستضعفين ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون
من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون
للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا

بينهم كانهم بيتوا بذلك براءتهم عن الرضاء بعبادتهم ثم اضربوا
عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن
اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون ويخيلون
اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول
للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن فاليوم لا يملك بعضكم
لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازى
وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون
عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا عليه الصلوة والسلام الا رجل يريد
ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا
ما هذا يعنون القرآن الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى
باضافته الى الله سبحانه وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة
او للاسلام او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه
او اعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح
بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه
وما فى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب
بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك





الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه
وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية
التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم
كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا
اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء
من البينات والهدى فكذبوا رسلى فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلى
جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير
فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد
ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم
بخصلة واحدة هى ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام عن مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله تعالى
معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى اثنين اثنين وواحدا واحدا
فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا فى امر محمد
عليه الصلاة والسلام وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الوقف على هذا
او البيان او الرفع والنصب باضمار هو او اعنى ما بصاحبكم من جنة
فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ما عرفوا
من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير

وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق وبرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم
ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية
والمعنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون إن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَي
عَذَابٍ شَدِيدٍ قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ
على الرسالة فَهُوَ لَكُمْ والمراد نفي السؤال فانه جعل التنبي مستلزما لاحد
الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره
وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفي كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم
بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله
ما اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه
قرباهم إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ مطلع يعلم صدقي
وخلوص نيتي قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده
او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا
باظهار الاسلام وافشائه عَلَّامُ الْغُيُوبِ صفة محمولة على محل ان
واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب
صفة لربي او مقدرا باعني وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت والباقون
بالضم كالعشور وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب قُلْ جَاءَ الْحَقُّ
اي الاسلام وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ وزهق الباطل اي الشرك بحيث

بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له
ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد
وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي
خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قُلْ إِنْ
ضَلَلْتُ عن الحق فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي اي وبال ضلالي عليها فانه بسببها
اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية
بقوله وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه
إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه وَلَوْ
تَرَى إِذْ فَزِعُوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب محذوف
مثل لرأيت امرا فظيعا فَلَا فَوْتَ فلا يفوتون الله بهرب او تحصن
وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف
الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او فلا فوت
ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك وهناك
اخذ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مر ذكره
في قوله ما بصاحبكم وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ ومن اين لهم ان يتناولوا
الايمان تناولا سهلا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فانه في حيز التكليف وقد بعد
عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد

عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة
وقرا ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمزة على قلب الواو لضمتها او انه
من ناشت الشيء اذا طلبته قال رؤبة اقحمني جار ابي الجاموش
اليك ناش القدر النؤوش او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله
تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى
التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه وسلم
او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب
ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول صلى الله عليه
وسلم من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد
من جانب بعيد من امره صلى الله عليه وسلم وهو الشبهة التي تمحلوها
في امر الرسول صلى الله عليه وسلم وحال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله
تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن
في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك
والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا
فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان
في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان
والنجاة من النار وقرا ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء كما فعل

باشياعهم



باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا
في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او من الشاك
نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبأ
لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا
سورة الملائكة مكية وآيها خمس واربعون بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق و
كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي
جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين
من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة
او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه اولي اجنحة مثنى
وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم
من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله تعالى
عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد
ونفي ما زاد عليها لما روي انه عليه الصلوة والسلام راى جبريل عليه السلام
ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استيناف للدلالة
على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيته ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه
ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان

لذواتهم المشتركة لزم تنافى لوازم الامور المتفقة وهو محال

والاية متناولة زيادات الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت

وحصافة العقل وسماحة النفس إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة

مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب

مِن رَّحْمَةٍ كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فَلَا مُمْسِكَ لَهَا

يحبسها وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ يطلقه واختلاف الضميرين

لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب

وفى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه مِن بَعْدِهِ من بعد امساكه

وَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه

الْحَكِيمُ الذى لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد

للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه

فقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ احفظوها بمعرفة

حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره فى ذلك

مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم

مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ فمن اى وجه تصرفون

عن التوحيد الى الكفر باشراك غيره ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه



بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى او لانه فاعل خالق وجره

حمزة والكسائى حملا على لفظه ونصب على الاستثناء ويرزقكم صفة

لخالق او استيناف مفسر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل

من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ

مِّن قَبْلِكَ اى فتأس بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه

استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية

والحث على المصابرة وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ فيجازيك واياهم على الصبر

والتكذيب يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بالحشر والجزاء حَقٌّ لا خلف فيه

فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة والسعى لها

وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار

على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم

اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر غره او جمع كقعود

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ عداوة عامة قديمة فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا

فى عقايدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم إِنَّمَا يَدْعُو

حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ تقرير لعداوته وبيان لغرضه

فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

وعيد لمن خالفه و وعد لمن اجاد عاء و قطع للاماني الفارغة و بناء للامر كله

على الايمان والعمل الصالح وقوله أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا

تقرير له اى افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس

رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق

واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الجواب لدلالة

فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وقيل تقديره افمن زين له

سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فَلَا تَذْهَبْ

نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات

على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاءات الثلاث للسببية غير ان الاوليين

دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة

على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوى افعالهم المقتضية للتاسف

وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب او بيان

للمتحسر عليه إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ فيجازى عليه وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ

الرِّيَاحَ وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى الريح فَتُثِيرُ سَحَابًا على حكاية

الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة

او لان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز

ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ

مِّيْت وقرا نافع وحمزة والكسائى وحفص بتشديد الياء فَأَحْيَيْنَا بِهِ

الْأَرْضَ بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه

سبب السبب او الصائر مطرا بَعْدَ مَوْتِهَا بعد يبسها والعدول فيهما

من الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع

كَذَلِكَ النُّشُورُ اى مثل احياء الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية

اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى المقيس والمقيس عليه

وذلك لا مدخل فيها وقيل فى كيفية الاحياء بانه تعالى يرسل ماء من تحت

العرش تنبت منه اجساد الخلق مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ اى الشرف والمنعة

فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا اى فليطلبها من عنده فان كلها لله فاستغنى بالدليل

عن المدلول إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ بيان لما يطلب

به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله

اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم

فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل

فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف

لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء للمفعول والمصعد هو الله تعالى

او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء و

قراءة القران وعنه عليه الصلوة والسلام هو سبحان الله والحمد

لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء
فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون
السيئات المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي صلى الله عليه
وسلم في دار الندوة وتداركهم الرأي في احدى ثلاث حبسه وقتله
واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون بهم
ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير
به كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب بخلق آدم عليه السلام
منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا
ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلوما
له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص
من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص
من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله
عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله
عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار
اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره
ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره
وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص

ولا ينقص على البناء للفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة
ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص وما
يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج
ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي
يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد
والتخفيف وملح على فعل ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون
منه حلية تلبسونها استطراد لصفة البحرين وما فيهما من النعم
او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان
من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه
خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر
وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما
فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر
او تفضيل الاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع والمراد
بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه مواخر تشق
الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها
واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال
المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه

ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيامة
ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها
اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون
له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير
لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد
ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم
على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيامة يكفرون
بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك
وهو الله سبحانه فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد
تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفي ما تدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء
الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم
لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق
بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا
والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى



حتى استحق عليهم الحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم
اخرين اطوع منكم او بعالم اخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمة
اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين
المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك
اوزارهم ليس فيها شيء اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس اثقلها
الاوزار الى حملها يحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم يجب
بحمل شيء منه نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفي ان يحمل عليها ذنب غيرها
ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع
عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان تامة فانها
لا تلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين
عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة
فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى
ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ
ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما
من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي
الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل

ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل والحق ولا الظل ولا الحرور
ولا الثواب والعقاب ولا لتاكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين
لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما تهب
نهارا والحرور ما تهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات
تمثيل اخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل
للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم اياته
والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين
على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك
الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم
انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون
صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق
وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم
ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به
من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد كذب
الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم
وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة
التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين

الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها
اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها
من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط
وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم
جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواسع بيض وحمر
مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد
كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون ومنها غرابيب متحدة اللون
وهو تاكيد مضمر يفسره سود فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد
ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير
وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال
انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم
بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عليه الصلوة
والسلام اني اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه بذكر افعاله الدالة
على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس
الامر وقرئ برفع الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم

يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه
معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله
يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا
والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين
من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما
رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر
في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب
بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران
صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اى ينتفى
عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول
ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم
من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور
لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان
ويرجون حال من واو وانفقوا والذى اوحينا اليك من الكتاب
يعنى القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا
لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة
لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد واصول الاحكام ان الله

ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى احوالك
ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر
الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة فى ذلك الامور الروحانية
ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضى
لتحققه او ورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى اوحينا
اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعنى
علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم
على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العمل به ومنهم مقتصد
يعمل فى اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم
والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم
وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط العمل الصالح بالسيئ والسابق
الذى ترجحت حسناته بحيث صار سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلوة
والسلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين
اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم
فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقيل الظالم
الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين او لان الظلم بمعنى الجهل
والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير

اشارة الى التوريث والاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها
مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما
الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر
وقرأ ابو عمرو يُدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان
او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حال من اساور من ذهب
من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب
اى من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم
عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته
او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين
شكور للمطيعين الذى احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله
من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب
ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب
نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان
وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك مثل ذلك



مثل ذلك الجزاء نجزى كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو
ويُجزى على البناء للمفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون
فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة
لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل باضمار القول
وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف
به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح
والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير
جواب من الله تعالى وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول لكل عمر يتمكن المكلف
فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى ستين وعنه عليه الصلوة
والسلام العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى
اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي صلى الله عليه وسلم
او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين
من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض
لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور
تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيره
هو الذى جعلكم خلائف في الارض يلقى اليكم مقاليد التصرف فيها
وقيل خلفاء بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره

جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين

كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد

من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو

اشد البغض مقت وبالخسار خسار الاخرة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون

من دون الله يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى

او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم

بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء

اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات

ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الوهية ذاتية

ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة

من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله

ام انزلنا عليهم سلطانا وقرا نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر على بينات

فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون

بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه

وهو تغرير الاسلاف للاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله

يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا

كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان



لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما من احد ما امسكهما من بعده

من بعد الله او من بعد الزوال والجملة ساد مسد الجوابين ومن الاولى زائدة

والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين

بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال

هدا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم

ذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود

والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم

اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم

تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني محمدا

عليه الصلوة والسلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا

تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ

واصله وان مكروا المكر السيئ فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل

ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرا حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل

ولا يحيق لا يحيط المكر السيئ الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم

يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون

الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله

تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا

ولا يحوطهما بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله أولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه مما يشاهدونه
في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار الماضين وكانوا اشد منهم
قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض
انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس
بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة
من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله
كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت
سورة يس مكية وعنه عليه الصلوة والسلام ان يس تدعى المعمة تعم
صاحبها بخير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له
كل حاجة وآيها ثلاث وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم
يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله
يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ
بالكسر كجير والفتح على البناء كأين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم
والفتحة منع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس واما لها حمزة والكسائي



والكسائي وحفص وروح وادغم النون في واو والقرآن الحكيم
ابن عامر والكسائي وابو بكر وورش ويعقوب وهي واو القسم والعطف
ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن
الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة
في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن
في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل
عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف
والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب
باضمار اعني او فعله على انه مصدر وقرئ بالجر على البدل عن القرآن
لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر آباؤهم
قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة
فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به آباؤهم
الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على المصدر
فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين
وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلناك اليهم لتنذرهم
فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون انا جعلنا

في أعناقهم أغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث
لا يغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم فهي
إلى الأذقان فالأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون
رؤسهم فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم
في أنهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون
رؤسهم له وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا
فأغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم
بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في أنهم محبوسون في مطمورة
الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي
وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما
كان بخلق الله فبالضم وقرئ فأعشيناهم من العشا وقيل الآيتان
في بني مخزوم وحلف أبو جهل أن يرضخ رأس النبي صلى الله عليه وسلم
فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده أثنيت إلى عنقه
ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم
فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعماه الله تعالى
وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون سبق
في البقرة تفسيره إنما تنذر إنذارا يترتب عليه البغية المرومة



المرومة من اتبع الذكر أي القرآن بالتأمل فيه والعمل به
وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة
أهواله أو في سريرته ولا يغتر برحمته فإنه كما هو رحمن
منتقم قهار فبشره بمغفرة وأجر كريم إنا نحن نحيي الموتى
الأموات بالبعث أو الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما أسلفوا
من الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه و
حبيس وقفوه والسيئة كإشاعة باطل وتأسيس ظلم وكل شيء
أحصيناه في إمام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم
ومثل لهم من قولهم هذه الأشياء على ضرب واحد أي مثال واحد
وهو يتعدى إلى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا أصحاب القرية
على حذف مضاف أي اجعل لهم مثل أصحاب القرية مثلا ويجوز أن يقتصر على واحد
ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ أو بيانا له والقرية أنطاكية إذ جاءها
المرسلون بدل من أصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام
إلى أهلها وإسناده إلى نفسه في قوله إذ أرسلنا إليهم اثنين
لأنه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما
فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ أبو بكر مخففا من عزه إذا غلبه وحذف
المفعول لدلالة ما قبله عليه ولأن المقصود ذكر المعزز به بثالث

هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا الى المدينة رايا حبيبا النجار
يرعى غنما فسالهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ
الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب
وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير وبلغ حديثهما الى الملك
قال لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال
قوما حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون
فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوا خبره
الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت
ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي
خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس
العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما
في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت
لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس
لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع فقال ان قدر
الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا

فقام



فقام وقال اني ادخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم
فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسنا يشفع لهؤلاء
الثلاثة شمعون وهذان فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن
في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما انتم
الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ووقع
بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمالها بالا وما انزل الرحمن من شيء
وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري
مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما
علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته
وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا
بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له
وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو
سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم وعظتم
وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب
وقد قرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان

بغير استفهام وان ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو

ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن ثم

جاءكم الشوم او فى الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم

ويتبرك به وجاء من اقصا المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار

وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه الصلوة والسلام

وبينهما ستماية سنة وكان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل

اظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم اجرا

على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين ومالى

لا اعبد الذى فطرنى تلطف فى الارشاد بابرازه فى معرض المناصحة

لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراده لها والمراد تقريعهم على تركهم

عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة

فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ءاتخذ من دونه الهة

ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا لا ينفعنى شفاعتهم

ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة انى اذا لفى ضلال مبين فان

ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع

والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل انى آمنت بربكم الذى

خلقكم فاسمعون فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه



قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة

قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا فى دخولها

كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة على ما قاله الحسن

وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم

والكلام استيناف فى حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه

بعد تصلبه فى نصر دينه ولذلك قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى

ربى وجعلنى من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك

القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها

بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على داب الاولياء

فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطاء

عظيم فى امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية

والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر لى

باى شئ غفر لى يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما

انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء

لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك

وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول وما كنا منزلين

وما صح فى حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شئ سببا

وجعلنا ذلك سببًا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة
على جندٍ اى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة
إن كانت ما كانت الاخذة او العقوبة إلا صيحة واحدة صاح بها جبريل
عليه السلام وقرئت بالرفع على كانت التامة فإذا هم خامدون ميتون
شبهوا بالنار رمزًا الى ان الحى كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال
لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادًا بعد اذ هو ساطع
يا حسرة على العباد تعالى فهذه من الاحوال التى من حقها ان تحضري
فيها وهى ما دل عليها ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون
فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين
احقاء بان يتحسروا و يتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون
من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرًا من الله عليهم على سبيل الاستعارة
لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها
بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد
بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف
الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون
لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام
أنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اى الم يروا كثرة اهلاكنا من

من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف
وإن كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيامة للجزاء وان مخففة
من الثقيلة واللام هى الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فيكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى
مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية لهم الأرض الميتة وقرا
نافع بالتشديد أحييناها خبر للارض والجملة خبر آية او صفة لها
اذ لم يرد بها معينة وهى الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استيناف
لبيان كونها آية وأخرجنا منها حبًا جنس الحب فمنه يأكلون
فقدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا
فيها جنات من نخيل وأعناب من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما
دون الحب لان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال
على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص
شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر
والتفجير كالفتح والتفتيح لفظًا ومعنى من العيون اى شيئًا من العيون
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش
ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات
والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرا حمزة والكسائى بضمتين وهو لغة فيه

اوجمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر
والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية
والمراد ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين
غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون
امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها
الانواع والاصناف مما تنبت الارض من النبات والشجر
ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا
مما لا يطلعهم الله تعالى عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ
الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون داخلون
في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه
دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان
حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال
والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرارها على نهج مخصوص او لمنتهى
مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين
مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما
الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اى



اى لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجرى
على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز
الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر
قدرناه قدرنا مسيره منازل او سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون
الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة
الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى
الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع
سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر
الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه
فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس
وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بالنصب حتى عاد كالعرجون كالشمراخ
المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان
كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا
لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره
فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه
او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي
الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل

سَابِقُ النَّهَارِ يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما
وهما النيران وبالسبق سبق القمر سلطان الشمس فيكون عكسا للاول
وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وَكُلٌّ وكلهم
والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف
الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها
فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يسيرون فيه بانبساط وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ
اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين
يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم
لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
المملو وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل
فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية
لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ
مَا يَرْكَبُونَ من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق
وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق
او فلا اغاثة تكفوهم اتاهم الصريخ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ينجون من الموت
به إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ الا لرحمة ولتمتيع بالحيوة
زمان قدر لآجالهم وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ الوقائع



الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الاخرة او نوازل السماء ونوائب الارض
كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
او عذاب الدنيا وعذاب الاخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب
وما تاخر لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا
محذوف دل عليه قوله وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا
عَنْهَا مُعْرِضِينَ كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه
وتمرنوا عليه وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ على محاويجكم
قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة لِلَّذِينَ آمَنُوا
تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيته أَنُطْعِمُ مَنْ
لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين
استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم
ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم
باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له إِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان يكون
جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المومنين لهم وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يعنون وعد البعث مَا يَنْظُرُونَ ما ينتظرون
إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً هي النفخة الاولى تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ يتخاصمون

في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله تاتيهم بغتة
وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء
لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرا ابن كثير
بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو به مع اختلاس وعن نافع
الفتح فيه والاسكان وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما
وقرا حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية
في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون
حيث تبغتهم الصيحة ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق
في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث
وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا
يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا
من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح
ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما
ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة
محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ
خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلام



من كلامهم وقيل جواب الملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول
عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم
هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم
البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس
بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال
ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة
وقرئت بالرفع على كانت التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون
بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما
عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا
ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا
للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم
في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل
وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما
يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران
لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم
وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف

وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال
جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل
على الارائك متكئون وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك جملة
مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تاكيد للضمير في
في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم
عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف
والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به
لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل
لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم
ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها
وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام
بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ
محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم
خالصا قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته
والمعنى ان الله تعالى يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما
لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا
اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة



الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا
من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يُرى
الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم
تقريعا والزاما للحجة وعهده تعالى اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية
والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة
الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة
واحهد وهو لغة بني تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته
بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا
هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته فالجملة
استيناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الاول والتنكير
للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان
معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى
عقل وراي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة
والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضم وسكون
مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق
وجبلا واحد الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم

بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم
على افواههم نمنعها من الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها
او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم
وتكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم
حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الصراط الذي
اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار
او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون
الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم
بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون
فيه وقرا ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون
ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم
وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي
ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء
بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة
امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه
فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره

امره وقرا عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر
افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل
عليهما وزيادة غير انه على تدريج وقرا نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء
لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر
اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه
غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات
المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى
له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله عليه السلام
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله عليه السلام هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله
كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا
هذا وقد روي انه عليه الصلاة والسلام حرك البائين وكسر التاء الاولى
وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اي وما يصح للقرآن ان يكون شعرا
ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله تعالى وقرآن مبين وكتاب سماوي
يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن
او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا
عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله فان الحيوة الابدية بالايمان

وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول ويجب كلمة العذاب
على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم
لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة اولم يروا انا
خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا
وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص
والتفرد بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة
المنافع فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها
والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا
املك راس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم
فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة
وقيل جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها
يأكلون اي ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف
والاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر
افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها
كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله
آلهة اشركوها به في العبادة بعد ما راوا منه تلك القدرة الباهرة
والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم

فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه لا يستطيعون نصرهم
وهم لهم لالهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب
عنهم او محضرون اثرهم في النار فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ
بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد والشرك او فيك
بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم
عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستيناف ولذلك لو
قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه
بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه
وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون
مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها
وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب
روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته
بيده فقال اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال عليه الصلاة والسلام
نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين
فاذا هو بعد ما كان مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه
وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه

بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه وَنَسِىَ خَلْقَهُ خلقنا اياه قَالَ مَن
يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ منكرا اياه مستعدا له والرميم ما بلى
من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة
ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم
ذو حيوة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا
أَوَّلَ مَرَّةٍ فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها
فى القابلية اللازمة لذاتها وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ يعلم تفاصيل المخلوقات
بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها
وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى البعض على النمط
السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها او احداث مثلها الَّذِى
جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ كالمرخ والعفار نَارًا بان يسحق المرخ
على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فينقدح النار فَإِذَا أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ لا تشكون فى انها نار خرجت منه فمن قدر على احداث
النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان
اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء
على المعنى كقوله فمالئون منها البطون أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ مع كبر جرمهما وعظم شانهما بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم فى

فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها
وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بَلَى جواب من الله لتقرير ما بعد النفى
مشعر بانه لا جواب سواه وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ كثير المخلوقات والمعلومات
إِنَّمَا أَمْرُهُ انما شانه اذا اراد شيئا ان يقول له كن اى تكون فيكون
يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول
المامور به من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة
قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه
ابن عامر والكسائى عطفا على يقول فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ
تنزيه له تعالى عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله
قادرا على كل شئ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وعد ووعيد للمقرين والمنكرين
وقرا يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كنت لا اعلم ما روى
فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه عليه الصلاة والسلام
ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قراها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له
واعطى من الاجر كانما قرا القرآن اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده
اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك
يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون
غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم

قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان

بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ولا يحتاج الى

حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو الريان

سورة والصافات مكية وآيها ماية واحدى او اثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات

صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافين

في مقام العبودية على مراتب باعتبارها يفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين

لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها

او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين ايات الله

وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المترتبة كالصفوف

المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس

يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات

الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين ايات الله وشرايعه

او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل والعدو التالين ذكر الله

لا يشغلهم عنه مباراة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات

والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث فالصابح فالغانم فالآيب

لان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة افاضته

افاضته او الرتبة كقوله عليه الصلوة والسلام رحم الله المحلقين

فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتاخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو

وحمزة التاآت فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا

ان الهكم لواحد جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد

المقسم عليه على ما هو المالوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات

والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه

الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة

ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال

العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق

الشمس في السنة وهي ثلثماية وستون مشرقا تشرق كل يوم في واحد

وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة

وابلغ في النعمة وما قيل انها ماية وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات

الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب

بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص

بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها

واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول

فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر

بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل
وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الستة
المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض
يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة
وَحِفْظًا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه
قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ
خارج عن الطاعة برمي الشهب لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى
كلام مبتدأ لبيان حالهم بعدما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل
شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة
للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها
كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل
باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه
وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد
من التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم وَيُقْذَفُونَ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دُحُورًا
علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال
بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع داحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة





القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له
اي قذفا دحورا وَلَهُمْ عَذَابٌ اي عذاب آخر وَاصِبٌ دائم او شديد
وهو عذاب الآخرة إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ استثناء من واو يسمعون
ومن بدل منه والخطفة الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة
مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطّف مفتوح الخاء ومكسورها
واصلهما اختطف فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ اتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى
كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين
ان صح لم ينافِ ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله
انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان
كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء
من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض
الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان
ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرته
او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به
لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك
لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه
ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية

اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضى كانه يثقب الجو بضوئه

فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني ادم أهم أشد خلقا

أم من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما و

المشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه

اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرا امّن عددنا وقوله

انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم

وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم

والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة

ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب

الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان

للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما

لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة ادم عليه السلام وشاهدوا

تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا

اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق

هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك

بدءهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله

وانكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرا حمزة

حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي الى ان تعجبت

منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه

افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل

او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه

الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا

لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا ذكر لهم ما يدل على

صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا راوا اية

معجزة على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون

انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون

ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما

أئنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية

وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث

مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر

بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية أو آباؤنا

الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول

عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع

برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون

صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على
صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اى الله تعالى او الرسول صلى الله عليه وسلم
ونعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر
اى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هي النفخة الثانية
من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء
ولذلك رتب عليها فاذا هم قيام ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم
احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين
اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل
الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم
لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين
ظلموا امر الله تعالى للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم
الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم
وعابد الكوكب مع عبدته كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم
اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون
من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو
عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وفيه دليل
على ان الذين هم المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها

طريقها ليسلكوها وقفوهم واحبسوهم في الموقف انهم مسئولون
عن عقايدهم واعمالهم والواو لا يوجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم
بعد الهدى ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو
توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم
وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون
كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض
يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسال بعضهم
بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين
عن اقوى الوجوه وايمنه او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح
فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين
واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقهر
فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق
قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما
طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين
في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط
وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا
انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين

ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما
فعلوا انهم دعوهم الى الغي فاحبوا ان يكونوا امثالهم وفيه ايماء
بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غاو
لاغواء غاو فمن اغواهم فَإِنَّهُمْ فان الاتباع والمتبوعين يَوْمَئِذٍ
فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ كما كانوا مشتركين في الغواية إِنَّا كَذَلِكَ
مثل ذلك الفعل نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ بالمشركين لقوله إِنَّهُمْ كَانُوا
إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ اي عن كلمة التوحيد
او على من يدعوهم اليه وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ
مَجْنُونٍ يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ
الْمُرْسَلِينَ رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به
البرهان وتطابق عليه المرسلون إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ
بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام
وعلى الاصل وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الا مثل ما
عملتم إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ استثناء منقطع الا ان يكون
الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار
المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار

بهذا الاعتبار أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ خصائصه من الدوام
وتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فَوَاكِهُ فان الفاكهة ما يقصد
للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة
محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وَهُمْ مُكْرَمُونَ
في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال
من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك عَلَى سُرُرٍ يحتمل الحال
والخبر فيكون مُتَقَابِلِينَ حالا من المستكن فيه او في مكرمون
وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ
باناء فيه خمر او خمر كقوله وكأس شربت على لذة مِنْ مَعِينٍ
من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة
الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار
بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة
وكذلك قوله بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها
بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال
ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان
لَا فِيهَا غَوْلٌ غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده

ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب
فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطفه على ما يعمه لانه
من عظم فساده كانه جنس براسه وقرا حمزة والكسائي بكسر الزاء من
انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد ويقال نزف
المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم
قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون
جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون
من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن
الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف
على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب قال
وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه
بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف
والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم
اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول أئنك لمن المصدقين
يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى
الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك



ذلك القرين وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون
ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل فتعلمون اين منزلتكم من
منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف
على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد
به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون
الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم
فرآه اي قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت
لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام
هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من
المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف
اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت
وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة
لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل
وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه
لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله تعالى
وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم
يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون من كلام الله تعالى لتقرير قوله والاشارة

ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل
العاملون اى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية
المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك
خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا
على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة
بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام
وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق مدفرة مرة
تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة كأنه رؤس الشياطين
انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء
في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق
الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها
فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها
طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع
من الشجر كأنه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه
بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة
قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم لآكلون منها من



الشجرة او من طلعها فمالئون منها البطون من غلبة الجوع
او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم
العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم
من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق
او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما
يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم مصيرهم
لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم
اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله هذه جهنم التي
يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون
اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ
ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم
يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال
والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون على الاسراع على اثرهم
وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث
ولقد ضل قبلهم قبل قومهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا
فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين

الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله تعالى وقرئ بالفتح
اي الذين اخلصهم الله تعالى لدينهم والخطاب مع الرسول صلى الله عليه
وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا
آثارهم ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها
اي ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن
الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل
عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق او من اذى قومه
وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين
الى يوم القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه
وازواجهم وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح
هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام
من الله تعالى عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين
متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة
والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح عليه
السلام من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا
المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة
امره ثم اغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وان من شيعته لمن



ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما
في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما
نبيان هود وصالح عليهما السلام اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من
معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق
خالص لله تعالى او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به
ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم أإفكا آلهة دون الله تريدون
اي اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له
لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون
افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك في انفسها للمبالغة
او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم
برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم
عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما
يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به
او يقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله
فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها او في علمها
او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه

ان يعيد معهم فقال انى سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا
منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان
اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد انى سقيم
القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه
او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد
فدعوت ربى بالسلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء فتولوا
عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها
فى خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال اى للاصنام
استهزاء الا تاكلون يعنى الطعام الذى كان عندهم ما لكم
لا تنطقون بجوابى فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية
بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ
لانه فى معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده
باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل
باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه
الى ابراهيم بعد ما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها
فظنوا انه هو كما شرحه فى قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون
يسرعون من زفيف النعام وقرا حمزة على بناء المفعول من ازفه اى يحملوه



اى يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون
من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم
يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه
من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اى وما تعملونه فان جوهرها
بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم
فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى
والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث
فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم
اولى بذلك وبهذا المعنى يتمسك به اصحابنا على خلق الاعمال
ولهم ان يرجحوا الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا
له بنيانا فالقوه فى الجحيم فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة
التاجج واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا
فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم
فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا
نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال انى
ذاهب الى ربى الى حيث امرنى ربى وهو الشام او حيث اتجرد فيه
لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وانما بت

لسبق وعد أو لفرط توكله أو البناء على عادته معه ولم يكن كذلك
حال موسى عليه السلام حين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل
فلذلك ذكر بصيغة التوقع ربّ هب لي من الصالحين بعض الصالحين
يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لأن لفظ الهبة
غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشّره بالولد وبانه ذكر
يبلغ أوان الحلم فإن الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما وأي حلم مثل
حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق وقال ستجدني إن شاء الله
من الصابرين وقيل ما نعت الله تعالى نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم
وابنه عليهما الصلاة والسلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه
فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله
ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه
ولا ببلغ فإن بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ فقيل مع من فقيل معه
وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه
قبل اوانه أو لأنه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة
قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك يحتمل أنه رأى ذلك وأنه رأى
ما هو تعبيره وقيل أنه رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له إن الله تعالى
يأمرك بذبح ابنك فلما أصبح روّى أنه من الله أو من الشيطان فلما أمسى



رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة
فهمّ بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة
والنحر والأظهر أن المخاطب اسماعيل لأنه الذي وهب له إثر الهجرة
ولأن البشارة باسحاق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام
ولقوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده اسمعيل
والآخر أبوه عبد الله فإن عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا إن سهل الله
له حفر بئر زمزم أو بلغ بنوه عشرا فلما سهل الله تعالى خرج السهم
على عبد الله ففداه بمائة من الإبل ولذلك سنّت الدية مائة ولأن ذلك كان
بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في أيام ابن
الزبير ولم يكن اسحاق ثمّ ولأن البشارة باسحاق كانت مقرونة بولادة
يعقوب منه فلا يناسبها الأمر بذبحه مراهقا وما روي أنه عليه الصلاة
والسلام سئل أي النسب أشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب إسرائيل الله
بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح أنه قال يوسف بن يعقوب
بن اسحاق بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام والزوائد من الراوي وما
روي أن يعقوب كتب إلى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو
بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الرأي وإنما شاوره فيه وهو حتم
ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه

ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له
قبل نزوله وقرا حمزة والكسائي ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة
والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون
باخلاص فتحها قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ اي ما تؤمر به فحذف دفعة
او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المامور به والاضافة الى المامور
ولعله فهم من كلامه انه راى انه يذبحه مامورا به او علم ان رؤيا
الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به
في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال
الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا
سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ على الذبح او على قضاء الله
فَلَمَّا أَسْلَمَا استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابراهيم
ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له
فانه سلم من ان ينازع فيه وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ صرعه على شقه
فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه
باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرقه فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة
بمنى او في الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وَنَادَيْنَاهُ
أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد

روى انه عليه السلام امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع
وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال
من استبشارهما وشكرهما الله تعالى على ما انعم عليهما من دفع البلاء
بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به
على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل
وقوعه فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر
ولم يحصل إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ الابتلاء البين الذي يتميز
فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها
وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ بما يذبح بدله فيتم به الفعل عَظِيمٍ عظيم الجثة
سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي
من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط
عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند الجمرة فرماه سبع حصيات
حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابراهيم عليه السلام
وانما قال وفديناه لانه المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء
او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه
ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ

على ابراهيم سبق بيانه في قصة نوح عليه السلام كذلك نجزي المحسنين انه
من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه
باسحاق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا
الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود
ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال
فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحاق
اي بان يوجد اسحاق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله
فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول
واسحاق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام
باسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة
تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل
على الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم في اولاده وعلى اسحاق
بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا
عليهم بركات الدين والدنيا وقرئ بركنا ومن ذريتهما محسن
في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي
مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال
وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى و

هارون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية
ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم
الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم
الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى
وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثله
وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من سبط هارون اخي موسى
بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي
وان ابليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه
الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه
وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال الآن بعلبك
وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول وتذرون
احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار
المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم
لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق
مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين

لفساد المعنى وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ لغة
في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين
لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او المنسوب اليه بحذف
ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين
ابا الياس وقيل محمد عليه الصلاة والسلام او القرآن او غيره من كتب الله
والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ اذ الظاهر ان الضمير لالياس وَإِنَّ لُوطًا
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ
ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ سبق بيانه وَإِنَّكُمْ يا اهل مكة لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ
على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مُصْبِحِينَ داخلين
في الصباح وَبِاللَّيْلِ اى ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل
يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء أَفَلَا تَعْقِلُونَ افليس فيكم
عقل تعتبرون به وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ وقرئ بكسر النون إِذْ أَبَقَ
هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه
حسن اطلاقه عليه إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ المملوء فَسَاهَمَ فقارع اهله
فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام



الظفر روى انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله
به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه
فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ فابتلعه من اللقمة
وَهُوَ مُلِيمٌ داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه
وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُسَبِّحِينَ الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت
وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل
من المصلين لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ حيا وقيل ميتا وفيه
حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه وان من اقبل عليه في السراء اخذ بيده
عند الضراء فَنَبَذْنَاهُ بان حملنا الحوت على لفظه بِالْعَرَاءِ بالمكان
الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا
راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف
في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون
وقيل اربعون وَهُوَ سَقِيمٌ مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين
يولد وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ اى فوقه مظلة عليه شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ من شجر
ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام
والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه

ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع
قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز يغطي بورقه
واستظل باغصانه ويفطر على ثمره وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ
هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله
او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم أَوْ يَزِيدُونَ في مراى الناظر
اى اذا نظر قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة
وقرئ بالواو فَآمَنُوا فصدقوه او جددوا الايمان به بمحضره
فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة
لوط عليه السلام بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب
الشرائع الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل
لكل الرسل المذكورين في اخر السورة فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبَنُونَ معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله
اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره
جارا لما يلايمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم
عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين
في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء على الترتيب ضلالات اخر
التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام



بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع
الجنسين له تعالى وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم
ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار
هنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما
مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم
أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ وانما خص علم المشاهدة
لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم
ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم
لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم أَلَا إِنَّهُم مِّنْ
إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وَإِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اى الملائكة ولد فعل بمعنى
مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث أَصْطَفَى الْبَنَاتِ
عَلَى الْبَنِينَ استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء
وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على
الاثبات باضمار القول اى لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ بما لا يرتضيه عقل أَفَلَا تَذَكَّرُونَ انه تعالى منزه عن ذلك

ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان
الملائكة بناته فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين
في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم
باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان
الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان
ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس او الجن ان فسرت
بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون
من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من
المحضرين منقطع بمعنى لكن او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما
اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم
ما انتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء
الا من هو صال الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل النار يصلاها
لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز
ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم
والهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين
باعثين على طريقة الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ
صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين



او تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قوله
ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم
حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد
الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم
ويحتمل ان يكون هذا وما قبله وقوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله
ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علمت الملائكة ان المشركين معذبون
بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تنزيها لهم
منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم
اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لا يجاوزونها فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة
ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون عما لا يليق به
ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما
في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون
على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة
او بين يدي الله في القيامة وانا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون
له عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركوا قريش لو ان عندنا

ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله
المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به
اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف
يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
اي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات
وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم
فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر
وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة
على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك
من التاييد والنصرة والثواب في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد
افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى
هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه
بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على
اسناده الى الجار والمجرور ونزل اي العذاب فساء صباح المنذرين
فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار
من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر فيهم الهجوم والغا



والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت اخر
وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى التاكيد
واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط
به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا
والثاني لعذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله
المشركون فيه على ما حكي في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها
به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية
والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل
بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض
عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره
من التسليم والمراد تعليم المومنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله
وعن علي رضي الله تعالى عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيامة فليكن في آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والصافات اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين
وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مومنا
بالمرسلين سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين

وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض

الصوت الاول اى عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم

وايصال فعله اليه او اضماره والفتح فى موضع الجر فانها غير مصروفة

لانها علم السورة وبالجر على تاويل الكتاب والقرآن ذى الذكر الواو للقسم

ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدى او للرمز بكلام مثل صدق محمد

عليه الصلاة والسلام او للسورة خبر المحذوف او لفظ الامر وللعطف

ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى

او الامر بالمعادلة اى انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا صلى الله عليه وسلم

لصادق او قوله بل الذين كفروا اى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه

بل الذين كفروا به فى عزة اى استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله

ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر

ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة

او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من العقايد والشرائع والمواعيد والتنكير فى عزة

وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة اى فى غفلة عما يجب عليهم النظر

فيه كم اهلكنا قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا او شقاقا

فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اى ليس الحين حين



مناص ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت

على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هى

النافية للجنس اى ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره

اى ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدا محذوف

الخبر اى ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر

كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان

لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر فى نحو قوله لولاك هذا العام

لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله

اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته

لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته

الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء

كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين

لاتصالها به فى الامام ولا يرد عليه لان خط المصحف خارج عن القياس

اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل

ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم

والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر

بشر مثلهم او امى من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه الظاهر

موضع الضمير غضباً عليهم و ذمّاً لهم و اشعاراً بان كفرهم جسّرهم
على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره من معجزة كذّاب فيما يقول على الله
أجعل الآلهة الهاً واحداً بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد
ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه آباؤنا و ما
نشاهده من الواحد لا يفي علمه و قدرته بالاشياء الكثيرة و قرئ
مشدداً و هو ابلغ ككرام و كرّام روى انه لما اسلم عمر رضي الله تعالى عنه
شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب و قالوا انت شيخنا و كبيرنا و قد علمت
ما فعل هؤلاء السفهاء و اتيناك لتقضي بيننا و بين ابن اخيك فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال هؤلاء قومك يسألونك السؤال
فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلوة و السلام ماذا يسألونني قالوا
ارفضنا و ارفض ذكر آلهتنا و ندعك و إلهك فقال صلى الله عليه و سلم
أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطيّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب
و تدين لكم بها العجم قالوا نعم و عشراً فقال صلى الله عليه و سلم قولوا لا اله
الا الله فقاموا و قالوا ذلك و انطلق الملأ منهم و انطلق اشراف
قريش من مجلس ابي طالب بعد ما بكّتهم رسول الله صلى الله عليه و سلم
ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا و اصبروا و اثبتوا
على آلهتكم على عبادتها و لا ينفعكم مكالمته و ان هي المفسّرة لان الانطلاق

لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول و قيل المراد بالانطلاق
الاندفاع في القول و امشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها و منه الماشية
اي اجتمعوا و قرئ بغير ان و قرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر
لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد
او يقصده من الرياسة و الترفع على العرب و العجم لشيء يتمنى او يريده كل احد
او ان دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله
في الملة الآخرة في الملة التي ادركنا عليها آباءنا او في ملة عيسى التي هي
آخر الملل فان النصارى يثلثون و يجوز ان يكون حالاً من هذا اي ما سمعنا
من اهل الكتاب و لا الكهان بالتوحيد كائناً في الملة المترقبة ان هذا
الا اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه
بالوحي و هو مثلهم او ادون منهم في الشرف و الرياسة كقولهم لولا انزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم و امثال ذلك دليل على ان مبدأ
تكذيبهم لم يكن الا الحسد و قصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم
في شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد و اعراضهم
عن الدليل و ليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب
ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد
فاذا ذاقوه زال شكهم و المعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب

فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
بل اعندهم خزائن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها
عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية
من الله تعالى يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز اى
الغالب الذى لا يغلب الوهاب الذى له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك
فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كانه لما انكر عليهم التصرف
فى نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التى لا نهاية لها اردف ذلك
بانه ليس لهم مدخل فى امر العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزائنه فاين لهم
ان يتصرفوا فيها فليرتقوا فى الاسباب جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك
فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا
امر العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب
فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث
السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هم جند ما من الكفار
المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف
فى الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك
اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة
الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح



وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة فى ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات
البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد
بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدى المعذب
ورجليه اليها ويضرب عليهما اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط
واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب
يعنى المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل
بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد
ليكون تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب
وهو اما مقابلة الجمع بالجميع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم
وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم
بالذكر او حضورهم فى علم الله تعالى الا صيحة واحدة هى النفخة ما لها
من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد
فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرا حمزة والكسائى بالضم وهما لغتان
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذى توعدنا به
او الجنة التى تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال للصحيفة الجائزة
قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا

ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم
فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة
نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر
ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك
ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه ادنى اهمال
ذا الأيد ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد وأياد بمعنى
انه اواب رجاع الى مرضاة الله وهو تعليل للأيد دليل على ان المراد
به القوة في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل
انا سخرنا الجبال معه يسبحن قدم تقديره ويسبحن حال وضع موضع
مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا
بعد حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق
الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها
فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه صلى الله
عليه وسلم صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس
ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية والطير محشورة اليه
عن كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة



ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر
كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى
التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح
وهذا على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح
وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ
بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان
فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال اني قتلت اباه غيلة
واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه الحكمة النبوة
وكمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز
الحق من الباطل او الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود
من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف
والاظهار والاضمار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد
لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو
الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء
في وصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر
وهل اتاك نبؤ الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه
والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق على الجمع اذ تسوروا المحراب

اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام و اذ
متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به
الواقع في عهد داود عليه السلام وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف
اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه
الرسول لم يكن حينئذ واذ الثانية في اذ دخلوا على داود بدل
من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه
من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه
فانه عليه السلام كان جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء
ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة
على صور الانسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان
متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض
وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور
فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط
اى ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط
وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل
ان هذا اخى بالدين او بالصحبة له تسع وتسعون نعجة ولى
نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية

والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرا حفص بفتح ياء لى نعجة فقال اكفلنيها
ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى
اى نصيبى وعزنى في الخطاب وغلبنى في مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج
لم اقدر ان ارده او في مغالبته اياى في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها
هو فخاطبنى خطابا اى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى
على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم
محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله
قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف
الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا
من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغى
ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله
اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسر بعضهم على بعض
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اى وهم قليل وما مزيدة
للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب
او امتحناه بتلك الحكومة هل تنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر
راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدأه او خر للسجود راكعا

اى مصليا كانه بركعتى الاستغفار وأناب ورجع الى الله تعالى بالتوبة
واقصى ما فى هذه القضية الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له
ما لغيره وكان له امثاله فنبهه بهذه القضية فاستغفر واناب عنه وما
روى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولد منها
سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك
معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل
انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هراء وافتراء
ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما
يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه
فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده قوما فتصنعوا بهذا التحاكم
فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له
فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اى ما استغفر عنه
وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع فى الجنة
يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض استخلفناك على الملك فيها
او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم
بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى الانفس
وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم الاخر قبل

٤٤٢

قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله دلائله التى نصبها على الحق
ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق
ومخالفة الهوى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا
خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق
الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين
كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا
من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين فى الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية
بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله
ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين
ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار
الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية
تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون فى الدنيا
والغالب فيها عكس ما يقتضى الحكمة فيه او فى غيرها وذلك يستدعى ان يكون لهم حال اخرى

يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال

ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات

الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت

وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذووا العقول السليمة

او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته

بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع

وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر

للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اى نعم العبد سليمان

اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة

او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان

عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل

الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل

لا يكاد يكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي

يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد روى انه عليه السلام

غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة

فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل

عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته واستردها فعقرها تقربا لله



الى الله تعالى فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت

ان يعدى بعلى بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت حب الخير عدى تعديته

وقيل بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اى برك وحب الخير

مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها

خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلوة والسلام الخيل معقود بنواصيها الخير

الى يوم القيامة حتى توارت بالحجاب اى غربت الشمس شبه غروبها

بتواري المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه

ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا

بالسوق والاعناق اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته

اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير

بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق

كما في مؤسى وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس

ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل

فيه ما روي مرفوعا انه عليه السلام قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة

تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف

عليهن فلم يحمل الا امراة جاءت بشق رجل فو الذي نفس محمد بيده

لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجمعت الشياطين على قتله

فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ألقي على كرسيه ميتا

فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله تعالى وقيل انه عليه السلام غزا صيدون

من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها

جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح

مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب

المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل

للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها في صورته

شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق

ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم

فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف

حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف

الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده عليه السلام فبقر بطنها فوجد

الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم

لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله

لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره

قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لا يتسهل له

ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد

بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما

ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا

يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب

لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة

وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن

تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح

تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته

كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب

والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين

مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم

في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل

ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها

هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد

وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط المنعم عليه وفرقوا بين فعليهما

فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة

هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسليط

على ما لم نسلط به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط من شئت

وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه
وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما
اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة
الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم
في القيد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ماله من الملك العظيم
في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن
عيص بن اسحاق وامرأته ليا بنت يعقوب عليه السلام اذ نادى ربه
بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني باني مسني وقرا حمزة
باسكان الياء واسقاطها في الوصل الشيطان بنصب بتعب
وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه لقال انه مسه
والاسناد الى الشيطان اما لان الله تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته
كما قيل اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت
مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا
لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس
الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب
والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط
من الرحمة ويغريه على الجزع وقرا يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ



بفتحين كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك
حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد
وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي ماء تغتسل به
وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة
وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله
بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا
له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة
منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم
لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى الله تعالى فيما يحيق بهم وخذ بيدك
ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه
فاضرب به ولا تحنث روى ان زوجته ليا بنت يعقوب عليه السلام
وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة
وابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله تعالى يمينه
بذلك وهي رخصة باقية في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه
في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله تعالى من الشيطان
فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة
ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل

بشرا شره على الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب
وقرا ابن كثير عبدنا بوضع الجنس موضع الجمع او على ان ابراهيم وحده
لمزيد شرفه عطف بيان له واسحاق ويعقوب عطف عليه اولى الايدى
والابصار اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين او اولى الاعمال
الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها
وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة
الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم
خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هى ذكرى الدار تذكرهم
للاخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم
فيما ياتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك فى الاخرة
واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف
نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص
فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين
من امثالهم المصطفين عليهم فى الخير جمع خير كشر واشرار وقيل
جمع خير او خير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت او ميت واذكر
اسماعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل
ثم استنبئ واللام فيه كما فى قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرا



حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع
وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته ولقبه
فقيل فر اليه مائة نبى من بنى اسرائيل من القتل فاواهم وكفلهم وقيل
كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلوة وكل اى وكلهم
من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم
او نوع من الذكر وهو القران ثم شرع فى بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال
وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن مآب
وهو من الاعلام الغالبة كقوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده وانتصب عنها
مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل
وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين
فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان
من الضمير فى لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استيناف
لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار
بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم
قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب لداتهم
فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية
واشتقاقه من التراب فانه يمسهن فى وقت واحد هذا ما توعدون

ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير
وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ماله من نفاد
انقطاع هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين
لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس
المهاد المهد او المفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم
محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اى ليذوقوا
هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره
حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اى هو حميم والغساق
ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ
حفص وحمزة والكسائى بتشديد السين وآخر اى مذوق او عذاب
اخر وقرا البصريان اخرى اى ومذوقات او انواع عذاب اخر من شكله
من مثل هذا المذوق او العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر
او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهى لغة
ازواج اجناس خبر لاخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار
والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء
الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال
والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين





على اتباعهم او صفة لفوج او حال اى مقولا فيهم لا مرحبا
اى ما اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم
مثلنا قالوا اى الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق
بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا
قدمتم العذاب او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتم من العقائد
الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا
اى الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار
مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين
كقوله ربنا اتهم ضعفين من العذاب وقالوا اى الطاغون ما لنا لا نرى
رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين
يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا
وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم
وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقرا نافع وحمزة والكسائى سخريا بالضم
وقد سبق مثله فى المؤمنين ام زاغت مالت عنهم الابصار
فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفى رؤيتهم
لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم
على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم

فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهم على انفسهم او منقطعة والمراد
الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور
انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذى حكيناعنهم لحق لا بد
ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق
او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين
انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد القهار
الذى لا يقبل الشركة والكثرة فى ذاته القهار لكل شئ رب السموات
والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذى لا يغلب
اذا عاقب الغفار الذى يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه
الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين
وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار قل هو
اى ما انبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد
فى الوهيته وقيل ما بعده من نبأ آدم عليه السلام نبأ عظيم انتم
عنه معرضون لتمادى غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت
عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله
ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عليه السلام
عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت فى الكتب المتقدمة من غير

من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحى واذ متعلق بعلم
او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى ان يوحى الى الا انما انا
نذير مبين اى لانما كانه لما جوز ان الوحى يأتيه بين بذلك ما هو المقصود
منه تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ
انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين
بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ عليها مشتملة
على تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم عليه السلام واستحقاقه للخلافة
والسجود على ما مر فى البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو
المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبى صلى الله عليه وسلم
بمثل ما حاق ابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز
ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم
الله تعالى والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحى
واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا
له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه فى البقرة
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان
وصار من الكافرين باستكباره عن امر الله او استكباره عن الطاعة
او كان منهم فى علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى

خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد
القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه
للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به في تركه وهو
لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد
اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق
او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت
من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها
او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابداء المانع وقوله خلقتني
من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه
قال فاخرج منها من الجنة او السماء او من الصورة الملكية فانك رجيم
مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين
قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
مر بيانه في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم
عن الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين قال فالحق
والحق اقول اي فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف
حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن جهنم منك



وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف
والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق
يميني او قسمي او الخبر اي انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول
كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ
المقسم به في الثاني للتاكيد وهو شائع فيه اذا شاركه الاول وبرفع الاول
وجره وبنصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام
فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تاكيد
له او للضميرين قل ما اسألكم عليه من اجر اي على القران او تبليغ الوحي
وما انا من المتكلفين المتصنعين بما ليسوا من اهله على ما عرفتم من حالي
فانتحل النبوة واتقول القران ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين
ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك
بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه
تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن
كل جبل سخره الله لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه ان يصر على
صغير او كبير

## سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الآية وايها خمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم

وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة
او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القرآن
وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله
فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع
الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص
المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة
مجيه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص اى الا هو الذى
وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية
والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا من دونه اولياء
يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام
على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم
وهو مبتدا خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
باضمار القول او ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا
يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر
او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا ليقربونا حكاية لما
خاطبوا به الهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون

من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم
وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم
ان الله لا يهدى لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار
فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا
لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه
لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما
عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم
مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار
فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية
وهي تنافي المماثلة فضلا عن التولد لان كل واحد من المثلين مركب
من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة
تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله
خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل يغشى كل واحد منهما الآخر كانه يلف عليه
لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة
او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر
الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته

الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث
لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال آخر بما
اوجده في العالم السفلي مبدوءا به من خلق الانسان لانه اقرب
واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم
عليه السلام اولا من غير اب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم
تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة
نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها
زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى
عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر
ثم خلق منه حواء وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه
وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم
باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية
ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم
في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام
اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولي العقل او خصهم
بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد

من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق
من بعد نطف في ظلمات ثلاث ظلمة البطن والرحم والمشيمة
او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم
هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه
في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك
ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر
لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه
سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي
باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك
وعن ابي عمرو ويعقوب باسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة
والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية
من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه
لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدأ الكل منه ثم اذا خوله
اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه
من الله نسي ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه
او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر والانثى

من قبل  من قبل النعمة  وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله
وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال
لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين  قل تمتع
بكفرك قليلا  امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهٍ لا سند له
واقناط للكافر من التمتع في الاخرة ولذلك علله بقوله  انك من
اصحاب النار  على سبيل الاستيناف للمبالغة  امن هو قانت
قائم بوظائف الطاعات  اناء الليل  ساعاته وام متصلة بمحذوف
تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت
كمن هو بضده وقرا الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت
لله كمن جعل له اندادا  ساجدا وقائما  حالان من ضمير قانت وقرئا
بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين  يحذر الاخرة
ويرجو رحمة ربه  في موضع الحال او الاستيناف للتعليل  قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون  نفي لاستواء الفريقين
باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه
ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي
كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون
انما يتذكر اولوا الالباب  بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام

بالادغام  قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم  بلزوم طاعته
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة  اي للذين احسنوا بالطاعات
في الدنيا مثوبة حسنة في الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة
في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة  وارض الله
واسعة  فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر
الى حيث يتمكن منه  انما يوفى الصابرون  على مشاق الطاعة من احتمال
البلاء ومهاجرة الاوطان لها  اجرهم بغير حساب  اجرا لا يهتدي
اليه حساب الحساب وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة
لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب
لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا
ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل
قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين  موحدا له  وامرت
لان اكون اول المسلمين  وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم
في الدنيا والاخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من
اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني
الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص
وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبق في الدين

ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص
والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي
بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم
لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون
مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة والاخلاص
خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله
فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين
الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم
بالاضلال يوم القيامة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا
وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار
فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا
عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم
لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران
ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل
اطباق من النار هي ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو
الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا
لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه



فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم
وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها
بدل اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه
لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت
فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر
موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين
يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك الذين
هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة
عن منازعة الهوى والعادة وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها
افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة
على محذوف دل عليه الكلام تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب
فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع من
في النار موضع الضمير للدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف
وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم
من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة على ذلك
والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف
علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض تجري من تحتها

الانهار اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله
لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو
على الله محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه
فادخله ينابيع في الارض هي عيون ومجار كائنة فيها او مياه نابعات
فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج
به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته
من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم جفافه
حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله
حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم
دبره وسواه او بانه مثل الحيوة الدنيا فلا يغتر بها لاولي الالباب
اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن
فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية
عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل للاسلام
فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه صلى الله عليه
وسلم اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل ما علامة ذلك
قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت
قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله

٤٢٥

من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان
القاسية من اجل الشيء اشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر
وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح
الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه
اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادي نظر والآية نزلت
في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القرآن
روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له
حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد
اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن
او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم
وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى
على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور
وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها
كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار
الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء
ليصير رباعيا اكثر تركيبا فقطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم

وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار
بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى
لتضمين معنى السكون والاطمينان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي
هي من عوارضها ذلك اى الكتاب هدى الله يهدى به من يشاء
هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجهم
من الضلال افمن يتقى بوجهه يجعله درقة يقى به نفسه لانه
يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقى الا بوجهه سوء العذاب
يوم القيامة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل
للظالمين اى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم
واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون
اى وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر
ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزى الذل في الحيوة الدنيا
كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء ولعذاب الآخرة
المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا
من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه




في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا
والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له
غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما وهو ابلغ من المستقيم واختص
بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج
من الاله وقول غير مكذوب وهو تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم
يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد
رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما
يقتضيه مذهبه من ان يدعى كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون
فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة
في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه
سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس
الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ
بفتح السين وكسرها مع سكون العين وثلاثتها مصادر سلم نعت بها
او حذف منها ذا ورجل سالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل
لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه
على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او
لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير

مثلا رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد لله لا يشاركه فيه على الحقيقة
سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون
فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون
فان الكل بصدد الموت في عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه
مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيامة
عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك على الحق في التوحيد وكانوا
على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا
في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا
ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم
بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله
باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره
اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم
واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة
فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجا
ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به
للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون وقيل



وقيل هو النبي والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك
يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اي
صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل او وصار صادقا بسببه لانه
معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤون
عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم
اسوأ الذي عملوا خص الاسوء للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى
بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون
مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوء ذنوبهم ويجوز ان
يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ
اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي
كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه
لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي مبالغة
في الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده
قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء عليهم السلام ويخوفونك
بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا
لعيبك اياها وقيل انه عليه الصلوة والسلام بعث خالدا ليكسر العزى

فقال له سادنها أحذركها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها
فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر به بالخوف عليه ومن
يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر
فما له من هاد يهديهم الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل
اذ لا راد لفعله كما قال أليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام
ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل أفرأيتم
ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره
اى ارأيتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله
ان يصيبني بضر هل يكشفنه او ارادني برحمة بنفع هل هن
ممسكات رحمته فيمسكها عني وقرأ ابو عمرو كاشفات ضره
ممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله
كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي
لا مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سألهم فسكتوا فنزلت ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به
من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل
منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير



للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ على مكاناتكم اني عامل
على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله
صلى الله عليه وسلم لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك
توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله
يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا
عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم ومعاشهم
ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها
وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما
امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي
لم تمت في منامها اى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها
فيها ظاهرا او باطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم
فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة و
الكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى
اى النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب
لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما

ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها
العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحيوة فيتوفيان عند الموت
ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرنا إن في ذلك من التوفي
والامساك والارسال لآيات على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته
لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية
حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة
والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظاهرها وارسالها حينا بعد حين
الى توفي آجالها أم اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله
شفعاء تشفع لهم عند الله قل أولو كانوا لا يملكون شيئا
ولا يعقلون أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم
جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما
عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم
والمعنى انه تعالى مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه
ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض
فانه تعالى مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه
ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيامة فيكون الملك له ايضا
حينئذ وإذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت انقبضت



انقبضت ونفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين
من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها
ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما
فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه
والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل
في اذا المفاجأة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة
شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم
بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني
وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وعيد شديد واقناط
كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة
فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم
سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه فاذا مس
الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على
قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب

بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة
فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره
وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه
نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال انما
اوتيته على علم على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي
من استحقاقه او على علم من الله بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت
موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة
امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر
او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك
وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم
الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير
والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم
سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة
لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك
والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او التبعيض
سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم

قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين
فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث
حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد
تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القران لا تقنطوا من رحمة الله
لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب
جميعا عفوا ولو بعد تعذيب وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل
على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل
بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد
بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة بما في عبادي
من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر
الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة
واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير
لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي
انه صلى الله عليه وسلم قال ما احب ان يكون لي الدنيا وما فيها بهذه الآية
فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك

ثلاث مرات وما روي أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الوثن
وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الأوثان
وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا
فافتتنوا أو في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وأنيبوا إلى ربكم
وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فإنها لا تدل على حصول
المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والإخلاص
في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم
القرآن أو المأمور به دون المنهي عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ
دون المنسوخ ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة
من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون بمجيئه فتداركوا
أن تقول نفس كراهة أن تقول وتنكير نفس لأن القائل بعض الأنفس
أو للتكثير كقول الأعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه أتاني كريم ينفض
الرأس مغضبا يا حسرتا وقرئ بالياء على الأصل على ما فرطت
بما قصرت في جنب الله في جانبه أي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري
أما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية
فيها مبالغة كقوله إن السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على
ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله



من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وإن كنت لمن الساخرين
المستهزئين بأهله ومحل وإن كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت
وأنا ساخر أو تقول لو أن الله هداني بالإرشاد إلى الحق لكنت
من المتقين من الشرك والمعاصي أو تقول حين ترى العذاب
لو أن لي كرة فأكون من المحسنين في العقيدة والعمل وأو للدلالة
على أنه لا يخلو من هذه الأقوال تحيرا أو تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك
آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما
تضمنه قوله لو أن الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لأن تقديمه
يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لأنه يتحسر بالتفريط
ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله في فعل العبد
ولا ما فيه من إسناد الفعل إليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ
بالتأنيث للنفس ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بأن
وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم
من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال إذ الظاهر
أن ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو أليس في جهنم
مثوى مقام للمتكبرين عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لأنهم يرون
كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم

مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها باهم اقسامه وبالسعادة
والعمل الصالح اطلاقها على السبب وقرا الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا
له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء
ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء
من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه
له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره
وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص
لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد
او مقلاد من قلدته اذا لزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليل على الشذوذ
كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد
فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله
ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن
بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه
الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم
بها اصابه والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله
وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد
مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين

فضل



فضل الله وفي هلاك الكافرين ان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض
بالوعيد قضية للكرم او تغليبه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده
بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم
لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قل افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد
وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا
استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير
بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تامرونني ان اعبد
فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغى ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرا
ابن عامر تامرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها
تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل
لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض
والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد
الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان
للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم
اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب

بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص
لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب
الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في انفسهم
حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد
والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
تنبيه على عظمته وكمال قدرته على الافعال العظام التي تتحير فيها
الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه
على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا
كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة
وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ
بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد
بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات
بالنصب على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها
سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته
عن اشراكهم او مما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى
فصعق من في السموات ومن في الارض خروا ميتا او مغشيا عليهم
الا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل

حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد
بالاولى ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى
تحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون
وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى
يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم
واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا
لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفي الحديث
الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق
فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ووضع الكتاب
الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال
في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به
الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة
والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق
وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد
ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته
شيء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة

والشرار جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو
عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة وهي الجماعة القليلة
حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة
وقرا الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا
الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل
على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل
وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله
بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع
الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين
اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثويهم
في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم
فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلوة والسلام
ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل
من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل



النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار
وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى الجنة وقيل سيق مراكبهم
اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف
وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة
على انهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب
الجنة تفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين وقرا الكوفيون فتحت بالتخفيف
وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم
طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود
والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع
دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه
على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم
من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء
اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من الجنة الواسعة مع ان في الجنة
مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة
وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة
او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية

او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا
به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق
في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم
النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم
وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون
هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم
وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله
رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها
انه عليه الصلوة والسلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وآيها خمس او ثنتان وثمانون بسم الله
الرحمن الرحيم حم امال ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر
صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم
على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف
والتانيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز
والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه

ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة
حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب
مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس
او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين
لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما
يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب
باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب
مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق
وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها
لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي
المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما حققوا امر
التنزيل فسجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه
وقطع تشبث اهل الزيغ وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك
قال عليه الصلوة والسلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا
فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم
واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة

فانهم ماخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا
على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة
من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها لياخذوه ليتمكنوا من اصابته
بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل
بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك
جزاء لهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره
وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب
على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل
او الاشتمال على ارادة اللفظ والمعنى الذين يحملون العرش ومن حوله
الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه
وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم
من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون
بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام
وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح
ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله
ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا

آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء
ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة
والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان
توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات
كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون
او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمته وعلمه
فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة
في عمومها وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات هنا فاغفر للذين
تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق
وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار
للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن
التي وعدتهم وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخل معهم هؤلاء ليتم سرورهم
او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم
وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور
الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد
وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص

او مخصوص بمن صلح او المعاصى فى الدنيا لقوله وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمْتَهُ اى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كانهم
طلبوا السبب بعدما سالوا المسبب وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
يعنى الرحمة او الوقاية او مجموعهما اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ
يوم القيامة فيقال لهم لَمَقْتُ اللَّهِ اَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ اَنفُسَكُمْ اى لمقت الله
اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اِذْ تُدْعَوْنَ اِلَى الْاِيمَانِ
فَتَكْفُرُونَ ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه
ولا للثانى لان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء اعمالها
الخبيثة الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان
المقتين واحد قَالُوا رَبَّنَا اَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ اماتتين بان خلقتنا امواتا
اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء اجالنا فان الاماتة جعل الشى
عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من
صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقبوليه
تصيير وصرف له عن الاخر وَاَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ الاحياءة الاولى
واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انصراف الاجل والثانية
فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما فى القبر والبعث
اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك

٤٤٧

ولذلك تسبب لقوله فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فان اعترافهم لها من اغترارهم
بالدنيا وانكارهم للبعث فَهَلْ اِلَىٰ خُرُوجٍ نوع خروج من النار مِن سَبِيلٍ
طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك
اجيبوا بقوله ذَٰلِكُم الذى انتم فيه بِاَنَّهُ بسببانه اِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ
متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه فى الحالية كَفَرْتُمْ بالتوحيد
وَاِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا بالاشراك فَالْحُكْمُ لِلَّهِ المستحق للعبادة حيث حكم
عليكم بالعذاب السرمد الْعَلِيِّ من ان يشرك به ويسوى بغيره الْكَبِيرِ
حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة هُوَ الَّذِي
يُرِيكُمْ آيَاتِهِ الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم
وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا اسباب الرزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وَمَا
يَتَذَكَّرُ بالآيات التى هى كالمركوزة فى العقول لظهورها المغفول عنها
للانهماك فى التقليد واتباع الهوى اِلَّا مَن يُنِيبُ يرجع عن الانكار
بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشئ لا ينظر فيما ينافيه
فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ من الشرك وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ اخلاصكم
وشق عليهم رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ خبران آخران للدلالة على علو
صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى الالوهية فان من
ارتفعت درجاته كمالا بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذى هو اصل العالم

الجسمانی فی قبضة قدرته لا یصح ان یشرك به وقیل الدرجات مراتب المخلوقات
او مصاعد الملائکة الی العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفیع بالنصب
علی المدح یلقی الروح من امره خبر رابع للدلالة علی ان الروحانیات ایضا
مسخرات لامره باظهار اثارها وهو الوحی وتمهید للنبوة بعد تقریر التوحید
والروح الوحی ومن امره بیانه لانه امر بالخیر او مبدؤه والامر هو الملك
المبلغ علی من یشاء من عباده یختاره للنبوة وفیه دلیل علی انها عطائیة
لینذر غایة الالقاء والمستکن فیه لله او لمن او للروح واللام مع القرب
تؤید الثانی یوم التلاق یوم القیامة فان فیه تتلاقی الارواح و
الاجساد واهل السماء والارض والمعبودون والعباد والاعمال
والعمال یوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون
لا یسترهم شیء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشی الابدان او اعمالهم
وسرائرهم لا یخفی علی الله منهم شیء من اعیانهم واعمالهم
واحوالهم وهو تقریر لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما یتوهم فی الدنیا
لمن الملك الیوم لله الواحد القهار حکایة لما یسأل عنه فی ذلك الیوم ولما یجاب
به او لما دل علیه ظاهر الحال فیه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائل
واما حقیقة الحال فناطقة بذلك دائما الیوم تجزی کل نفس بما کسبت
کانه نتیجة لما سبق وتحقیقه ان النفوس تکتسب بالعقائد والاعمال هیئات توجب



توجب لذتها والمها لکنها لا تشعر بها فی الدنیا لعوائق تشغلها فاذا قامت
قیامتها زالت العوائق وادرکت لذتها والمها لا ظلم الیوم بنقص الثواب
وزیادة العقاب ان الله سریع الحساب اذ لا یشغله شان عن شان
فیصل الیهم ما یستحقونه سریعا وانذرهم یوم الآزفة ای القیامة
سمیت بها لازوفها ای قربها او الخطة الآزفة وهی مشارفتهم النار وقیل الموت
اذ القلوب لدی الحناجر فانها ترتفع عن اماکنها وتلتصق بحلوقهم
فلا تعود فیتروحوا ولا تخرج فیستریحوا کاظمین علی الغم حال من اصحاب
القلوب علی المعنی لانه علی الاضافة او منها او من ضمیرها فی لدی وجمعه
کذلك لان الکظم من افعال العقلاء کقوله فظلت اعناقهم لها خاضعین
او من مفعول انذرهم علی انه حال مقدرة ما للظالمین من حمیم
قریب مشفق ولا شفیع یطاع ولا شفیع مشفع والضمائر ان کانت للکفار
وهو الظاهر کان وضع الظالمین موضع ضمیرهم للدلالة علی اختصاص ذلك
بهم وانه لظلمهم یعلم خائنة الاعین النظرة الخائنة کالنظرة الثانیة
الی غیر المحرم واستراق النظر الیه او خیانة الاعین وما تخفی الصدور
من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة علی انه ما من خفی الا وهو متعلق العلم
والجزاء والله یقضی بالحق لانه المالك الحاکم علی الاطلاق فلا یقضی بشیء
الا وهو حقه والذین یدعون من دونه لا یقضون بشیء تهکم بهم

لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرا نافع وهشام بالتاء
على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة
الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما
يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم
اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين
لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرا ابن عامر اشد منكم
بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى
واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان
لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت
تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله
انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه
ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة
والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون
وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا
واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين

آمنوا





آمنوا معه واستحيوا نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا
كي يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع ووضع
الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني
اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر
ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا
في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر
ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف
ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام
كقوله ويذرك وآلهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم
من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص
بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع بكلامه اني
عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان
تاكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب
لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته
لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا
يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول

وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عُتّ فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله
وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه
والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون
قتله ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتامل في امره
ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم
بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم
اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به
ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه
لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير
واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصيبكم ما يعدكم
من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم
وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط
بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا
لما هداه الله تعالى الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله
واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني



الثاني لتلين شكيمتهم وعرّض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله تعالى
سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين
فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله
بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان
منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون
ما اريكم ما اشير اليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اعلمكم
الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه وما اهديكم الا
سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة
من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع
او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف
عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية
يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح
وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين
من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب
ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد
من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة

او يتصايحون بالويل والثبور او ينادى اصحاب الجنة اصحاب النار كما فى الاعراف
وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه
يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها
ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد
ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى
او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف
من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم فى شك مما جاءكم به
من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا
ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده
رسولا مع الشك فى رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا
بنفى البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله فى العصيان من هو
مسرف مرتاب شاك فيما يشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك
فى التقليد الذين يجادلون فى ايات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى
الجمع بغير سلطان اتاهم بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة
كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز
ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اى وجدال الذين يجادلون
كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك اى كبر مقتا مثل ذلك الجدال



فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استينافا للدلالة على الموجب
لجدالهم وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر
لانه منبعهما كقوله رأت عينى وسمعت اذنى او على حذف مضاف اى على كل ذى قلب
متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ
اذا ظهر لعلى ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها
وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع
الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجى ولعله اراد
ان يبنى له رصدا فى موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التى هى اسباب
سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله
اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف
على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء
وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه
وانى لاظنه كاذبا فى دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين
زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل
على الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان
وقرأ الحجازيان والشامى وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى
بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا فى تباب خسار

وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون أهدكم
بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه إلى المقصود وفيه تعريض بأن ما
عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير
لسرعة زوالها وإن الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى
إلا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل
صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا منه
ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم
الإشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والإيمان حالا
للدلالة على أنه شرط في اعتبار العمل وأن ثوابه أعلى من ذلك ويا قوم
ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار كرر نداءهم إيقاظا لهم
عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به
نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف
على الأول فإن ما بعده أيضا تفسير لما أجمل فيه تصريحا وتعريضا أو على الأول
تدعونني لأكفر بالله بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية
باللام وإلى وأشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم
والإشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان فاعتقادها لا يصح إلا عن إيقان



عن إيقان وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار المستجمع لصفات الألوهية من كمال
القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والإرادة والتمكن من المجازاة
والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه إليه
وجرم فعل بمعنى حق وفاعله أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا
ولا في الآخرة أي حق عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها أصلا لأنها
جمادات ليس لها ما يقتضي ألوهيتها أو عدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة
دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أي كسب ذلك الدعاء
أن لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل
من الجرم بمعنى القطع كما أن بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق
والمعنى لا قطع لبطلان دعوة ألوهية الأصنام أي لا ينقطع في وقت ما
فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم أنه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد
وأن مردنا إلى الله بالموت وأن المسرفين في الضلالة والطغيان
كالإشراك وسفك الدماء هم أصحاب النار ملازموها فستذكرون
فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما أقول لكم من النصيحة
وأفوض أمري إلى الله ليعصمني من كل سوء إن الله بصير بالعباد
فيحرسهم وكأنه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات
ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى عليه السلام وحاق بآل فرعون

بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة
المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش
صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سُوءُ الْعَذَابِ الغرق والقتل او النار
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا جملة مستانفة او النار خبر محذوف
ويعرضون استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئ منصوبة
على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار
احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك
لارواحهم كما روى ابن مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم في اجواف طير
سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل
التخصيص والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ
يا آل فرعون أَشَدَّ الْعَذَابِ عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب
جهنم وقرا نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر للملائكة
بادخالهم النار وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ واذكر وقت تخاصمهم فيها
ويحتمل العطف على غدوا فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا تفصيل له
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار
او التجوز فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ بالدفع او الحمل ونصيبا



ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا فيكون صلة لمغنون
في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون صلة لمغنون
قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا
لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض
عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال
المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ
بَيْنَ الْعِبَادِ بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه
وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ اي لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير
للتهويل او لبيان محلهم فيها ويحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم
بئر جهنام بعيدة القعر ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا قدر يوم مِنَ الْعَذَابِ
شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه
قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ارادوا به الزامهم الحجة وتوبيخهم
على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا
فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة
وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ضياع لا يجاب إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة

امتحانا اذ العبرة بالعواقب والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب
والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء
والمومنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع
المعذرة لانها باطلة او لانه لا يوذن لهم فيعتذرون وقرا غير الكوفيين
ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم
ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف
والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية
هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي
العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه
واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك
وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه
تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب
ركعتين بكرة وركعتين عشيا ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان
اتاهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا
لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر ويسير معه
الانهار ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر



عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكونان الا لهم
ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات او المراد فاستعذ بالله فالتجئ اليه
انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر
من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق
الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكال ما يجادلون فيه من امر التوحيد
ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط
غفلتهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير الغافل
والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء
فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا
في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة
والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير
الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون
اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرا الكوفيون
بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة ان الساعة
لآتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل
على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها
لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني

استجب لكم اشكر لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه
منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرا ابن كثير
وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس
والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة
ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه
فضل والاشعار به لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون
لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم
ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق
كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها
وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو
كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون
من عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون
اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بايات الله ولم يتاملها الله الذي
جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة
وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب



متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنايع واكتساب الكمالات
ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين
فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحيوة
الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته
فادعوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين
قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات
من ربي من الحجج والايات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها
وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد
لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة
بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه
على لتبلغوا وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ
شيوخا بالكسر وشيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة
او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت
او يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي
ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه
الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه

بمقتضى قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين
يجادلون في آيات الله انى يصرفون عن التصديق بها وتكرير ذم المجادلة
لتعدد المجادل والمجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقران
او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحي
والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم
ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه و
السلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون في الحميم
والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل
يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية
والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم
في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون
يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه
سجر بالحب اي ملئ والمراد تعذيبهم بانواع العذاب وينقلبون من بعضها
الى بعض ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا
غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم
ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم
نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم



فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا
الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا
ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو
الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول
الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة
المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين
عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان
الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله
بهلاك الكافرين حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما
مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها
بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه
فالينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان
نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب
ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك
اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور

قصتهم اشخاص معدودة وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم
ليس لهم اختيار في ايثار بعضها ولا استبداد باتيان المقترح بها فَإِذَا
جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ بالعذاب في الدنيا والاخرة قُضِيَ بِالْحَقِّ بانجاء المحق
وتعذيب المبطل وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ المعاندون باقتراح الايات
بعد ظهور ما يغنيهم عنها اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب
وهو الابل والبقر وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كالالبان والجلود والاوبار
وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ بالمسافرة عليها وَعَلَيْهَا في البر
وَعَلَى الْفُلْكِ في البحر تُحْمَلُونَ وانما قال على الفلك ولم يقل في الفلك
للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه
يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون
لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة
وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته
فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ اي فاية من تلك الايات تُنْكِرُونَ فانها لظهورها
لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى
رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا
أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ ما بقي منهم من القصور و
المصانع ونحوهما وقيل اثارا قدامهم في الارض لعظم اجرامهم فَمَا أَغْنَى
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى
والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ بالمعجزات او الايات الواضحات فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ
واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم
الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الاخرة وقولهم لا نبعث ولا نعذب
وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم
او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم
به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار
وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق
بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا شدة عذابنا
قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ يعنون الاصنام
فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك
قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة

لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله
فما اغنى عنهم والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل
وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ
اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة
وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ اي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان
استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن
لم يبق روح نبي وصديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وآيها ثلاث او اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم حم

ان جعلته مبتدأ فخبره تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وان جعلته
تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره
كِتَابٌ وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل
افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة
ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن
الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض
باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قُرْآنًا عَرَبِيًّا نصب

٤٥٨

على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا
او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات
بَشِيرًا وَنَذِيرًا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة
لكتاب او الخبر لمحذوف فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عن تدبره وقبوله فَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ سماع تأمل وطاعة وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا
إِلَيْهِ اغطية جمع كنان وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ صمم واصله الثقل وقرئ
بالكسر وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة
على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة
ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما تدعوهم اليه
واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم
للرسول فَاعْمَلْ على دينك او في ابطال امرنا إِنَّنَا عَامِلُونَ
على ديننا او في ابطال امرك قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ
إِلَهٌ وَاحِدٌ لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم
الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة
في العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ
فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد

والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة
والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم
واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم
على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة
وهم بالآخرة هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة
لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او
القطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا
عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة
ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام
البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا
بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له
اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين
خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استيناف
غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة



مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار ويكون
منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع
النباتات والحيوان وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع
ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر
من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام
كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشر والى الكوفة في خمس عشرة ولعله قال ذلك
ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين والتصريح على الفذلكة
سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه
قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع على هي سواء
للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض
وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء
قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي
على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله
والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها
وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها
فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا
ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود

على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او إتيان السماء
حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما
الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة واتيا من المواتاة
اى ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طَوْعًا أَوْ كَرْهًا شئتما ذلك
او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع
والكره وهما مصدران وقعا موقع الحال قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ منقادين
بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها
وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى
خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير
وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين
فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فخلقهما خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير
للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني
فِي يَوْمَيْنِ قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم
يوم الجمعة وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا شانها وما يتأتى منها بان حملها
عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا
بِمَصَابِيحَ فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها وَحِفْظًا وحفظناها
من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء



السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ البالغ
في القدرة والعلم فَإِنْ أَعْرَضُوا عن الايمان بعد هذا البيان فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ
صَاعِقَةً فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مِثْلَ صَاعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق
او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ
حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم
لفساد المعنى مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ من جميع جوانبهم واجتهدوا
بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار
ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين
يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين
واخبرهم هود وصالح عن المتاخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين
ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا
من كل مكان أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ بان لا تعبدوا قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا
ارسال الرسل لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً برسالته فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ
على زعمكم كَافِرُونَ اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فَأَمَّا عَادٌ
فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق
وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم

ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى
قوي على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق
وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا
باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او
شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة
من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرا الحجازيان والبصريان بالسكون
على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن اخر شوال من
الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد
وصفه به لقوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب
وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب
الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا
في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى
ونجينا الذين امنوا فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء
فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار



من اختيار الضلالة على الهدى ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون من تلك
الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرا نافع نحشر بالنون مفتوحة
وضم الشين ونصب اعداء وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة
اهل النار حتى اذا ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال
الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها اثارا تدل على ما اقترف بها
فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ
او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء
او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب
والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم
اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون
استينافا وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم اي كنتم تستترون الناس عند ارتكاب الفواحش
مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها
وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه

ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم
وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذى ظننتم بربكم
ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم
من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا لشقاء
المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا
يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين
اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ
وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى يسئلوا ان يرضوا ربهم فما هم
فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء
اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو
القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم
ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر
الآخرة وانكاره وحق عليهم القول اى كلمة العذاب فى امم
فى جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففى آخرين
قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والانس
وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم
العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا





والغوا فيه وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا
على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى
لعلكم تغلبون اى تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا
المراد بهم القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذى كانوا يعملون
سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك اشارة الى الاسوأ جزاء اعداء الله
خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها فى النار دار الخلد
فانها دار اقامتهم وهو كقولك لك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار
عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون
ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو وقال الذين
كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنى شيطانى النوعين
الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما
سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسى
ارنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما
منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا
او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته
ثم استقاموا فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة من حيث انه
مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما تتبع الاقرار وما روى عن الخلفاء

الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل
واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح
صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج عن القبر
ان لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية
او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا نلهمكم
الحق ونحملكم على الخير بدل ما كان الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة
بالشفاعة والكرامة حيث تتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها
في الآخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون
ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور
رحيم حال من ما تدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما
يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا
ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه
وقال انني من المسلمين تفاخرا به او اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا
من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات
وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي

النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها
وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او بالحسن ما يكون فما به
من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع
للمبالغة ولذلك وضع الاحسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي
الشفيق وما يلقاها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة
بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقاها
الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة
واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لانها
بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده
او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره
ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك
ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
لانهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير
للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم
ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع
السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى

فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة
يسبحون له بالليل والنهار اى دائما لقوله وهم لا يسأمون
اى لا يملون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة
مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اى ازدادت ان الذى احياها
بعد موتها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير من الاحياء والاماتة
ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة فى آياتنا بالطعن والتحريف
والتأويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم
افمن يلقى فى النار خير امن يأتى آمنا يوم القيامة قابل الالقاء فى النار
بالاتيان آمنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد
انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا او مستأنف وخبر ان محذوف
مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القرآن وانه لكتاب
عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل
من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية
تنزيل من حكيم اى حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه



من نعمه ما يقال لك اى ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك
الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم
لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك
واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا
اعجميا جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر
لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه ءاعجمى وعربى
الكلام اعجمى والمخاطب عربى انكار مقرر للتخصيص والاعجمى يقال للذى
لا يفهم كلامه ولكلامه وقرئ اعجمى وهو منسوب الى العجم وهذه
قراءة ابى بكر وحمزة والكسائى وقرأ الباقون اعجمى على الاخبار وعلى هذا
يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم
وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه
المحذور والدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت
قل هو للذين آمنوا هدى الى الحق وشفاء لما فى الصدور من الشك والشبه والذين
لا يؤمنون مبتدأ خبره فى آذانهم وقر على تقدير هو فى آذانهم وقر
لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم
من الآيات ومن جوّز العطف على عاملين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى

أولئك ينادون من مكان بعيد اى هو تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له
بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القران ولولا كلمة سبقت من ربك
وهى العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الاجال لقضى
بينهم باستيصال المكذبين وانهم وان اليهود او الذين لا يؤمنون
لفى شك منه من التورية او القران مريب موجب للاضطراب
من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضره
وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله
اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو
وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع
وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير
ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون موصولة
معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى
ولا تضع بمكان الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به
ويوم يناديهم اين شركائي بزعمكم قالوا آذناك ما منا من شهيد
من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال
عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اى



اى ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون
يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم
من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى لا يسأم الانسان لا يمل
من دعاء الخير من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه
الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة
الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ
فى يأسه من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط من ظهور اثر اليأس
ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن
هذا لى حقى استحقه لما لى من الفضل والعمل او لى دائما لا يزول وما
اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
اى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله الحالة الحسنى من الكرامة
وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه
فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم
ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ
لا يمكنهم التفصى عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر
ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا
والجانب مجاز عن النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله واذا مسه الشر

فذو دعاء عريض مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره
وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك
فما ظنك بطوله قل ارايتم اخبروني ان كان القران من عند الله
ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد
اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم
سنريهم اياتنا في الافاق يعني ما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم
من الحوادث الاتية واثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له
ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق
للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم
او ما في بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين
لهم انه الحق الضمير للقران او الرسول او التوحيد او لله اولم يكف
بربك اى اولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد كانه قيل اولم يحصل
الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء شهيد
بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك
باظهار الايات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم
حالك وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء
لا يخفى عليه خافية الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية

وخفية

وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم
بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حمعسق مكية وهي ثلاث وخمسون اية وتسمى سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق
لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعد ايتين وان كانا اسما واحدا
فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي اليك والى الذين
من قبلك الله العزيز الحكيم اى مثل ما في هذه السورة من المعاني
او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع
على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته
وقرا ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره
او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم
صفتان له مقررتان لعلو شان الموحى به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء
كما مر في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان
له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبر له وعلى الوجوه
الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرا نافع والكسائي
بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له

وقرا البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا
مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن
اى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان
اعظم الايات وادلها على علو شانه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل على الانفطار
من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض بالسعى فيما يستدعى
مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة
وذلك فى الجملة تعم المومن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما
يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص المومنين فالمراد به
الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو
ذو حظ من رحمته والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى
دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب
على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته
والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم
رقيب على احوالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل
بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا
الاشارة الى مصدر يوحى او الى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر فى القران



فى القران فى مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرانا عربيا حالا منه
لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهى مكة ومن حولها من العرب
وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع الخلائق فيه او الارواح والاشباح
او العمال والاعمال وحذف ثانى مفعول الاول والاول مفعولى الثانى
للتهويل وابهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقران لا ريب فيه اعتراض
لا محل له فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى بعد جمعهم فى الموقف
يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة
الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين
بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين فى دارى الثواب والعقاب ولو شاء الله
لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل من يشاء
فى رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولى
ولا نصير اى ويدعهم بغير ولى ولا نصير فى عذابه ولعل تغيير المقابلة
للمبالغة فى الوعيد اذ الكلام فى الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه
اولياء كالاصنام فالله هو الولى جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا
اولياء بحق فالله هو الولى بالحق وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير
كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شىء
من امر من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق

من البطال بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم من تأويل متشابه
فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع
الامور واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض
خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير
او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا ومن الانعام
ازواجا اى وخلق للانعام من جنسها ازواجا وخلق لكم من الانعام
اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث
وفي معناه الذر والذرو الضمير على الاول للناس والانعام على تغليب
المخاطبين بالعقلاء فيه اى في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام
ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء
اى ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في قولهم
مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه
ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي
في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف
فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه آكد كما ذكرناه وقيل
مثله صفته اى ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع
ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها يبسط الرزق



لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته انه
بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى
وعيسى اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما الصلوة والسلام
ومن بينهما من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر
بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة
في احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على
الاستيناف كأنه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به
ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة
كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم
ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه
والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق
من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب
لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول او اسباب
العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم
عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى

هو يوم القيامة او آخر اعمارهم المقدرة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ باستيصال
المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا ٱلْكِتَابَ
مِن بَعْدِهِمْ يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول او المشركين
الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ وَرِثُوا و وُرِّثُوا
لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ من كتابهم لا يعلمونه كما هو ولا يومنون به حق الايمان
او من القرآن مُرِيبٍ مقلق او مدخل في الريبة فَلِذَٰلِكَ فلاجل ذلك
التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فَٱدْعُ الى الاتفاق على الملة
الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان تكون اللام في موضع الى
لافادة الصلة والتعليل وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ واستقم على الدعوة
كما امرك الله وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمُ الباطلة وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ مِن كِتَابٍ يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين امنوا ببعض
وكفروا ببعض وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ في تبليغ الشرايع والحكومات
والاول اشارة الى كمال القدرة النظرية والثاني اشارة الى كمال القوة
العملية ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ خالق الكل ومتولي امره لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَٰلُكُمْ فكل مجازى بعمله لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ لا احتجاج بمعنى لا خصومة
اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد
ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا يوم القيامة وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ مرجع الكل لفصل القضاء



القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار رأساً حتى تكون منسوخة
باية القتال وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ في دينه مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ
من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله
لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب
بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ زائلة
باطلة وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ بمعاندتهم وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ على كفرهم
ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ملتبساً به بعيداً من الباطل او بما يحق انزاله
من العقائد والاحكام وَٱلْمِيزَانَ والشرع الذي يوزن به الحقوق
ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن بان اوحى
باعدادها وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ اتيانها فاتبع الكتاب
واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه
اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان
الساعة بمعنى البعث يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا استهزاء
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ الكائن لا محالة أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ
فِى ٱلسَّاعَةِ يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت
ضرعها بشدة للحلب لان كلاً من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة

لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات
فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه الله لطيف
بعباده برّ بهم بصنوف من البرّ لا تبلغها الافهام يرزق من يشاء
اى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته
حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب
من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من انه فائدة
تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل
القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه
فنعطيه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة من نصيب
اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل ألهم
شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا
بالتزيين لهم من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث
والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم
متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالهم وافتتانهم
بما تدينوا به او صور من سنّه لهم ولولا كلمة الفصل اى القضاء
السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيامة لقضي





بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم وان الظالمين
لهم عذاب اليم وقرئ أنّ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا
كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا
فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين في القيامة
مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم
اى وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا
الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما
يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك
اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم
في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ذلك الثواب يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي
يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره
قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم
الا المودة في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل
الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى
حال منها اى الا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة
ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله روي انها لما نزلت

قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى
التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل
الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة
سيما حب آل الرسول وقيل نزلت في ابي بكر ومودته لهم نزد له فيها
في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله وحسنى ان الله
غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة
ام يقولون بل ايقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة
او القران فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله
بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه
فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشأ الله خذلانك
يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القران
والوحي عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل
ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استئناف لنفي الافتراء
عما يقوله بانه لو كان مفتريا لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق
بوحيه او بقضائه او لوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقران او بقضائه
الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما
في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا



عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة
وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم يقع على ستة معان
على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة
كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان
وحكمة وقرأ الكوفيون بالتاء غير ابي بكر ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء
والاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه
الصلوة والسلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم
اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاجابة
والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا
او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي
طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير
ما يشاء ما اقتضته مشيئته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم
وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى

فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا
وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص
بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
ايسوا منه وقرئ بكسر النون وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ في كل شيء من السهل
والجبل والنبات والحيوان وَهُوَ الْوَلِيُّ الذي يتولى عباده باحسانه
ونشر رحمته الْحَمِيدُ المستحق للحمد على ذلك وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع
قادر حكيم وَمَا بَثَّ فِيهِمَا عطف على السموات او الخلق مِنْ دَابَّةٍ
من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون
في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ
في اي وقت يشاء قَدِيرٌ متمكن منه واذا كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع
وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ فبسبب معاصيكم والفاء لان ما
شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى
السببية وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة
بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ فائتين ما قضي عليكم من المصائب وَمَا لَكُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ يحرسكم عنها وَلَا نَصِيرٍ يدفعها عنكم وَمِنْ



وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ السفن الجارية فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ كالجبال قالت الخنساء
وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ وقرئ
الرياح فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ فيبقين ثوابت على ظهر البحر إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله
والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر
ونصف شكر أَوْ يُوبِقْهُنَّ او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة
والمراد اهلاك اهلها لقوله بِمَا كَسَبُوا واصله او يرسلها فيوبقهن
لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ اذ المعنى
او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو عنهم وقرئ
ويعفو على الاستيناف وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا عطف على علة مقدرة
مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة
لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم
عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين
مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ
شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تتمتعون به مدة حياتكم وَمَا عِنْدَ اللَّهِ من ثواب
الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة
تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب التمتع بها في الحيوة الدنيا

فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق
ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم
يغفرون عطف على الذين او مدح منصوب او مرفوع وبناء
يغفرون على ضميرهم خبر للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب
وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة
نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان
فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي
حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم
في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون
في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله
لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات
الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور
والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم
لانه اجراء واغراء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدي
فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج او
لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله

عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين
بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقرئ
فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين
يظلمون الناس يبتدؤنهم بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا
عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم
وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم
الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم
للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من
بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب حين يرونه
فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة
الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب
خاشعين متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف
خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر
الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيامة ظرف لخسروا والقول في الدنيا
او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم
تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم

من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى والنجاة استجيبوا
لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعدما حكم به
ومن صلة لمرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده
ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه
مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما
ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ
وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد
بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان
الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها
ولم يتامل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم
واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة
النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية
واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير في الثانية للدلالة
على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض
فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء يخلق ما يشاء من غير لزوم
ومجال اعتراض يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او
يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض



والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض
اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم اخرين ولعل تقديم
الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع
ما يتعلق به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام
في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل
ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك
بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين
الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار
وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة
لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة
وهو ما يعم المشافهة به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية
والمهتف به كما اتفق لموسى عليه السلام في طوى والطور لكن عطف قوله
او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية
لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به
الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
او يرسل اليه نبيا فيبلغ اليه وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك
الموحى اليه الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب

صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل
مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقد قرأ نافع او يرسل برفع اللام
انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة
بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به
وقيل جبريل عليه السلام والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي وهو دليل على انه عليه الصلوة والسلام
لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع
ولكن جعلناه نورا اي الروح او الكتاب او الايمان نهدي به من نشاء
من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم
هو الاسلام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله صراط الله بدل من الاول
الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور
بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة
ويستغفرون ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله
واسأل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا
قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام
وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها
من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طريق
الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب ما يدل على انه تعالى
صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه
عطف على انا وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف في ام الكتاب
في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية ~~لكونه معجزا من بينها~~
وقرئ ام الكتب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي
رفيع الشان في الكتب السماوية لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة
بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق
بعلي واللام لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب
افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم
ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها
ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف اي انهملكم
فنضرب عنكم الذكر صفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم
اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة
عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ

يحتمل ان يكون تخفيف صُفُح جمع صَفُوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون
الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه اَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا
مُسْرِفِينَ اى لان كنتم وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض
وقرأ نافع وحمزة والكسائى اِن بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق
مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وَكَمْ اَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ
فِى الْاَوَّلِينَ وَمَا يَاْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ اِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فَاَهْلَكْنَا اَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا
اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم
وَمَضَى مَثَلُ الْاَوَّلِينَ وسلف فى القران قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول
ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ
وَالْاَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ لعله لازم مقولهم او ما دل عليه
اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم وكانهم قالوا الله كما حكى عنهم
فى مواضع اخر وهو الذى من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون
مقولهم وما بعده استيناف اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ مَهْدًا فتستقرون فيها
وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا تسلكونها لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ لكى تهتدوا الى المقاصد
او الى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ
بمقدار ينفع ولا يضر فَاَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا مال عنه النماء وتذكيره لان





البلدة بمعنى البلد والمكان كَذٰلِكَ مثل ذلك الانشار تُخْرَجُونَ
تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تَخْرُجُونَ بفتح التاء
وضم الراء وَالَّذِى خَلَقَ الْاَزْوَاجَ كُلَّهَا اصناف المخلوقات وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ
الْفُلْكِ وَالْاَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى
بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة والمخلوق للركوب على المصنوع
او الغالب على النادر ولذلك قال لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ اى ظهور ما
تركبون وجمعه للمعنى ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ اِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ
تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِى
سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه
واصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد
والمعنى واحد وعنه عليه الصلوة والسلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب
قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان
الذى سخر لنا هذا الى قوله وَاِنَّا اِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ اى راجعون واتصاله
بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه
مخطر فينبغى للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وَجَعَلُوا لَهُ
مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا متصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك
الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا

كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد
وقرئ جزؤ بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران
ومن ذلك نسبة الولد الى الله تعالى لانها من فرط الجهل به والتحقير
لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين معنى الهمزة
في ام الانكار والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا
حتى جعلوا له من مخلوقاته جزء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء
اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمهم بها كما قال واذا بشر احدهم
بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعل له مثلا اذ الولد لابد ان يماثل
الواحد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه
من الكآبة وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد
ما قالوا وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل
ضمير المبشر به ووجهه مسود جملة وقعت خبرا اومن ينشأ في الحلية
اي او جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام
في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الراي
ويجوز ان يكون من مبتدا محذوف الخبر اي او من هذا حاله ولده وفي الخصام
متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرا حمزة والكسائي وحفص
ينشؤ اي يربى وقرئ ينشا وينا شا بمعناه ونظيره ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى



بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه
مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله
انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرا الحجازيان والبصريان
عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم
احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة
وهو تجهيل وتهكم بهم وقرا نافع ءاشهدوا بهمزة الاستفهام
وهمزة مضمومة بين بين وآ اشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم
التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيامة وهو
وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله
جزءا وان له بنات وهي الملائكة ويساءلون من المساءلة وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم
فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها
وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مامورا كان او منهيا
حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم
الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى
كانه لما ابدى وجوه فسادهم وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم
من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل

فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القران او ادعائهم ينطق على صحة
ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب مستمسكون بل قالوا انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اى لا حجة لهم على ذلك
عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة
الطريقة التى تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها
الآم اى القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير
الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك
ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص
المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد
قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اى اتتبعون آباءكم
ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير
او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرا ابن عامر
وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اى وان كان اهدى
اقناطا للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستيصال
فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم
واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان



ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء
مما تعبدون برئ من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك
استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء
ككريم وكرام الا الذى فطرنى استثناء منقطع او متصل على ان ما
يعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة
على ان ما موصوفة اى انني براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى
فانه سيهدين سيثبتنى على الهداية او سيهدينى الى ما وراء ما هدانى اليه
وجعلها وجعل ابراهيم عليه السلام او الله تعالى كلمة التوحيد
كلمة باقية فى عقبه فى ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو
الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه بالتخفيف وفى عاقبه اى فيمن عقبه
لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء
وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول عليه الصلوة والسلام من قريش
وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت
بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة
فى تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القران ورسول مبين
ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم
الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة

فضوا لشركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا
واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
من احدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة
وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم
ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل
والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون
رحمة ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها
وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التي هي
اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها
من الله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم
التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم
بعضا في حوائجهم ويحصل بينهم تألف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم
لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك
ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك يعني هذه النبوة
وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها
لامنه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر اذا راوا



الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج
وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة
الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا
لقميصه وقرا ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ
سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا
وسررا عليها يتكئون اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة
عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة
الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرا عاصم وحمزة لما بالتشديد
بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والاخرة عند ربك للمتقين
الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا
واشعار بان لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع
قليل بالاضافة الى مالهم في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الافات قل من يتخلص
عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه
لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال
عشي اذا كان في بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو
على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما

وقرا يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفع
نقيض وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي حقه ان
يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له
ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان
حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرا الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي
والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت
ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم
انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا
انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند
الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب
معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم بكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا تسعه
طاقته وقرى انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي العمي
انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم
في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال
مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم





تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك
عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة
فانا منهم منتقمون بعذاب في الدنيا والاخرة او نرينك الذي
وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم
مقتدرون لا يفوتونا فاستمسك بالذي اوحي اليك من الايات
والشرائع وقرى اوحى على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط
مستقيم لا عوج له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف
تسألون اي عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه واسأل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا واسأل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة
من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد
والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى
ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون
وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول
صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد
فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون فاجأوا وقت ضحكهم منها

اى استهزؤا بها اول ما راوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية

الا هي اكبر من اختها الا هي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر

فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الايات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك

رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق منهم فقل لاقيت

سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى او الا وهي مختصة بنوع

من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب

كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم

وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك فى تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط

حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ادع لنا ربك

بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك

او ان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان

والطاعة اننا لمهتدون اى ان تدع لنا فيكشف عنا العذاب فلما كشفنا

عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون

بنفسه او بمناديه فى قومه فى مجمعهم او فيما بينهم بعد ان كشف

العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس لى ملك مصر

وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون

ونهر دمياط ونهر تنيس تجرى من تحتى تحت قصرى او امرى او



او بين يدى فى جنانى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك وتجرى

حال منها او واو حال وهذه مبتدا والانهار صفتها وتجرى خبرها

افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا

الذى هو مهين ضعيف حقير لا يستعد الرياسة من المهانة وهى القلة

ولا يكاد يبين الكلام لما فيه من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة

والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب

مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى خير منه

فلولا القى عليه اساورة من ذهب اى فهلا القى اليه مقاليد الملك

ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بسوار وطوق

من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى سوار على تعويض التاء من ياء اساوير

وقد قرئ به وقرا يعقوب وحفص اسورة وهى جمع سوار وقرئ اساور

جمع اسورة والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى

او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته

به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم

الخفة فى مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم

كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا

بالافراط فى العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم

فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار
يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم
وخادم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف
كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضم اللام فتحة او على انه جمع سلفة
اي ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير
مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا
اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى
اهل كتاب وهم يعبدون عيسى عليه السلام ويزعمون انه ابن الله
والملائكة اولى بذلك او على قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
او ان محمدا عليه الصلوة والسلام يريد ان نعبده كما عبد عيسى عليه السلام
اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا
لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف
وقالوا أآلهتنا خير ام هو اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار
فلتكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله
كانت آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد عليه الصلوة والسلام فنعبده وندع



وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين والف بعدهما
ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة
لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص
على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني
اسرائيل امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة
ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب
او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون يخلفونكم في الارض
والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك
وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا
كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله
وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة
يعلم به دنوها او لان احياء الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم
اي لعلامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى بن مريم
على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال
فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى
ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ثم يقتل الخنازير
ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به

وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها
فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل هو
قول الرسول أمر ان يقوله هذا هذا الذى ادعوكم اليه صراط مستقيم
لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين
ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى
بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال
قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولأبين لكم بعض الذى
تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان
الانبياء عليهم الصلوة والسلام لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه الصلوة
والسلام انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه
ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو
اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة
الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى عليه السلام او استيناف من الله
يدل على ما هو المقتضى للطاعة فى ذلك فاختلف الاحزاب الفرق
المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى من بين قومه
المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم
هو يوم القيامة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا



ظلموا ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة
بغتة فجاة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا
وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو
اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا
للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى نافعة ابد
الآباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما
ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ الذين آمنوا بآياتنا
صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اى الذين آمنوا مخلصين
غير ان هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم
المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم
او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة
المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب
الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها
وفى الجنة ما تشتهى الانفس وقرا نافع وابن عامر وحفص تشتهيه
الانفس على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص
يعد من الزوائد فى التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم
زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر فى ثانى الحال

وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء
العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة
وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او تلك مبتدأ والجنة
صفة تلك والتي اورثتموها خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون
وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون
بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس
وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم في الدنيا
من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل
قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون
خبر ان او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم
من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب
مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم
مكسورا او مضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون
تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فاقتصروا ليقض علينا ربك
والمعنى سل ربك ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي
ابلاسهم فانه جؤار وتمنٍ للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا



لا خلاص لكم بموت وغيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال
وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى تولى
جوابهم بعد جواب مالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه
من اتعاب النفس وآداب الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا
على كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار
بان ذلك اسوأ من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول
فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم
حديث نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا
والحفظة مع ذلك لديهم ملازمون يكتبون ذلك قل ان
كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي صلى الله عليه وسلم
يكون اعلم بالله تعالى وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن
تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته
اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين
وان هنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم
للانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على انكاره للولد ليس لعناد
ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد

في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه او من ان
يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول
الموحدين من اهل مكة وقرا حمزة والكسائي وُلد بالضم وسكون اللام
سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد
فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به
سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا
في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
اي يوم القيامة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم
مطبوع على قلوبهم ومعذبون في الآخرة وهو الذي في السماء اله
وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى
المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرا الله
والراجع مبتدا محذوف وقد لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز
جعله خبر اله لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدا محذوف
يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية
دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق
الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك
السموات والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم



العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرا نافع
وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك
الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله
الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد
بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل
ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين
او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون
يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف
على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة
عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار
او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه
فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم
ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم وقرا نافع وابن عامر
بالتاء على انه من المامور بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهي سبع او تسع وخمسون آية

وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم

والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم

والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او البراءة

ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على

الرسول عليه الصلوة والسلام نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن

سبب للمنافع الدينية والدنيوية اولما فيها من نزول الملائكة والرحمة

واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا منذرين استيناف

يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها

مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي

هو من عظايمها ويجوز ان يكون صفة لليلة مباركة وما بينهما اعتراض

وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تعالى تنزل الملائكة

والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرّق بالتشديد ويفرق

اي يفرقه الله تعالى ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا

حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا

من كل او امر او ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان يراد به

مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به

او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مامورا انا كنا مرسلين رحمة

من





من ربك بدل من انا كنا منذرين اي انزلنا القرآن لان من عادتنا

ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب

موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع

التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها

كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ان نرسل رحمتنا

فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية

من باب الرحمة وقرئ رحمة اي تلك الرحمة انه هو السميع العليم

يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو وما بعده تحقيق لربوبيته

وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما

خبر آخر او استيناف وقرا الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم

موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين

في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم

مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيي

ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الاولين قرئا بالجر

بدلا من ربكم بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين

فارتقب فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين يوم شدة

ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره

اولان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار اولان
العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب
وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار
او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي انه عليه الصلوة
والسلام لما قال اول الايات الدخان ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج
من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى
عليه وسلم الاية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة
اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه
واذنيه ودبره او يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس
يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف
العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة
وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار
من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام
اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي
صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا
وهو ما بقي من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان

الدخان بما هو من اشراط الساعة قال اذا جاء الدخان غوث الكفار
بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم
يرتدون ومن فسره بما في القيامة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش
البطشة الكبرى يوم القيامة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه
انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان يحجزه عنه او بدل من يوم تأتي
وقرئ نبطش اي نحمل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة
على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال
وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم
وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او في نفسه لشرف نسبه
وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم معي
او بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز
ان يكون ان مخففة او مفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة
اني لكم رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله
اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه
بالاستهانة على وحيه ورسوله وان كالاولى في وجوهها
اني آتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولذكر الامين مع الاداء والسلطان

مع العلاء شأن لا يخفى وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ التجأت اليه
وتوكلت عليه أَنْ تَرْجُمُونِ ان تؤذوني ضربا او شتما او ان
تقتلوني وقرئ عُدتُّ بالادغام وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ
فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس
جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فَدَعَا رَبَّهُ بعد ما كذبوه
أَنَّ هَؤُلَاءِ بان هؤلاء قَوْمٌ مُجْرِمُونَ وهو تعريض بالدعاء عليهم
بذكر ما استوجبوه ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول
فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا اي فقال أسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر
وقرا ابو عمرو بوصل الهمزة من سرى إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ يتبعكم فرعون
وجنوده اذا علموا بخروجكم وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا مفتوحا ذا فجوة
واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك
ولا تغيره شيئا ليدخله القبط إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ
وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كَمْ تَرَكُوا كثيرا تركوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ محافل مزينة ومنازل حسنة وَنَعْمَةٍ
وتنعم كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ متنعمين وقرئ فكهين كَذَلِكَ
مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك وَأَوْرَثْنَاهَا
عطف على الفعل المقدر او على تركوا قَوْمًا آخَرِينَ ليسوا منهم في شيء



في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فَمَا بَكَتْ
عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم
كقولهم بكت عليه السماء وكسفت لمهلكه الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روي
في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله
ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وَمَا كَانُوا
مُنْظَرِينَ ممهلين الى وقت آخر وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ
من استعباد فرعون وقتله ابناءهم مِنْ فِرْعَوْنَ بدل من العذاب
على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين
بمعنى واقعا من جهته وقرئ مَنْ فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان
عليه من الشيطنة إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا متكبرا مِنَ الْمُسْرِفِينَ في العتو
والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا
اي كان رفيع الطبقة من بينهم وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ اخترنا بني اسرائيل
عَلَى عِلْمٍ عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علمنا بانهم يزيغون
في بعض الاحوال عَلَى الْعَالَمِينَ لكثرة الانبياء منهم او على عالمي زمانهم
وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ نعمة جلية او اختبار ظاهر إِنَّ هَؤُلَاءِ يعني كفار
قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة

على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة و الانذار عن مثل ما حل بهم
ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة
الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك
حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها
حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة
التي من شانها ذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين
فاتوا بابائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين
ان كنتم صادقين في وعدكم ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة
ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند
وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه
عليه الصلوة والسلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن
التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين
من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استيناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم
هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استونف به
انهم كانوا قوما مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن
لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في سورة الانبيا وغيرها

ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل
من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون
لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل
بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبابه ميقاتهم وقت موعدهم
اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان ميعاد
جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة
لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا للفصل مولى من قرابة او غيرها
عن مولى اي مولى كان شيئا شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون
الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه
وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء
انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه
ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات
طعام الاثيم الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه
كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي
في البطون وقرا ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام
او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم
غليانا مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية

فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرأ الحجازيان
وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه
ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم
الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف
العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا
النوع ذق انك انت العزيز الكريم وقولوا له ذلك استهزاء به او
تقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب
انك ان هذا ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه
ان المتقين في مقام في موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم امين
يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء
به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب
يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف
والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة
متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك
او آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن ولذلك
عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن
نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار



باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان
آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت
اول احوالها والجنة والمؤمن يشارف فيها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه
فيها او الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت وكأنه قال لا يذوقون
فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب
الجحيم وقرئ ووقاهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك
عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم
لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك
سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون
لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم
انهم مرتقبون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم
الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له سورة الجاثية مكية وهي سبع
او ست وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتيج
الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره
من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم

إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل أن يكون على ظاهره
وأن يكون المعنى إن في خلق السموات والأرض لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة
ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور في خلقكم بل عطفه على المضاف إليه
بأحد الاحتمالين فإن بثه وتنوعه واستجماعه لما يتم به معاشه إلى غير ذلك
دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول على محل إن
واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل
والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لأنه سببه
فأحيا به الأرض بعد موتها بعد يبسها وتصريف الرياح باختلاف
جهاتها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون
فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء أو إن إلا أن يضمر في
أو تنصب آيات على الاختصاص أو ترفع بإضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاث
لاختلاف الآيات في الدقة والظهور تلك آيات الله أي تلك الآيات دلائله
نتلوها عليك حال عاملها معنى الإشارة بالحق ملتبسين به أو ملتبسة به
فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون أي بعد آيات الله وتقديم اسم الله
للمبالغة والتعظيم كما في قولك أعجبني زيد وكرمه أو بعد حديث الله وهو القرآن
كقوله الله نزل أحسن الحديث وآياته دلائله المتلوة أو القرآن والعطف
لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وأبو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق



ما قبله ويل لكل أفاك كذاب أثيم كثير الآثام يسمع آيات الله تتلى
عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الإيمان بالآيات وثم لاستبعاد
الإصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها
أي كأنه فخفف وحذف ضمير الشأن والجملة في موقع الحال أي يصر مثل غير السامع
فبشره بعذاب أليم على إصراره والبشارة على الأصل أو التهكم وإذا علم من آياتنا
شيئا وإذا بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها اتخذها هزوا لذلك من غير
أن يرى فيها ما يناسب الهزو والضمير لآياتنا وفائدته الإشعار بأنه إذا سمع كلاما
وعلم أنه من الآيات بادر إلى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه
أو لشيء لأنه بمعنى الآية أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم
لأنهم متوجهون إليها أو من خلفهم لأنه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع عنهم
ما كسبوا من الأموال والأولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا
من دون الله أولياء أي الأصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى
الإشارة إلى القرآن ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب
من رجز أليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع أليم والرجز أشد العذاب
الله الذي سخر لكم البحر بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب
ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بأمره بتسخيره وأنتم راكبوها
ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم

وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه
حال من ما اى سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اى هي جميعا منه
او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منة على انه فاعل
سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون في صنايعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة
الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون
ايام الله لا يتوقعون وقايعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقايعهم
او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم
بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم ان يبطش به
وقيل انها منسوخة باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون
التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما
اى ليجزي الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه
سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على
اعمالكم ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة



والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر
فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات
مما احل الله تعالى من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث
آتيناهم ما لم نوت غيرهم وآتيناهم بينات من الامر
ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبي
صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر
الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة
وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
بالمواخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر
من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع
اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للشهوات وهم
رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك
من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض
اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله
ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اى القرآن
او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح
وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون

يطلبون اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة
ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم
وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه
ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون
محياهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه
قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال
من الضمير في الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه
او استيناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني
وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة
كما استووا في الرزق والصحة في الحياة او استيناف مقرر لتساوي
محيا كل صنف ومماته في الضلال والهدى وقرئ مماتهم بالنصب
على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا
او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق
كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل
يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن
واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف

على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها
على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وتضعيف عذاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه
ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرأيت
من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى
فكانه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا
فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله
على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه
فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات وجعل على بصره غشاوة
فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة
فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ
تتذكرون وقالوا ما هي ما الحياة او الحال الا حياتنا الدنيا
التي نحن فيها نموت ونحيى اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك
او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض
او يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا
به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر
الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه

وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك
وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون
اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم
او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به
الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم
ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم
من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم
على ما دل عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه فان من قدر
على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر
مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك
امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء
ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم
على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد
تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم
ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي
الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اي جالسة على



على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها
وقرأ يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان
اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا
اضاف صحائف الاعمال الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم
ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقص انا كنا نستنسخ
نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة
ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين
كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن
آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء
بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين قوما عادتهم
الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو
او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ
حمزة بالنصب عطفا على الوعد قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة
استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفي والاستثناء
لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم
فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه

ولعل ذلك قول بعضهم تخيرة وأبى ما سمعوا من آبائهم وما تليت
عليهم من الآيات في أمر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا
على ما كانت عليه بأن عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاءها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وهو الجزاء وقيل اليوم
ننساكم نترككم في العذاب ترك المنسي كما نسيتم لقاء يومكم هذا
كما تركتم عدته ولم تبالوا به وإضافة اللقاء إلى اليوم إضافة المصدر
إلى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها
ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا
فيها وغرتكم الحياة الدنيا فحسبتم أن لا حياة سواها
فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء
ولا هم يستعتبون يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه
لفوات أوانه فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين
إذ الكل نعمة منه والدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات
والأرض إذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب
الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه وأطيعوه له عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته
وسكن روعته يوم الحساب سورة الأحقاف مكية وآيها أربع أو



خمس وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات
والأرض وما بينهما إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحق وهو
ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع
الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا وأجل مسمى وبتقدير
أجل مسمى ينتهي إليه الكل وهو يوم القيامة أو كل واحد وهو آخر
مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما أنذروا من هول ذلك الوقت
ويجوز أن تكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا
يستعدون لحلوله قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني
ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أي أخبروا
عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل أن يكون لها في أنفسها مدخل
في خلق شيء من أجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك
بالسموات احتراز عما يتوهم أن للوسائط شركة في إيجاد الحوادث
السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن
فإنه ناطق بالتوحيد أو أثارة من علم أو بقية من علم بقيت
عليكم من علوم الأولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة أو الأمر
به إن كنتم صادقين في دعواكم وهو إلزام بعدم ما يدل على ألوهيتهم

بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ إثارة
بالكسر اى مناظرة فان المناظرة تثير المعانى وأثرة اى شىء اوثر به
واثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة
من مصدر أثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة
اسم يؤثر به ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له
انكار لان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب
القادر الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم
سرائرهم ويراعى مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا
وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون
مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء يضرونهم
ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال
او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا
مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات
قال الذين كفروا للحق لاجله وفى شانه والمراد به الآيات ووضعه
موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل
عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة لما جاءهم حين جاءهم
من غير نظر وتامل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه أم يقولون افتراه

اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له
وتعجب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لى من الله شيئا اى
ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شىء منها فكيف اجترئ
عليه واعرض نفسى للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم
هو أعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح فى آياته
كفى به شهيدا بينى وبينكم يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم
بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم
وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع
عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم
الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان
بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه
كقيم او مقدر بمضاف اى ذا بدع وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم
فى الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب ولا لتاكيد النفى المشتمل
على ما يفعل بى وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة
وقرئ يفعل اى يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الى لا اتجاوزه وهو
جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال
المسلمين ان يتخلصوا عن اذى المشركين وما انا الا نذير عن عقاب الله

مبين بين الانذار بالشواهد البينة والمعجزات المصدقة قل ارايتم
ان كان من عند الله اى القران وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز
ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله وشهد شاهد
من بنى اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله
والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته
ما فى التورية من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم على مثله
مثل القران وهو ما فى التورية من المعانى المصدقة للقران المطابقة له
او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فامن اى بالقران لما راه من جنس
الوحى مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدى
القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب
عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا
للذين امنوا لاجلهم لو كان الايمان او ما اتى به محمد عليه الصلاة
والسلام خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء
وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع
لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام
واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله
فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين و



ومن قبله ومن قبل القران وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله
اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين
يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب فى مصدق او منه
لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة
على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحى وتوفيق
من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اى يصدق ذا لسان عربى باعجازه
لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول
ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء
وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى
هى منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد
فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب
والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء
بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال
من المستكن فى اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزاء
ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرا الكوفيون احسانا وقرئ حسنا
اى ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره

وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان
كالفُقر والفَقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحَمْلُهُ وفِصَالُهُ
ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفَصْلُه
او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك عبر به كما يعبر
بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة عمره ومودٍ اذا انتهى امده
ثلاثون شهرًا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة
في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه
للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك
وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما و
تحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل
واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد
اربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا
وقرأ البزي بفتح الياء ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر
رضي الله تعالى عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار
سواه وان اعمل صالحا ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس
يستجلب رضاء الله تعالى واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في

في ذريتي راسخا فيهم ونحوه تجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك
عما لا ترضاه او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك
اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح
حسن ولا يثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة
والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم
او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد
لنفسه لان يتقبل ويتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون
في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدأ خبره اولئك
والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه
فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت
في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرأ هشام
اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي
فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله
منه او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان
ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله
حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها
اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول

فعبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد حقق عند ايرادها

فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم كقوله في أصحاب الجنة مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ

بيان للامم إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ تعليل للحكم على الاستيناف

وَلِكُلٍّ من الفريقين دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا مراتب من جزاء ما عملوا

من الخير والشر ومن اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وهاهنا

جاءت على التغليب وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ جزاءها وقرأ نافع وابن عامر

وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بنقص ثواب

وزيادة عقاب وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ يعذبون بها وقيل

يعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض أَذْهَبْتُمْ

اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب

بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها

وبهمزتين محققتين طَيِّبَاتِكُمْ لذائذكم فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا باستيفائها

وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فما بقي لكم منها شيء فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ

الهوان وقد قرئ به بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ

تَفْسُقُونَ بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ

تفسقون بالكسر وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ يعني هودا عليه السلام إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ

بِالْأَحْقَافِ جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف



الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر

من اليمن وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ الرسل مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

قبل هود عليه السلام وبعده والجملة حال او اعتراض أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ

اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ هائل بسبب شرككم قَالُوا أَجِئْتَنَا

لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا عن عبادتها فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب على الشرك

إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في وعدك قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ لا علم لي

بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم

به في وقته المقدر له وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وما على الرسول

الا البلاغ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ لا تعلمون ان الرسل بعثوا

مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا سحابا عرض

في افق السماء مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ متوجه اوديتهم والاضافة فيه

لفظية وكذا في قوله قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا اي يأتينا بالمطر بَلْ هُوَ

اي قال هود بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ من العذاب وقرئ قل بل رِيحٌ

هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ صفتها وكذا قوله

تُدَمِّرُ تهلك كُلَّ شَيْءٍ من نفوسهم واموالهم بِأَمْرِ رَبِّهَا

وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا

او الهاء في بها للكل شيء فانه بمعنى الاشياء ويحتمل ان يكون استينافا للدلالة
على ان لكل ممكن وقتا مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر ويكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى
الاشياء اذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيته تعالى
وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا فاصبحوا
لا ترى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت
بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ حمزة وعاصم والكسائي لا يرى
الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين
روي ان هودا عليه السلام لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة
وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام
ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه ان نافية وهي احسن من ما هاهنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك
قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكنا
هم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله
يرجي المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق
لقوله هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا و
جعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها
على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم

ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون
بآيات الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان
الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى
كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون
عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعهم
من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا
وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حالا او مفعول له على انه بمعنى التقرب
وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان
يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ
الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة
وآفكهم اي جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك
وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك
والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون القرآن حال محمولة
على المعنى فلما حضروه اي القرآن او الرسول قالوا انصتوا قال بعضهم
لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل

وهو ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم ولّوا الى قومهم منذرين
اى منذرين اياهم بما سمعوا روى انهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوادي النخلة عند منصرفه عن الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا
بامر عيسى صلوات الله على نبينا وعليه مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق
من العقائد والى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله
وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله
فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار
واحتج ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا
ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء
يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه
اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته تعالى واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد
بقادر على ان يحيي الموتى اى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر
والباء مزيدة لتأكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب
عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان

كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها
باثبات الميعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر
مقوله أليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو
الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل
للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها
وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم
نوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله على نبينا وعليهم
وقيل الصابرون على بلاء الله تعالى كنوح صبر على اذى قومه كانوا
يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على
الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن
وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي
سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة
على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم
في وقته لا محالة كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا
الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم حتى يحسبونها ساعة

بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من
الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده انه قرئ بلّغ وقيل مبتدا خبره
لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه وراوا
ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل
يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة
وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون
ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحقاف
كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا سورة محمد عليه الصلاة
والسلام تسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وآيها سبع او ثمان
وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام
وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش
او المصرين من اهل الكتاب اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم
وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضائعة محبطة بالكفر
او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا
به وجه الله تعالى او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله
بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
يعم

يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم
وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان
به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه
ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة الحصر
وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزّل على البناء للفاعل وانزل
على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان
وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق
والتاييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح
وهو مبتدا خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا
اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق
وهذا التصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك
مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين
او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار
والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات
مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه
مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد الاختصار والتعبير به عن القتل

اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة

حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو

الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق

بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون

منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق

وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر

تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق وقرئ فدا كعصا

منسوخ عند ابي حنيفة او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل

او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها

واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اى تنقضي الحرب

ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب

شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفداء او

للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين

بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه السلام ذلك اى الامر ذلك

او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم

بالاستيصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو

المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين

بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر

والذين قاتلوا في سبيل الله اى جاهدوا وقرا البصريان وحفص قتلوا

اى استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل

ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم

ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا

حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد

منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف

وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها

الذين آمنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم

على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة

مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه

لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله

الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل

اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه

من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو

تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم

كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا

في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم

استأصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم

وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة

او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله تعالى

سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين آمنوا

ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم

وهو لا يخالف قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه

بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات

تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا

ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار

مثوى لهم منزل ومقام وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك

التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه

والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم

يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة

من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي صلى الله عليه وسلم

والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا

اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن الحجة مثل الجنة التي

وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ

خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو

خالد في النار او امثل جزاء اهل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرّي عن حرف

الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصوير المكابرة من يسوي

بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار

وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد

في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به

من على بينة في الآخرة تقريرا للانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن

استئناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء

اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسِن وانهار

من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة

للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر

وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع

على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه

الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة

في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها

والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات

صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف
او مبتدأ خبره محذوف اى لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا
ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعنى المنافقين كانوا
يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا
قالوا للذين اوتوا العلم اى لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذى
قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له اذانهم تهاونا به
وانفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه
استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال
وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم
فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى
اى زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول عليه الصلاة والسلام
وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم
جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تأتيهم
بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له
وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها



اماراتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر فكيف لهم
ذكراهم اى تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له
ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اى اذا
علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه
من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها
وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم
بالدعاء والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف
المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم فانها جنس آخر
فان الذنب ما له تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا
فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فانها دار اقامتكم
فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا
نزلت سورة اى هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة
مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اى الامر به رأيت الذين
في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشى
عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولى
وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه
او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استئناف اى امرهم طاعة

او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة أبيّ يقولون طاعة

فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل

الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص على الجهاد

او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم وقرأ نافع بكسر السين

فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم

وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم

تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور

ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء

بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز

فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض

وعن يعقوب تُوُلِّيتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم

في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تَقَطَّعوا من التقطع

اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام

فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله

افلا يتدبرون القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى

لا يجسروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف

لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد

قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط

جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة

على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها

على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر

من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة

الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء

وقيل حملهم على الشهوات من السؤل وهو التمني وفيه ان السؤل مهموز

قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم

هما يتساولان وقرئ سُوِّل على تقدير مضاف اي كيد الشيطان سول لهم

واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم

بالعقوبة لقراءة يعقوب واملي لهم اي وانا املي لهم فيكون الواو للحال

او الاستيناف وقرأ ابو عمرو واملي على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان

او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود الذين

كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين

او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر

في بعض اموركم او في بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة

في الخروج معهم ان اخرجوا والتضافر على الرسول صلى الله عليه وسلم

واللّه يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذى افشاه اللّه تعالى عليهم
وقرا حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة
فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضى والمضارع
المحذوف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم
بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفى الموصوف
بانهم اتبعوا ما اسخط اللّه من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر
وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات
فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج اللّه
ان لن يبرز اللّه تعالى لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم
ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم
بسيماهم بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب كررت فى المعطوف
ولتعرفنهم فى لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه
او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل
بالكلام عن الصواب واللّه يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال
بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلو اخباركم ما يخبر به
عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين فى



صدقها وكذبها وقرا ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء لتوافق ما قبلها
وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل اللّه وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى
هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا اللّه شيئا
بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسوله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه
وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك او
مكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون الى مقاصدهم ولا يثمر
لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا اللّه
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق
والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات
بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللّه ثم ماتوا وهم كفار
فلن يغفر اللّه لهم عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله فى اصحاب
القليب ويدل بمفهومه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه
فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح
خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى
بمعنى دعا وقرا ابو بكر وحمزة بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون
واللّه معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل

اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه
به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم
ولا يسألكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر
والعشر ان يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف
المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استأصله تبخلوا
فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان
وقرئ تخرج بالياء والتاء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اى انتم
يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله
استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو
والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية
المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل
عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي
فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو
لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف
على ان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم مقامكم قوما آخرين ثم



لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد عن الايمان وهم الفرس لانه
سئل عليه الصلوة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه
وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة
سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الحديبية وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه
او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية
وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح
وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب
فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية
آية عظيمة وهو انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت
بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس
في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول صلى الله عليه وسلم في سورة الروم
وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله
علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين
وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا

وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تأخر
جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه ويتم نعمته عليك
باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما
في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا
نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة
هو الذي انزل السكينة اي الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين
حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس
عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر ولله جنود السموات
والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم
اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير
اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها
فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا
او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل بدل الاشتمال ويكفر



ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك
اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب
من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا
فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء
وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما
يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف
اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر
وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه
في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع
موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سببه لاستقلال
الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم
ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك
شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية
لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والامة
او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه بتقوية دينه

ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا لله
بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دائما وقرا ابن كثير وابو عمرو الافعال
الثلاثة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء
وضم الزاء وكسرها وتعززوه وتوقروه بمعنى وقرئ ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم
حال واستئناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد
فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى
وفى في مبايعته بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما هو
الجنة وقرئ عهد وقرا حفص عليه الله بضم الهاء وابن كثير
ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت
في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم
وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم
وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقاتلة قريش
ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم
باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله
على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم



في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم
من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة
وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرا حمزة والكسائي بالضم
او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما
تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنهم ان المشركين
يستأصلونهم والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات
كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين
ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله
او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل
عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور
الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم
وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين
الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير
سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض
يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه

وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من دابه والتعذيب
داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي
غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم
لتأخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه الصلاة والسلام رجع
من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها و
اوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة
فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه
وهو وعد لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر
وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم
للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة
قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل
تهيئكم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم
في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون
الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا والاضراب
الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد
والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين
قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم



في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد
بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين
اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم
يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه
اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك
كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول
تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا
والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية
يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج
عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد
مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال
ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب هاهنا انفع من الترغيب
وقرا نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه الصلاة والسلام لما نزل الحديبية

بعث جواش بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش
فرجع فبعث عثمان بن عفان فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثماية او اربعماية او خمسماية
وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان تحت الشجرة سمرة
او سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم
الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا
فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها
يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة
وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين
الى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس
عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان
او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين
امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم
فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة
والعطف على المحذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا
او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة
بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه



على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها
بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها
بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم بها
وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته
ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة
ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا
يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت
من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم
كما قال تعالى لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا
تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم ايدي كفار مكة
وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم
اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسماية
الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان
ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف
اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا
طاعة لرسوله عليه الصلاة والسلام وكفهم ثانيا لتعظيم بيته

وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا فجازيهم عليه هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله يدل على
ان ذلك كان في عام الحديبية والهدى ما يهدى الى مكة وقرى
الهدى وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره
والمراد مكانه المعهود ومنى لا مكانه الذى لا يجوز ان ينحر في غيره
والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض
حجة للحنفية على ان مذبح هدى المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم
بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال
وطئتنا وطاء على حنق وطأ المقيد نابت الهرم وقال عليه الصلاة والسلام
ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة النبى
صلى الله عليه وسلم بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال
ونساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم
معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم
وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره
اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اى تطؤهم
غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لو



ولولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم
فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته
علة لما دل عليه كف الايدى من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين
اى كان ذلك ليدخل الله في رحمته اى في توفيقه لزيادة الخير او للاسلام
من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم
من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما
بالقتل والسبى اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا
او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التى تمنع
اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم
الوقار والثبات وذلك ما روى انه عليه الصلاة والسلام لما هم
بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن
حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلى له قريش مكة من القابل
ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام
لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا
اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا
لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا
ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام اكتب ما يريدون

فهم المؤمنون ان يابوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم
فتوقروا وتحملوا وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى كلمة الشهادة او بسم الله
الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد
واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا
من غيرهم وَأَهْلَهَا والمستاهل لها وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا فيعلم
اهل كل شيء وييسره له لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا راى عليه الصلاة
والسلام انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا
على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تاخر قال بعضهم
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه
بِالْحَقِّ ملتبسا به فان ما راه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام
القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق
وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما
باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ جوابه
وعلى الاولين جواب قسم محذوف إِنْ شَاءَ اللَّهُ تعليق للعدة بالمشية
تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله
ملك الرؤيا او النبي لاصحابه آمِنِينَ حال من الواو والشرط معترض
مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لَا تَخَافُونَ



حال مؤكدة او استينافا اي لا تخافون بعد ذلك فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
من الحكمة في تاخير ذلك فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ من دون دخولكم
المسجد او فتح مكة فَتْحًا قَرِيبًا هو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب
المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
ملتبسا به او بسببه ولاجله وَدِينِ الْحَقِّ وبدين الاسلام
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا
واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين
الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعده من الفتح وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا
على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد
خبر محذوف او مبتدا وَالَّذِينَ مَعَهُ معطوفا عليه وخبرهما أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم
والمعنى انهم يغلظون على خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم
كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
لانهم مشتغلون بالصلاة في اكثر اوقاتهم يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا الثواب والرضى سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ
يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه

اذا اعله وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من
المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة
يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها
ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله
كزرع تمثيل مستانف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره اخرج شطأه
فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان
شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد
وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره
فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر
برواية ابن ذكوان فازره كاجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة
الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق
وعن ابن كثير سؤقه بالهمز يعجب الزراع بكثافته وقوته
وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قلوا في بدء
الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس
ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه
او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان



للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن
شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة شرفها الله تعالى وقد زاد
سورة الحجرات مدنية وايها ثماني عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول
ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم راسا
او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب
لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله
مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه
والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله
وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله
واتقوا الله في التقديم ومخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم
عليم بافعالكم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي عليه الصلاة والسلام اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا
اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا
به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة
على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته
كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء

لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الايقاظ والدلالة
على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم
كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لا تحبط على ان النهي عن الفعل
المعلل باعتبار التأدية لان في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي الى
الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة
وقد روى ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت
تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله
لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون
عملي قد حبط فقال عليه الصلاة والسلام لست هناك تعيش بخير وتموت
بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين
يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب
او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بعد ذلك
يسرانه حتى يستفهمه اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها
فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل
او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى
فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب



اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم
لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف
لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة
من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر
الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد
بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب
لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها
او خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء
وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف
المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها
جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل
فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم
وفيها كناية عن خلوته صلى الله عليه وسلم بالنساء ومناداتهم من ورائها
اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا
على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي
ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد

فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا
بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان
بهذا المنصب وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ اي ولو ثبت
صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان أنّ وان دلت بما في حيزها
على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل
وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عليه السلام
فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة
حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار
بانه عليه السلام لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم
بالكلام او يتوجه اليهم لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ لكان الصبر خيرا لهم من
الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء
والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روي انهم وفدوا شافعين
في أسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين
تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ
فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه الصلاة والسلام



بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة
فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهمّ بقتالهم فنزلت
وقيل بعث اليهم بعده خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة
متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم
وفي تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول العدل من حيث
ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب
تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل
وما بالذات لا يعلل بالغير وقرا حمزة والكسائي فَتَثَبَّتُوا اي فتوقفوا
الى ان يتبين لكم الحال أَنْ تُصِيبُوا كراهة اصابتكم قَوْمًا بِجَهَالَةٍ
جاهلين بحالهم فَتُصْبِحُوا فتصيروا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ
مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة
دائر مع الدوام وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ان بما في حيزه ساد
مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لَوْ يُطِيعُكُمْ
فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استينافا
لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها
وهو انكم تريدون ان يتبع رايكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم

في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني
المصطلق وقوله وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ
وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ استدراك ببيان عذرهم
وهو انهم من فرط حبهم الايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك
لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم
وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ
اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره معدى
بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى
التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود
والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض
لا للراشدون فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا
من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والتكره فعل
الله وانعامه وَاللَّهُ عَلِيمٌ باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل
حَكِيمٌ حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وَإِنْ طَائِفَتَانِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة
جمع فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بالنصح والدعاء الى حكم الله فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا



عَلَى الْأُخْرَى تعدت عليها فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ
ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه
بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فَإِنْ
فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ بفصل ما بينهما على ما حكم الله
وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد
المقاتلة وَأَقْسِطُوا واعدلوا في كل الامور إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في قتال
حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه الصلاة والسلام
بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض
عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب
معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
إِخْوَةٌ من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان
الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره
مرتبا عليه بالفاء فقال فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ووضع الظاهر موضع
الضمير مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين
بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين
الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم وَاتَّقُوا اللَّهَ

في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم
يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم
ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اى لا يسخر بعض
المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا
عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به
فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة
الرجال كما قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر
بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر
الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب
في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهى ولا خبر لها
لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن
فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اى ولا يعب بعضكم
بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به
فان من يفعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن
باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعو
بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين

ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به
اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روى
ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين
فقال لها هلا قلت ان ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد
عليهم الصلاة والسلام او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع
بينه وبين الايمان مستقبح يا ايها الذين آمنوا ومن لم يتب
عما نهى عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن كونوا على جانب منه وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن
ويتأمل حتى يعلم انه من اى القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه
كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله
وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع
وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية
ان بعض الظن اثم تعليل مستأنف للامر والاثم الذنب
الذي يستحق العقوبة عليها والهمزة فيه من الواو كانه يثم
الاعمال اى يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين

تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء
من الحس الذى هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس
وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله
عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا
ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل صلى الله عليه وسلم
عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته
وان لم يكن فيه فقد بهته أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات
الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة
بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل
المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فَكَرِهْتُمُوهُ تقريرا
وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه
ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ
وشدده نافع وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ لمن اتقى ما نهى عنه
وتاب مما فرط منه والمبالغة فى التواب لانه بليغ فى قبول التوبة
اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم
روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندى شئ
فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها
فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى
خضرة اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما
فنزلت يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى من آدم وحواء
او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء فى ذلك
فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة
عن الاغتياب وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ الشعب الجمع العظيم
المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر
والعمائر تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل
فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم
فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب
لِتَعَارَفُوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل وقرئ
لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا
فليلتمس منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس
فليتق الله وقال يا ايها الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله

إن الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الأعراب آمنا
نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة
فأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
جئناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان
يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا إذ الإيمان تصديق
مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم وإلا لما مننتم على الرسول
بالإسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا
أسلمنا فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة
وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام أن يقول لا تقولوا
آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم فعدل
عنه إلى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالإيمان والجزم
بإسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الإيمان
في قلوبكم توقيت لقولوا فإنه حال من ضميره أي ولكن قولوا أسلمنا
ولم تواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد وإن تطيعوا الله ورسوله
بالإخلاص وترك النفاق لا يلتكم من أعمالكم لا ينقصكم
من أجورها شيئا من لات ليتا إذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم
من الألت وهو لغة غطفان إن الله غفور لما فرط من المطيعين



رحيم بالتفضل عليهم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك
مع التهمة وفيه إشارة إلى ما أوجب نفي الإيمان عنهم وثم للإشعار
بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس حال الإيمان فقط
بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالأموال والأنفس
تصلح للعبادات المالية والبدنية بأسرها أولئك هم الصادقون
الذين صدقوا في ادعاء الإيمان قل أتعلمون الله بدينكم أتخبرونه
به بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله
بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ
روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا وحلفوا أنهم مؤمنون
معتقدون فنزلت هذه الآية يمنون عليك أن أسلموا يعدون
إسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها إليه
من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة
من المن قل لا تمنوا علي إسلامكم أي بإسلامكم فنصب بنزع الخافض
أو لتضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان
على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ إن هداكم بالكسر وإذ هداكم

هداكم

ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله
اى فلله المنة عليكم وفي سياق الاية لطف وهو انهم لما سموا
ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال
يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن بل لو صح ادعاؤهم
للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات
والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم
فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرا ابن كثير بالياء لما في الاية من الغيبة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر
بعدد من اطاع الله وعصاه سورة ق مكية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقران
المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقران ذي الذكر والمجيد
ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم
معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم
انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم
او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية
لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم
ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك



بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة
فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت
الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف
دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول
استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله
عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اى
انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد
اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع
قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل من اجسادهم موتاهم
وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب
القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ
حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغير والمراد اما
تمثيل علمه تعالى بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه
او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق
يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القران لما جاءهم وقرئ
لما جاءهم بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه
اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن

أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى السماء فوقهم إلى آثار قدرة الله
في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها
بالكواكب وما لها من فروج فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة
الطباق والأرض مددناها بسطناها وألقينا فيها رواسي
جبالا ثوابت وأنبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه
وهما علتان للأفعال المذكورة معنى وإن انتصبتا عن الفعل
الأخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فأنبتنا به
جنات أشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه
أن يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا أو حوامل
من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل وإفراده
بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لأجل القاف
لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع
أو كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لأنبتنا أو مصدر
فإن الإنبات رزق وأحيينا به بلدة ميتا أرضا
جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون
خروجكم أحياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس

وثمود وعاد وفرعون أراد بفرعون إياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده
وإخوان لوط إخوانه لأنهم كانوا أصهاره وأصحاب الأيكة
وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل أي كل واحد
أو قوم منهم أو جميعهم وإفراد الضمير لإفراد لفظه فحق وعيد
فوجب وحل عليه وعيدي وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهديد لهم أفعيينا بالخلق الأول أفعجزنا عن الإبداء حتى نعجز
عن الإعادة من عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه
للإنكار بل هم في لبس من خلق جديد أي هم لا ينكرون قدرتنا
على الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة
العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والإشعار بأنه على وجه
غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس
به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة
الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما إن جعلت موصولة
والباء مثلها في صوت بكذا أو للإنسان إن جعلت مصدرية والباء
للتعدية ونحن أقرب إليه من حبل الوريد أي ونحن أعلم بحاله
ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه
موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت أدنى لي من حبل الوريد

والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان
لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه
وقيل سمي وريدا لان الروح يرده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر
او متعلق باقرب اي هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اي
يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن
استحفاظ الملكين فانه تعالى اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما
لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية
وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم تقوم
الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن
الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
كقوله فاني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد
كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما
يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد
معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث
كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين
عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات
لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم



البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم
يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه
على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته
الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو
والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق
او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان
خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت
على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها
جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله
واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت
ما كنت منه تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للانسان
ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد
اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى المصدر
نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما
يسوقه والاخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل
السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق
نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال

من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا
على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما
عن الآخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب
لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها
وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من
امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن
فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول
قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه
قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي
حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكي عتيد
لجهنم هيأته لها باغوائي له واضلالي وما ان جعلت موصوفة
فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر
محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد
او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزلة
منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان ازجر
وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد على

على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون
الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال
عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية
نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد
مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر
مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد
او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر
يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استونفت
كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف
دل عليه ربنا ما اطغيته كأن الكافر قال هو اطغاني
فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف
على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني
مجي كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد
فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأي
مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي قال اي الله تعالى لا تختصموا لدي اي في موقف
الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول ك

وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان فى كتبى وعلى السنة رسلى
فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهى اى لا تختصموا عالمين
بانى اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم
ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله تعالى
ما يبدل القول لدى اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل
وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل
فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام
للعبيد فاعذب من ليس لى تعذيبه يوم نقول لجهنم
هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جئ بهما
للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها
الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله تعالى لاملأن او
انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ
او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر
لهم والطالب لزيادتهم وقرا نافع وابو بكر يقول بالياء
والمزيد اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر
او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف
وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير



بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اى شيئا غير بعيد
او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون
على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرا
ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين
باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشى الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف
اواب فلا يجوز ان يكون فى حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ
خبره ادخلوها على تاويل يقال لهم ادخلوها فان من
بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر
اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب
او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد
وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم يرجون رحمته ويخافون
عقابه او بانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته تعالى
ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله تعالى
بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم
من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود
كقوله تعالى فادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد

وهو ما لا خطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا
قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها
او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب
وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه
هل من محيص اي لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا
لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا محيصا
حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر
وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا
السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك اي فيما ذكر
في هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اي قلب واع
يتفكر في حقائقه او القى السمع اي اصغى لاستماعه وهو شهيد
حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره
وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار
بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب
من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق



العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت
واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون
من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر
على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه
وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب
التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت
فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار
السجود واعقاب الصلوة جمع دبر من ادبرت الصلوة اذا انقضت
وقرأ الحجازيان وحمزة بكسر الهمزة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة
قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان
والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل المراد الوتر بعد
العشاء واستمع لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم
للمخبر به يوم ينادي المنادي اسرافيل او جبريل فيقول ايتها العظام
البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن
لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء
ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء يوم نصب عما دل عليه يوم الخروج

اي يوم ينادي يخرجون من القبور

يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق
متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور
وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت
والينا المصير للجزاء في الآخرة يوم تشقق تتشقق وقرئ
تنشق وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وابو عمرو بتخفيف الشين الارض
عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير
هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر
لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم
على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقرآن من يخاف
وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق
هون الله تعالى عليه تارات الموت وسكراته والله اعلم

سورة الذاريات مكية وآيها ستون بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء
الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذرو الخلائق من الملائكة
وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات و

وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء
الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر
فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية
في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف
اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار
والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح
يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء
لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة
والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو
حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به
فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم
كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى
الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية
والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق
والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي
تسلكها النظار وتتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق
او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة

وطرقا وحباك كمثال ومثل وقرئ بالسكون والحبك كالإبل والحبك
كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق
إنكم لفي قول مختلف في الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قولهم تارة
انه شاعر وتارة انه مجنون وتارة انه ساحر او في القران او القيمة
او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم
في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق في السموات في تباعدها
واختلاف غاياتها يؤفك عنه من أفك يصرف عنه الضمير
للرسول صلى الله عليه وسلم او القران او الايمان من صرف اذ لا صرف
اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله تعالى
وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك
عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اي
يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ أفك بالفتح اي من أفك الناس
وهم قريش كانوا يصدون عن الايمان قتل الخراصون الكذابون
من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن
الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به
يسألون ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه
وقرئ إيان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اي



اي يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون
وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع
ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به
تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون
هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته إن المتقين في جنات وعيون
آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه
ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول إنهم كانوا قبل ذلك
محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة
اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية
او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه
ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات
لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت
السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالأسحار
هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا
اخذوا في الاستغفار كأنهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل
على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه تعالى

وفي أموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى
واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف
الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين
اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات
من الدحو والسكون وارتفاع بعضها من الماء واختلاف اجزائها
في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه
وقدرته وارادته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي انفسكم
ايات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته
على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات
العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة
واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من
يعتبر وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل
المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات
وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة
او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستانف
خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول
يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد مثل ما

انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون
ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق
او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني
على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزها
ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة
والكسائي وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم فيه
تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه عليه الصلاة والسلام
والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد
وقيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل
وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين
عند الله تعالى او عند ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ خدمهم
بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف
او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال سلام
اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون
تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرا حمزة والكسائي قال سلم
وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اي انتم قوم منكرون
وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم

فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم
في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا
من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان
عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم
قال الا تاكلون اي منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة للعرض
والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اولا ما وضعه وللانكار
ان قاله حينما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم
خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل
وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا
رسل الله قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج
حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحاق
عليه السلام عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امراته سارة
رضي الله عنها الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة
من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول اقبلت باخذت
فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب
وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز
عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي بشرناه به



بشرناه به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم
فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون لما علم
انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم
حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت
الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة عند ربك للمسرفين
المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها
وان لم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن امن بلوط
عليه السلام فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت
من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف
لان ذلك لا يقتضي الا صدق المومن والمسلم على من اتبعه وذلك
لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة
على ذات واحدة وتركنا فيها اية علامة للذين يخافون العذاب
الاليم فانهم المعتبرون وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها
او ماء اسود منتن وفي موسى عطف على وفي الارض او تركنا فيها
على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه
الى فرعون بسلطان مبين وهو معجزاته كاليد والعصا

فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى
بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به
وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه جعل
ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك
باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم آتٍ بما يلام عليه من الكفر
والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم
او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء
اتت عليه مرت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم
وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يفسره
قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا
عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلاث
وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون
فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام لقوله
فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز
عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا



اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا
على محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل
من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين
عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة
وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر
على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق
والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون
اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا زوجين نوعين
لعلكم تذكرون فتعلمون ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب
بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه
بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عذابه
المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله
بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها آخر
افراد لاعظم ما يجب ان يفر عنه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد
او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك
كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه
ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا

ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد
ما النافية لا يعمل فيما قبلها أَتَوَاصَوْا بِهِ اى كان الاولين والآخرين
منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ
اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول
مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فاعرض عن مجادلتهم
بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ
على الاعراض بعد ما بذلت جهدك فى البلاغ وَذَكِّرْ ولا تدع
التذكير والموعظة فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ من قدر الله ايمانه
او من آمن فانه يزداد بها بصيرة وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا
بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر
قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه
الا لآمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لى مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ اى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل رزقى
فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبين
ان شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم
ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون



بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ الذى يرزق
كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى انا الرزاق
ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فَإِنَّ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا ذَنُوبًا اى للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا
من العذاب مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة
وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم
فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ من يوم القيامة او يوم بدر
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله عشر حسنات
بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا سورة الطور مكية وآيها تسع او
ثمان واربعون بسم الله الرحمن الرحيم
وَالطُّورِ يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام
كلام الله تعالى والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد
الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ
مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله
فى اللوح المحفوظ او الواح موسى عليه السلام او فى قلوب اوليائه
من المعارف والحكم او ما تكتبه الحفظة فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ

الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم
او الاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور
يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة
وعمارته كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة
والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملو
وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله تعالى
يجعل يوم القيامة البحار نارا تسجر بها نار جهنم او المختلط من السجير
وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه
ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل
على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد
للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد
في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا
اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين
اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض
في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف
وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم
فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا بمعنى

مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه
هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي فيقال لهم ذلك افسحر هذا
اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم
الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون
هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم
ام سد ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت
ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها على اي
وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم
اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون
تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه
سيان في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم
او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين
بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه خبر
والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم
ان جعلت ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن
في الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا
هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه

بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا
والمعنى هناكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة
مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى
الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن
او لما في التزويج من معنى الالصاق والقران ولذلك عطف والذين
آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين
وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم
بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم
بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع
على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم
تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما
وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي في الالحاق المتابعة في اصل الايمان
الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي مرفوعا
انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر
والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم من شيء
بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء باعطاء

الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق
بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم
من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت
ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله تعالى
فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما
يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع النعم
يتنازعون فيها يتعاطونهم وجلساؤهم بتجاذب كأسا
خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم
اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به
فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول
وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم بالكأس غلمان لهم
اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم
لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه
الصلاة والسلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا
مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة

فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار
النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد
انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله
الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي انه بالفتح
الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم
فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون
كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول
من منه اذا قطعه قل تربصوا فاني معكم من المتربصين
اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم احلامهم
عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة
ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام
موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام
به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد
في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء
نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم
فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم





في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة
بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد
ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر
فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون
يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله
ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق
السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته
ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من
شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته الحكمة ام هم
المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا وقرأ
قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد
بين الصاد والزاء والباقون بالصاد خالصة ام لهم سلم مرتقى
الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى
اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان
مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون
فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء

فضلا عن ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب
ام تسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم
مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم
الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه
ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم
فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير
للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم
المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم
وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته
ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله
عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركون به وان يروا
كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا يقولوا من فرط طغيانهم
وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو
جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا
يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ
يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على البناء للمفعول من صعقه
او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء



من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله
وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك
اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في الدنيا
كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون
واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا
في حفظنا بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة
بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان
قمت او من منامك او الى الصلوة ومن الليل فسبحه فان
العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده
بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم
من اخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او اخفيت
وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الطور كان حقا
على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وآيها احدى او ثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه
اذا غرب او انتثر يوم القيامة او انقض او طلع فانه يقال

هوى هويًا اذا سقط وغرب وهُويًا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم
من نجوم القران اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما
وارتفع على قوله ما ضلّ صاحبكم ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم
عن الطريق المستقيم وما غوى وما اعتقد باطلا او الخطاب
لقريش والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر
نطقه بالقران عن الهوى ان هو ما القران او الذي ينطق به الا وحي
يوحى اي الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له
عليه السلام واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده
وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي
علّمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام
فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط
ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين
ذو مرة حصافة في عقله ورايه فاستوى فاستقام على صورته
الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته
الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم فانه رآه على اصل صورته مرتين
مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر
وهو بالافق الاعلى افق الشمس والضمير لجبريل عليه السلام ثم دنا من النبي

من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق به وهو تمثيل
لعروجه بالرسول صلى الله عليه وسلم وقيل ثم تدلى من الافق
الاعلى فدنا من الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون اشعارا بانه عرج
به غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فان التدلي استرسال
مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالي
الثمر المعلق فكان جبريل عليه السلام كقولك هو مني معقد الازار
او المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم
كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه
لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل عليه السلام الى عبده
عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها
ما اوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل الضمائر
كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق
ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه
بشراشره الى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى
ببصره من صورة جبريل عليه السلام او الله تعالى اي ما كذب بصره
بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه
الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا

لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره او ما راه بقلبه والمعنى لم يكن
تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلوة والسلام سئل هل رايت
ربك فقال رايته بفؤادي وقرئ ما كذّب اي صدّقه ولم يشك
فيه أفتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو
المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمري
ما عند صاحبه وقرا حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه
اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه
من مريه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة
فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد راه
نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة
ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا
بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل
تقديره ولقد راه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر
والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى
التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها
ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم
يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة عندها

جنة المأوى الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء
اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها
نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله
عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما راه وما طغى وما تجاوز بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا
او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها
لقد راى اي والله لقد راى من آيات ربه الكبرى اي الكبرى آياته
وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها المعنية بما راى
ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا
من آيات ربه او من مزيدة أفرأيتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف
او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها
اي يطوفون وقرا هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب
اللات بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق
بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها
فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة

اولثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون
عندها القرابين ومنه منا وقرئ مناءة من النوء وهي مفعلة
كانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة
الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى
من التاخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم
الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن
بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرايتم
تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون
منه وهي فعلى من الضير وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء
كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات وصفا وقرا ابن كثير
بالهمزة من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي
الا اسماء الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء
تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء من معنى
الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات
وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها
باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة
لاعتقادهم انها يستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم

٥٤

وآباؤكم سميتم بها بهواكم ما انزل الله بها من سلطان
برهان تتعلقون به ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن
الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما
تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم
من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان
ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له
كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم
لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى
يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء
منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا
وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من
بعد ان ياذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة
ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا
لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى
بان سموه بنتا وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها

اى الملائكة والتسمية إن يتبعون الا الظن وإن الظن
لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذى هو حقيقة الشيء لا يدرك
الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة
به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام
بشأنه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا
بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا
واصرارا على الباطل ذلك اى امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم
من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم
بالدنيا وقوله إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم الله من
يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك
الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا
من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل
عليه ما قبله اى خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال
عن المهتدى وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى



بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب اعمالهم
الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب
وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد
وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك
والفواحش ما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما
قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع و
محل الذين نصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف
إن ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر
او له ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله
عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة
من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هو اعلم بكم
اعلم باحوالكم منكم إذ انشأكم من الارض وإذ انتم اجنة
في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ
خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الارحام
فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير
او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم
التقي وغيره قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام

أفرأيت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه وأعطى قليلا
وأكدى وقطع العطاء من قولهم أكدى الحافر إذا بلغ الكدية وهي
الصخرة الصلبة فترك الحفر والأكثر على أنها نزلت في الوليد بن المغيرة
كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال
تركت دين الأشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن
يتحمل عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله فارتد وأعطى المشروط
ثم بخل بالباقي أعنده علم الغيب فهو يرى يعلم أن صاحبه يتحمل عنه
أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى وفر وأتم
ما التزمه أو أمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك
لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى أتاه جبريل عليه السلام
حين يلقى في النار فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وذبح الولد وأنه
كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم
وتقديم موسى عليه السلام لأن صحفه وهي التوراة كانت أشهر
وأكثر عندهم ألا تزر وازرة وزر أخرى كأنه قيل ما في صحفهما
فأجاب به أن هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما
في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأنه قيل ما في صحفهما فأجاب به
والمعنى أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني



إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما
قتل الناس جميعا وقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة
سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فإن ذلك
للدلالة والتسبب الذي هو وزره وأن ليس للإنسان إلا ما سعى
إلا سعيه أي كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء
في الأخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب
وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى أي يجزى العبد
سعيه بالجزاء الأوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون مصدرا
وأن يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وأن إلى
ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على أنه منقطع
عما في الصحف وكذلك ما بعده وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات
وأحيا لا يقدر على الإماتة والإحياء أحد غيره فإن القاتل
ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله تعالى على العادة
وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى تدفق
في الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من منى إذا قدر وأن عليه
النشأة الأخرى الإحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو النشاءة بالمد وهو أيضا مصدر نشأ وأنه هو أغنى وأقنى

واعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال
او ارضى وتحققه جعل الرضا قنية له وانه هو رب الشعرى
يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة
احد اجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا
في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم
ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام
وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها
وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا
بعد نوح عليه السلام وقيل عاد الاولى قوم هود وقيل عادا
الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى
لام التعريف وقرا نافع وابو عمرو في رواية ورش عاد لولى
بادغام التنوين في اللام وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع
الواو وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيما قبله وقرا عاصم
وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين ويقفون
بالالف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف عليه
من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى
من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى

حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها
اي انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها
فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباي الاء
ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها الاء
من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام
للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القران
نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير
من جنس المنذرين الاولين ازفت الازفة دنت الساعة
الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون
الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله
لكنه لا يكشفها او الان بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة
لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله
كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث يعني القران
تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا
على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون
من سمد البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس

عن استماعه من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا
اي واعبدوه دون الآلهة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد
وجحد به سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل
معناه سينشق القمر يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد
انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من اقترابها انشقاق القمر
وقوله وان يروا آية يعرضوا عن تأملها والايمان بها
ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله
آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم
من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع
من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا
واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق
بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة
وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا

في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غاية
ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر
على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن
من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه
مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا
مع الدال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها
حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف
وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة
فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكار
اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه
او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني
فيهم يوم يدع الداع اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون
الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء
بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء
نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيامة
وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم
يخرجون من الاجداث اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا

ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي
التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم
لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم
على الابتداء والخبر فيكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر
في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع
مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون
هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا
نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوا تكذيبا على عقب تكذيب
كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما
كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وزجر
عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون
وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ
بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي
منهم وذلك بعد تاسه منهم وقد روي ان الواحد منهم كان
يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب



منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها
وقرا ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب
وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة
واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء
وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا
على امر قد قدر على حال قدرها الله تعالى في الازل من غير تفاوت
او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج
او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه
على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير
جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة
اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها يؤدي مؤداها تجري باعيننا
بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك
جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته
ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ
لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية
يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر فهل من مدكر معتبر وقرئ
مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان

عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع
ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه من يسّر ناقته للسفر
اذا رحلها للذكر للاذكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ
والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ
كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاري لهم بالعذاب قبل نزوله
او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا
او شديد الصوت في يوم نحس شوم مستمر استمر شومه
او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم
فلم يبق منهم احدا او اشتدت مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر
تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر
وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى
كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض
قيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم
وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى
فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا
والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر



فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذار والمواعظ او الرسل
فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه
بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام
واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه
انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم
اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة
مسعورة أألقي عليه الذكر الكتاب والوحي من بيننا وفينا
من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا
بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة
من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق
وطلب الباطل اصالح عليه السلام ام من كذبه وقرا ابن عامر وحمزة
ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح عليه السلام
وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة
وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها
فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون
واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم
لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه

في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف
أحيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها او فتعاطى السيف
فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر
إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرائيل عليه السلام
فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المنكسر الذي يتخذه من
يعمل الحظيرة لأجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة
لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر
المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت
قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم
بالحجارة اي ترميهم إلا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر
وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو
علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة
ولقد أنذرهم لوط عليه السلام بطشتنا أخذتنا بالعذاب
فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه
عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا أعينهم فمسحناها
وسويناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم
جبريل عليه السلام صفقة فأعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلناهم

لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة
وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر
يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا
بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع
للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم
السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان
وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر
اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها
يعني الآيات التسع فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر
لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير من أولئكم الكفار
المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله أم لكم براءة
في الزبر أم نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في أمان
من العذاب أم يقولون نحن جميع جماعة أمرنا مجتمع منتصر
ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا
بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي
الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك

يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزلت
قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم
موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلايعه والساعة
ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا
من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر
ونيران في الاخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها
ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار وايلامها فان مسها سبب
للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار
وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شيء
مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه
وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء
وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهور
في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب هنا مع الاضمار
لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة
واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله
كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة

الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم
فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة
وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين
في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار
وقرئ بسكون الهاء وبضم النون والهاء وبضم النون وسكون جمعا
نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق
عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار
بحيث ابهمه ذوو الافهام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر
سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وايها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القران لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم
الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم
الدينية واجلها وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه فانه
اساس الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه
واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله
خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان

من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي
وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن
عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان
يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك
امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون
والحساب والنجم والنبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا
ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد
بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم
في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر
او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له لتطابقا ما
قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال
اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما
لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام
العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها
مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه
ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل
بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر



العالم واستقام كما قال عليه الصلوة والسلام بالعدل قامت السموات
والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال
ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث انها مصدر
القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت
ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان
لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ
لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود
من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث
على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها
وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل
والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل
الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل
ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف
وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والتمرة
والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به
والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم

او الورق من خرجت اطلب ريحان الله وقرا ابن عامر والحب ذا العصف
والريحان اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان
فحذف المضاف وقرا حمزة والكسائي والريحان بالخفض والباقون
بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف
وقيل روحان فقلب واوه ياء للتخفيف فبأي آلاء ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان
خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس له
صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا
ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب
وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان
من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب
فبأي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما
افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين
مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان
مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول
وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما
من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب

العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم
يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز
من قدرة الله تعالى او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر
بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما
فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر
وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح
فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما
لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما
وقرا نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ
والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية
وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان
واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات
وقرا حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن
الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل
فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها
وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره
كل من عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب

أو من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات
الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها
الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والاكرام
ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان
اي مما ذكرنا قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة
وفضلا او مما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم
يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم
وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل
على الحاجة الى تحصيل الشئ نطقا كان او غيره كل يوم هو في شأن
كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث
من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد
لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان
اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا
سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم
القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك
لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشئ كان اقوى عليه واجد فيه
وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم و

والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة
رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان
يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين
من الله تعالى فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون
لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك
او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا
لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله تعالى
فتعرجون عليها بافكاركم فبأي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه
والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد
العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى
يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال
تضئ كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب
يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر
عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس
وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان
فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار

من عداد الالاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة اي حمراء
كالوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله
فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان
مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو
الاديم الاحمر فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك
فيومئذ اي فيوم تنشق السماء لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون
الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك
لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ
فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما انعم
الله تعالى على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم
وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام
مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فباي
آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها
بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة
يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم
فباي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد



العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام
الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما
وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا
ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي
وجنة للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما
او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات
والاخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه
او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباي آلاء ربكما تكذبان
ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان
جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر
لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان حيث شاؤوا في الاعالي والاسافل قيل
احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباي آلاء ربكما تكذبان
فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس
فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق
من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين
مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان

قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان يدل على الجنان
هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء
المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات
الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن
وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم
فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان اي في حمرة الوجنة
وبياض البشرة وصفائها فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل
الا الاحسان في الثواب وهو الجنة فبأي آلاء ربكما تكذبان
ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين
جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان
مدهامتان خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة
وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين
المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه
دلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما
عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به



به الاوليين وكذا ما بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة
ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة
النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة
رحمه الله تعالى على ان من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا
او رمانا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات
اي خيرات فخففت لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ
على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان
حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة
وقصورة ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن
فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
كحور الاوليين وهم لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم
فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد او نمارق
جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد
يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب
الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب
والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فبأي آلاء ربكما
تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته

فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرا ابن
عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه سورة الواقعة
مكية وايها سبع وتسعون بسم الله الرحمن الرحيم
اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق
وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت
ليس لوقعتها كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله
او تكذب في نفيها كما تكذب الان واللام مثلها في قوله قدمت
لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق
او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها
وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته
عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع
اخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان
لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة
الاجرام عن مجازها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب
على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم



ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة
او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا فتتت حتى صارت
كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت
من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا
وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر
مع صنف اخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة و
اصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب المنزلة السنية
واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل
او الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم
او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعاتهم
والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان
خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما
التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون
والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم
وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء
فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم
كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة

أولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة
واعليت مراتبهم ثلة من الأولين اي هم كثير من الأولين
يعني الأمم السالفة من لدن آدم عليه السلام الى محمد عليه
الصلوة والسلام وقليل من الآخرين يعني امة محمد عليه الصلوة
والسلام ولا يخالف ذلك قوله عليه الصلوة والسلام
ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم
اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده
قوله في اصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين لان كثرة
الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة
واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة
خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة
بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع
متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم
للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان
وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب
اناء بلا عروة ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكاس من معين
من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم





عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرا الكوفيون بكسر الزاء
وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي يتفرقون
وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون
يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدا محذوف
الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرا حمزة والكسائي بالجر عطفا
على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور او على
اكواب لان معنى يطوف عليهم ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب
على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به
في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك كله بهم
جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تاثيما
ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا الا قولا
سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر
والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام
على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك
له من خضد الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله
من خضد الغصن اذا اثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان

وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله
من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت
وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب
او مصبوب سائل كانه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلى ما
يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل
البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس
لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه
وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء
وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء
اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفي
الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن
الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن
ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب
وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله اترابا مستويات في السن
فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين
متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن
او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهي على الوجه الاول



خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم في حر نار
تنفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم
من دخان اسود يفعول من الحممة لا بارد كسائر الظل
ولا كريم ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح
انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا
يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ
الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه
خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار
البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله
او اباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم
لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون
وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف
ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين
والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم
الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له
ثم انكم ايها الضالون المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة

واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية
للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه
من الحميم لغلبة العطش وتانيث الضمير في منها وتذكيره في عليه
على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه
تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه
الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد
صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح
وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به
ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر
من وجه فلا اتحاد وقرا نافع وحمزة وعاصم شرب الهيم بضم الشين
هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا
في الجحيم وفيه تهكم كما في فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل
تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون
بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث
فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة افرأيتم ما تمنون
اي ما تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى
النطفة بمعنى امناها أأنتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا



سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم
واقتنا موت كل بوقت معين وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا
احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته
على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة
لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني
صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل
صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون
في خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى
فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى
فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال
وفيه دليل على صحة القياس افرأيتم ما تحرثون تبذرون حبه
أأنتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون
لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون
او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي
فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير
للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وظللتم على الاصل
انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا

من الغرام وقرأ ابو بكر أئنا على الاستفهام بل نحن قوم
محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون
أفرأيتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب
أأنتم أنزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن
السحاب الابيض وماؤه اعذب أم نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية
ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه أجاجا
او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جوابها
لتمحض الشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء
بسبق ذكرها او تخص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب
لمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية
أفرأيتم النار التي تورون تقدحون أأنتم أنشأتم شجرتها
أم نحن المنشؤن يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها
جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس
او في الظلام او تذكيرا او انموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة
للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم
او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها
فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره

او بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب
وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه
تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب
من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عددها من النعم فلا أقسم
اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد
كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء
ويدل عليه انه قرئ فلأقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه
بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها
والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل
النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وانه لقسم لو تعلمون
عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة
وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض
في اعتراض فانه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف
والصفة انه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة
في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون
مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون
من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون

من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهى او لا يطلبه الا المطهرون
من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهّرون والمطهرون من اطهره بمعنى
طهره والمطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار والالهام
تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقران وهو مصدر نعت به
وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعنى القران انتم
مدهنون متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب
فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون
بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اى وتجعلون شكركم
لنعمة القران انكم تكذبون به وتكذبون اى بقولكم فى القران انه سحر وشعر
او فى المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اى النفس
وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال
ونحن اقرب اليه ونحن اعلم اليه الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب
الذى هو اقوى سبب للاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما
عليه فلولا ان كنتم غير مدينين مجزيين يوم القيامة او مملوكين
مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد
ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا
الاولى والثانية تكرير للتاكيد وهى بما فى حيزها دليل جواب الشرط و





والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله تعالى
وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين فى اباطيلكم فلولا ترجعون
الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين
اى ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ
فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة
الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان
كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب
اليمين اى من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين
الضالين يعنى اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها
واشعارا بما اوجبهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية
جحيم وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا
اى الذى فى السورة او فى شان الفرق لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين
فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة
شانه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة فى كل ليلة
لم تصبه فاقة ابدا سورة الحديد مدنية وقيل مكية وايها
تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما فى السموات والارض ذكرها هنا وفى الحشر والصف

بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعاراً بان من شان
ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف
باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقاً في بني اسرائيل ابلغ من حيث
انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما
[illegible] باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له في نصحته اشعاراً
بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصاً لوجهه وهو العزيز الحكيم
حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح له ملك السموات والارض فانه
الموجد لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استينافاً او خبر لمحذوف
او حال من المجرور في له وهو على كل شيء من الاحياء والاماتة
وغيرها قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات
من حيث انه موجدها ومحدثها والآخر الباقي بعد فنائها
ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذي
يبتدئ منه الاسباب وينتهي اليه المسببات او الاول خارجاً
والآخر ذهناً والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله
والباطن حقيقة ذاته فلا يكتنهها العقول او الغالب على كل شيء
والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين
والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم يستوي عنده



عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها
كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة
وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما
تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه
له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء
لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها
آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم
او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق
وتهوين له على النفس فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد
فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق
وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم
لا تؤمنون بالله اي ما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك
قائماً والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون
والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات

وقد اخذ ميثاقكم اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل وذلك
بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم
وقرا ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما
فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذى ينزل على عبده آيات بينات
ليخرجكم اى الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر
الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث نبهكم بالرسول
والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا
واى شيء لكم فى ان لا تنفقوا فى سبيل الله فيما يكون قربة اليه
ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد
مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب
كان اولى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحرى
الحاجات حثا على تحرى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال
للاستطراد وقسيم من محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح
فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق
من الذين انفقوا من بعد اى من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله
الحسنى اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرا ابن

عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه والله بما
تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والاية نزلت
فى ابى بكر رضى الله عنه فانه اول من آمن وانفق فى سبيل الله وخاصم الكفار
حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن
الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له
اى يعطى اجره اضعافا وله اجر كريم اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف
كريم فى نفسه ينبغى ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا
وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى
وكانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرا ابن كثير فيضعفه مرفوعا
وقرا ابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
ظرف لقوله له او فيضاعفه او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب
نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء
يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات
اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اى المبشر به جنات
او بشراكم دخول جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة

يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا
انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا
فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين
ايديهم وقرأ حمزة أنظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم
نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا
نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او
الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر
فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة
فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب
يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه
يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار
ينادونهم ألم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى
ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم
وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله
وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ
منكم فدية فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا
وباطنا مأواكم النار هي مولاكم هي اولى بكم لقول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته
محراكم او مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي
مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب
او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم
يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار
الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته
يقال انى الامر يأني أنيا وأنا وانا اذا جاء اناه وقرئ الم يئن بكسر الهمزة
من آن يئين بمعنى أنى والما يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة
فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت
وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين
على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع وحفص ويعقوب
نزل بالتخفيف وقرئ أنزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل
عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب
فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال
عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم
فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم
فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة

اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية
بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن
القساوة قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون كي يكمل عقلكم
ان المصدقين والمصدقات اي المتصدقين والمتصدقات وقرئ بهما
وقرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله
واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان
معناه الذين اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر
هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه
والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند للهم
او للضمير المصدر والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء
او هم المبالغون في الصدق فانهم امنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله
والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيامة وقيل والشهداء
عند ربهم مبتدا وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم
مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل
التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك

اصحاب

اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث
ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الاموال والاولاد
لما ذكر حال الفريقين في الاخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به
الى الفوز الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال
لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب
من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة
والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد
والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم
يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها
وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او
الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا راى معجبا
انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به
فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم
امور الاخرة بقوله وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان
تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك
بقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة بها

سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم
الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها
كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به
البسطة كقوله فذو دعاء عريض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله
فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقه
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من
يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه
التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض
كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب
الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل ان نبرأها
نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او الانفس ان ذلك
ان اثباته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة
لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا
ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر
هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم
وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها
واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها

ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب
للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور
اذ قل من يثبت نفسه حالتي الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا
او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه
وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب
اليه بشكر نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق
وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة
الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات
وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان
ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط
وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح
النبي عليه الصلاة والسلام ويجوز ان يراد به العدل ليقام به
السياسة ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه بأس
شديد فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة
الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة

في مجاهرة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا
او اللام صلة لمحذوف اي وانزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن
في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز
لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب
الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد
بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم
ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم
والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة
للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم
اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه الصلاة
والسلام والضمير لنوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام ومن ارسلا
اليهم او من عاصرهم من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم
من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون
من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة
وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية ابتدعوها اي وابتدعوا
رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي



المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان
وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كأنها منسوبة
الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها
ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها
وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه
مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها
ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم
اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها اي فما رعوا جميعا حق
رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوها فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان
الصحيح ومن ذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وحافظوا حقوقها
منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون
خارجون عن حد الاتباع يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة
اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم
يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد صلى الله عليه
وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق

وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا
في عصره عليه الصلاة والسلام وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ يريد المذكور
في قوله يسعى نورهم او الهدى الذى يسلك به الى جناب القدس وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ اى ليعلموا ولا مزيدة
ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء
أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ان هى المخففة والمعنى انه
لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا
وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا
ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله
وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى
والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون ان الفضل
عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت
في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة
الفتح عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد
كتب من الذين امنوا بالله ورسله سورة المجادلة مدنية وقيل
العشر الاول مكى والباقى مدنى وآيها ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي
تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ روى ان خولة بنت ثعلبة ظاهر
عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال حرمت عليه فقالت ما طلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر
اولادها وشكت الى الله فنزلت هذه الايات الاربع وقد تشعر بان الرسول
عليه الصلاة والسلام او المجادلة تتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها
ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائى وابو عمرو وهشام عن ابن عامر
دالها في السين وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ للاقوال والاحوال الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم
مِّن نِّسَائِهِم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى مشتق
من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفى منكم تهجين لعادتهم فيه
فانه كان من ايمان الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائى يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر مَّا هُنَّ
أُمَّهَاتِهِمْ اى على الحقيقة إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ
فلا يشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول
صلى الله عليه وسلم وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم
وهو ايضا على لغة من ينصب وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ

اذ الشرع انكره وَزُورًا منحرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام
وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه
وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا اى الى قولهم
بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث الى ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه
وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه
مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول الحرمة لصحة استثنائها عنه
وهو اقل ما تنتقض به وعند ابى حنيفة رحمه الله باستباحة استمتاعها
ولو بنظرة شهوة وعند مالك رحمه الله بالعزم على الجماع وعند الحسن
بالجماع او بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار
او كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى او بتكراره لفظا وهو
قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابى مسلم او الى المقول فيها
بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ اى فعليهم
او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر
وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على
كفارة القتل مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها
بالاخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة
ذلك قبل التكفير ذَٰلِكُمْ اى ذلكم الحكم بالكفارة تُوعَظُونَ بِهِ لانه يدل



يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويرتدع عنه وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لا يخفى عليه خافية فَمَن لَّمْ يَجِدْ اى الرقبة والذى
غاب ماله واجد فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا
فان افطر بعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع
عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ اى الصوم
لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه الصلوة والسلام رخص
للاعرابى المفطر ان يعدل لاجله فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ستين مدا
بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما
قيل فى المخرج فى الفطرة وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يعطى
كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس
مع الطعام اكتفاء بذكره مع الاخرين او لجوازه فى خلال الاطعام
كما قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى ذَٰلِكَ اى ذلك البيان او التعليم
للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فى قبول شرايعه ورفض ما
كنتم عليه فى جاهليتكم وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ لا تتعدوها وَلِلْكَافِرِينَ
اى الذين لا يقبلونها عَذَابٌ أَلِيمٌ وهو نظير قوله ومن كفر فان الله
غنى عن العالمين إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يعادونهما فان كلا

من المتعادين في حدّ غير حدّ الآخر او يضعون او يختارون حدودا
غير حدودهما كُبِتُوا اُخزوا واُهلكوا واصل الكبت الكب
كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ يعني كفار الامم الماضية وَقَدْ أَنزَلْنَا
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ تدل على صدق الرسول وما جاء به وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ يذهب عزهم وتكبرهم يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ منصوب
بمهين او باضمار اذكر جَمِيعًا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث
او مجتمعين فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا اي على رؤوس الاشهاد تشهيرا
لحالهم وتقريرا لعذابهم أَحْصَاهُ اللَّهُ احاط به عددا لم يغب منه
شيء وَنَسُوهُ لكثرته او تهاونهم به وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
لا يغيب عنه شيء أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
كليا وجزئيا مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ ما يقع من تناجي ثلاثة
ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها
واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر مرفوع الى
الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ الا الله يجعلهم
اربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم
الاحوال وَلَا خَمْسَةٍ ولا نجوى خمسة إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين



المنافقين او لان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار
او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط
بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون
او تاويل نجوى بمتناجين وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ ولا اقل مما ذكر
كالواحد والاثنين وَلَا أَكْثَرَ كالستة وما فوقها إِلَّا هُوَ
مَعَهُمْ يعلم ما يجري بينهم وقرا يعقوب ولا اكثرُ بالرفع عطفا
على محل من نجوى او محل ولا ادنى ان جعلت لا لنفي الجنس أَيْنَ مَا كَانُوا
فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة
ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل
على السواء أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ
نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون بينهم ويتغامزون
باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم عادوا لمثل فعلهم وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواصٍ
بمعصية الرسول وقرا حمزة وينتجون وهو يفتعلون من النجوى
وروي عن يعقوب مثله وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ

فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول
وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم
لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا
حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير
جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب
فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين
والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون
فيما تأتون وتذرون فانه يجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى
بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها
ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس اي
الشيطان بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله الا
بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالون بنجواهم
يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس توسعوا فيه
وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا
والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه



منه وحرصا على استماعه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون
التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل
انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة او جهاد
او ارتفعوا عن المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
بضم الشين فيهما يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر
في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم
درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم
والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة
ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم
على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما
تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين
آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا
قدامها مستعار ممن له يدان وفي الامر تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام
وانفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنا
فق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ
بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا
وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار

فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول
بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة
بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اى ذلك التصدق
خير لكم واطهر اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر
بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اى لمن لم
يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ءاشفقتم
ان تقدموا بين يدى نجويكم صدقات اخفتم الفقر من تقديم الصدقة
او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع الصدقات
لجمع المخاطبين او لكثرة التناجى فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم
بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز
الله تعالى عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل
بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما
واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر
للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر
الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم يعنى اليهود
ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك
ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان

المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان
الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه عليه
الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه
قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق
وكان ازرق فقال عليه الصلاة والسلام علام تشتمنى انت واصحابك
فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم
عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون
فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اى التى حلفوا بها
وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه جنة وقاية دون دمائهم
واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم
عن دين الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان
بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة
لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم شيئا اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
اى لله على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم
ويحسبون انهم على شىء في حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق في نفوسهم
بحيث يخيل اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه

عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب
حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ
عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت الابل وحزتها اذا استوليت
عليها وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم
ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد
وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن
انا ورسلي اي بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله
قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم
ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كانوا
المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم
كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل
من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه
واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو



نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب
لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم
من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب
الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
روي انه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بني النضير
على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النعوت
في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا
وخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا كعب من الرضاع فقتله غيلة
ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام
ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله على كل شيء قدير
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر
اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك

أوفي أول حشرهم للقتال والجلاء إلى الشام وآخر حشرهم إجلاء عمر
إياهم من خيبر إليه أو في أول حشر الناس إلى الشام وآخر حشرهم
أنهم يحشرون إليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك أو أن نارا
تخرج من المشرق فتحشرهم إلى المغرب والحشر إخراج جمع من مكان إلى آخر
ما ظننتم أن يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم وظنوا أنهم
مانعتهم حصونهم من الله أي أن حصونهم تمنعهم من بأس الله
وتغيير النظم وتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم للدلالة
على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة
ومنعة بسببها ويجوز أن يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فأتاهم الله
أي عذابه وهو الرعب والاضطرار إلى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين
أي فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم أي العذاب أو النصر من حيث
لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب وأثبت فيها
الخوف الذي يرعبها أي يملأها يخربون بيوتهم بأيديهم ضنا بها
على المسلمين وإخراجا لما استحسنوا من آلاتها وأيدي المؤمنين
فإنهم أيضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال
وعطفها على أيديهم من حيث أن تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم
فكأنهم استعملوهم فيه والجملة حال أو تفسير للرعب وقرأ أبو عمرو



أبو عمرو يخربون بالتشديد وهو أبلغ لما فيه من التكثير وقيل الإخراب
التعطيل والتخريب الهدم فاعتبروا يا أولي الأبصار فاتعظوا بحالهم
فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على أن القياس حجة من حيث
أنه أمر بالمجاوزة من حال إلى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة
المقتضية له على ما قررناه في الكتب الأصولية ولولا أن كتب الله عليهم
الجلاء الخروج من أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما
فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف معناه أنهم
إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بأنهم شاقوا الله
ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب الإشارة إلى ما ذكر
مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم أو إلى الأخير ما قطعتم
من لينة أي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على ألوان
وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها ليان أو تركتموها
الضمير لما وتأنيثه لأنه مفسر باللينة قائمة على أصولها وقرئ أصلها
اكتفاء بالضمة عن الواو أو على أنه كرهن فبإذن الله فبأمره وليخزي
الفاسقين علة لمحذوف أي وفعلتم أو وأذن لكم في القطع ليخزيهم
على فسقهم بما غاظهم منه روي أنه عليه الصلاة والسلام لما أمر بقطع
نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل

ويحرقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع
اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه
بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى
خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته
فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة
فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة
السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب
الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيء بني النضير فلان قراهم كانت
على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه
شيئا الا رجلين كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء
بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة
بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل
القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء
فقيل يسدس بظاهر الاية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد
وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول صلى الله عليه

وسلم يصرف الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى
مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه الصلاة
كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن
على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء دولة
بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم
كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول
بينهم او اخذه غلبة يكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة
اي كيلا يقع دولة جاهلية وما آتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء
او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة
وما نهاكم عنه عن اخذه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله
في مخالفة رسوله عليه الصلاة والسلام ان الله شديد العقاب
لمن خالف للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه
فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى
خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم
وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون

الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوءوا الدار والايمان عطف
على المهاجرين والمراد بهم الانصار الذين ظهر صدقهم فانهم
لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض
عنه اللام او تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء
باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم
من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوءوا الدار
من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم
ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما تحمل عليه
الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطى
المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون
المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة
وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص
البناء وهي الفرجة ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب
عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاءوا من
بعدهم هم الذين هاجروا من بعد حين قوي الاسلام او التابعون



او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة
ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اي لاخواننا في الدين ولا تجعل
في قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رؤوف رحيم
فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر
او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم
ولا نطيع فيكم في قتالكم او خذلانكم احدا ابدا اي من رسول الله
والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد
انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا
لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك
فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم
وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم
على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون
بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير
الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد
رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم

فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه
نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله تعالى
ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشونه
حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود
والمنافقون جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق
او من وراء جدر لفرط رهبتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو جدار
وامال ابو عمرو فتحة الدال بأسهم بينهم شديد اى وليس ذلك
لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا
بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل
اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين
وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم
ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب
يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اى مثل اليهود كمثل اهل بدر
او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم
الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل
ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم
في الآخرة كمثل الشيطان اى مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال



على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر
اغراء الامر المامور فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله
رب العالمين تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك
كما قال فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء
الظالمين والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له
ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية
وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان
على انه خبر ان وفي النار لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد ليوم القيامة سماه به لدنوه او لان الدنيا
كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فاستقلال
الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة
في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول في اداء الواجبات
لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله
خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين
نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها
حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيامة
من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون

في الفسق لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة الذين استكملوا
نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار
واحتج به أصحابنا على أن المسلم لا يقتل بالكافر أصحاب الجنة هم
الفائزون بالنعيم المقيم لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما في قوله إنا
عرضنا الأمانة على السموات والأرض الآية ولذلك عقبه بقوله
وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فإن الإشارة
إليه وإلى أمثاله والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عند تلاوة
القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا
على الإدغام هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة
ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر له من الأجرام
وأعراضها وتقدم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به
أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله
الذي لا إله إلا هو الملك القدوس البالغ في النزاهة عما يوجب نقصانا
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة
مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الأمن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن
به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن قلبت



قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما أراده أو جبر
حالهم بمعنى أصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا
سبحان الله عما يشركون إذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق
المقدر للأشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت
المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ومن أراد الإطناب
في شرح هذه الأسماء وأخواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى
له الأسماء الحسنى لأنها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما
في السموات والأرض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم
الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء نزلت
في حاطب بن أبي بلتعة فإنه لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يغزو أهل مكة كتب إليهم أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وأرسل
مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال

انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى
اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة
فجحدت فسل علي رضي الله عنه السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت
منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا
في قريش فليس لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اخذ عندهم يدا
وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة
بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة
والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له
فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل
وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون
الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه
ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات
من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم
عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعدة
للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة



بدل من تلقون او استئناف معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار
بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم
مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم
اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطأه ان يثقفوكم
يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل
والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيء وودوا وحده
بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم
حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم
الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم
بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله
لمن يفر عنكم غدا وقرا حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد
وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرا ابن عامر يفصل على البناء للمفعول
مع التشديد وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه
قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابراهيم
والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن
في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم

ظرف لخبر كان انا برءآء منكم جمع بري كظريف وظرفاء ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد
بشانكم وآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا
حتى تؤمنوا بالله وحده فينقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة
الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة
حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان تأتسوا به
فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله
من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء
جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل
بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به
من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا
ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا
بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة
تكرير لمزيد التأسي بابراهيم عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وابدل
قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي
لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك



ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين
الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون
اقاربهم المشركين وتبرءوا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم
اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور
رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم
من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
ولم يخرجوكم من دياركم اى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله
ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم
بالقسط اى العدل ان الله يحب المقسطين اى العادلين روي
ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر
بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله
عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على
اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين
وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل
الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية
في غير موضعها يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات

فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن
لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن
فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن
الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم
في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اى الى ازواجهن الكفرة
لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة
والمبالغة او الاول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستيناف
وآتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح
الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليهن
ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روى انه عليه
الصلاة والسلام كان بعد الحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث
الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت
فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها
ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن
اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن
لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم به الكافرات



من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات
وقرأ البصريان ولا تمسّكوا بالتشديد واسألوا ما انفقتم من مهور
نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم
المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم
استينافا او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة
والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وان فاتكم وان
سبقكم او انفلت منكم شيء من ازواجكم احد من ازواجكم
او شيء من مهورهن وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير
والمبالغة في التعميم الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اى نوبتكم
من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة
واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب
في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روى انه لما نزلت الآية
المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه
ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من
الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به
يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك

على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلاة
والسلام لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك
في معروف في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول
عليه الصلاة والسلام لا يأمر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة
مخلوق في معصية الخالق فبايعهن اي اذا بايعنك بضمان الثواب
على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم
يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار
او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون
اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها
او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت
في التورية المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور
ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر
فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات
شفعاء يوم القيامة سورة الصف مدنية وقيل مكية



وآيها اربع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
سبق تفسيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه
اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية
والاكثر على حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا
واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز
للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبر عند من يحقر دونه
كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا مصطفين مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص
في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص
اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه
مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة
وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال
مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم

فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق
والميل الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية
موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل
ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا في حال تصديقي لما
تقدمني من التورية وتبشيري برسول يأتي من بعدي والعامل
في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة
للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا عليه الصلوة والسلام
والمعنى ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة
الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم
بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته
سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة
الى عيسى عليه السلام ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى
الى الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته
المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله
بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي
ونفي الثابت وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه

والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم
يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها
من معنى الارادة تاكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها
في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه
او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته
بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة
ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى
بالقرآن او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله
ليعليه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد
وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين
للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به
الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم
يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم
اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب الامر المدلول عليه
بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا

اوهل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جواب هل ادلكم
لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز
العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى
تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة
وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وقيل
اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدا خبره نصر من الله
وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ
بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب
عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا
وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا
ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا
واجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرا الحجازيان
وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال
عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى
نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة
الاولى اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص

من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه
باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى عليه السلام او كونوا
انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله
والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به من الحور وهو البياض
وكانوا اثني عشر رجلا فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت
طائفة اي بعيسى فايدنا الذين امنوا على عدوهم اي بالحجة
او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين
فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف
كان عيسى مصليا عليه ومستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة
رفيقه سورة الجمعة مدنية واياتها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم
وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين
اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون رسولا منهم
من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم
لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال

ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول
والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه وإن كانوا من قبل
لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم
الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم
وان هي المخففة واللام تدل عليها وآخرين منهم عطف على الاميين
او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين
فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم
وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه عليه الصلوة والسلام من مثل هذا
الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله
ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء
تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه
نعيم الدنيا او نعيم الآخرة او نعيمهما مثل الذين حملوا التورية
علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها
كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع
بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا
بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم
اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا
والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا
ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله
واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار
البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا
بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم
بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه
وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم
فانه ملاقيكم لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط
باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها
ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين
آمنوا اذا نودي للصلوة اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا
وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه
العروبة سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة
جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قباء
واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار بني سالم بن عوف

فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو
والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي لها يدل على وجوبها
وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اى السعي الى ذكر الله
خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون
الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة
اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة
وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة
وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه
في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير
الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روى انه عليه
الصلوة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام
فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية
لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به
العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل
ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها
والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك



بذلك وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا
انفضوا اليه وتركوك قائما على المنبر قل ما عند الله من الثواب
خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما
تتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا عليه
واطلبوا الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة
ومن لم يأتها في امصار المسلمين سورة المنافقين مدنية
وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع
ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله
والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب
او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم
جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله
صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم
ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم

او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستهزاء بالايمان
بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او آمنوا
اذا راوا آية ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم شبهة
فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه
فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا
رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان يقولوا
تسمع لقولهم لذلاقتها وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا
يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع مثله فيعجب
بهياكلهم ويصغى الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير
المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة
مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر
وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها
في حسن المنظر وقبح المخبر وقرا ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير
بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون
كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم
ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو
وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر ولكن ترتب قوله



قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم
الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم
للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون
عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم
يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم
الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر
والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله
خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا
نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي راسه
بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله
حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه

وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء
وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل
على هذه القراءات مصدرا وحال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه
من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم
وغرورهم يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة
وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه
النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها
وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي
بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا
للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت اي يرى دلائله فيقول
رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد
فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك
وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون
منصوبا عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على انا اكون فيكون عدة
بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها آخر



آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء
ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المنافقين برئ من النفاق سورة التغابن مختلف فيها
وآيها ثماني عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله
واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة
على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير
لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما
ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه
ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه
والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات
والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم
فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة
اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم
انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ
بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون
وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح

ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحد
وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته
اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض
الانحاء الم يأتكم ايها الكفار نبأ الذين كفروا من قبل كقوم
نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا
واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر
الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك اي المذكور
من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان كانت تأتيهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا
وتعجبوا ان يكون الرسول بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا
بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شيء
فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد
يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم
ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان بما في
حيزه قل بلى اي بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم اكده
الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك
على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا



بالله ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام والنور الذي انزلنا
يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه ومظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه
والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن
او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه
من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم
التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء
لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه
للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة لعظمها
ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر
عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الاشارة
الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع
للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كانها والآية المتقدمة
بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله
الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات
والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل

وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهد بالهمزة اى يسكن والله بكل شىء عليم
واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ
المبين اى فان توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ
الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم
بان الكل منه يقتضى ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم فى امر الدين
او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا
عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها
وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور
رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم
فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله
وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم فاتقوا الله
ما استطعتم اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا
مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا فى وجوه الخير خالصا لوجهه
خيرا لانفسكم اى افعلوا ما هو خير لها وهو تاكيد للحث على
امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى انفاقا
خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم



هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امره
قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل
لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور
يعطى الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب
والشهادة لا يخفى عليه شىء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه
موت الفجأة سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة او احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم
لانه عليه الصلاة والسلام امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام
معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له
منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اى وقتها وهو الطهر
فان اللام فى الازمان وما يشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض
علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة
بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغى ان يكون فى الطهر وانه
يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشىء يستلزم النهى عن ضده ولا يدل على

اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
لما طلق امرأته حائضا امره النبي صلى الله عليه وسلم بالرجعة وهو
سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء
واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن
من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى ينقضي عدتهن
ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق
لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى
ولزومها ملازمة مسكن الفراق الا ان يأتين بفاحشة مبينة مستثنى
من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها
او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة
في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله
الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم
نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي النفس او انت
ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة
في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن
آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة
وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار

الضرار مثل الذي يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل
منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب
كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة
واقيموا الشهادة ايها الشهود عند الحاجة لله خالصا لوجهه
ذلكم يوعظ به يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية
مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهي عنه صريحا او ضمنا من الطلاق
في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله
وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله مخرجا
مما في شان الازواج من المضائق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه
لا يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين
والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد
عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلاة والسلام اني لاعلم آية
لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها
وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكى ابوه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول

ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب
ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها وفي رواية رجع
ومعه غنيمات ومتاع وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ كافيه
إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرا حفص بالاضافة
وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب
التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها
وتمهيد لما سياتي من مقاديرها وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ
لكبرهن إِنِ ارْتَبْتُمْ شككتم في عدتهن اي جهلتم فَعِدَّتُهُنَّ
ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت وَاللَّائِي
لَمْ يَحِضْنَ اي واللائي لم يحضن بعد كذلك وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ
أَجَلُهُنَّ منتهى عدتهن أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وهو حكم يعم
المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى
من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا
بخلافه ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها

زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه تخصيص
وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص والاول ارجح للوفاق عليه
وَمَن يَتَّقِ اللهَ في احكامه فيراعي حقوقها يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا
يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذَلِكَ اشارة الى ما ذكر من الاحكام
أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللهَ في احكامه فيراعي حقوقها يُكَفِّرْ
عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ فان الحسنات يذهبن السيئات وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا
بالمضاعفة أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم اي مكانا من سكناكم
مِّن وُجْدِكُمْ من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله
من حيث سكنتم وَلَا تُضَارُّوهُنَّ في السكنى لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ
فتلجئوهن الى الخروج وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة
بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ بعد
انقطاع علقة النكاح فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ على الارضاع وَأْتَمِرُوا
بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر
وَإِن تَعَاسَرْتُمْ تضايقتم فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى امرأة اخرى
وفيه معاتبة للام على المعاسرة لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ

ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اى فلينفق كل
من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما
آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر
ولذلك وعد له باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا
اى عاجلا او آجلا وكاين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها
ورسله اعرضت عنه اعراض العاتى المعاند فحاسبناها حسابا
شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا
والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقق
فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها
خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد
فاتقوا الله يا اولى الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء
ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا
الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعنى بالذكر جبريل عليه
السلام لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور
فى السموات او ذا ذكر اى شرف او محمدا صلى الله عليه وسلم لمواظبته
على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه
مسبب عن انزال الوحى اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن



ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا والرسول مفعوله
او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات حال
من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذكر الذين ليخرج الذين آمنوا
وعملوا الصالحات اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان
والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور
من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر
ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم
لما رزق من الثواب الله الذى خلق سبع سموات مبتدأ وخبر
ومن الارض مثلهن اى وخلق مثلهن فى العدد من الارض
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اى يجرى
امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله
على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما علة لخلق
او يتنزل او مضمرتهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته
وعلمه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق
مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة التحريم
مدنية وآيها اثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روى انه عليه الصلاة
والسلام خلا بمارية في يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك
حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة
فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك رائحة
المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم
او حال من فاعله او استيناف ببيان الداعي اليه والله غفور لك
هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احله الله رحيم رحمك حيث
لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة
او الاستثناء فيها بالمشية حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه
اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة
يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا
مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل
والله مولاكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم
المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه
يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة
بعده لابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فلما نبأت به اي فلما اخبرت



حفصة عائشة رضي الله عنهما بالحديث واظهره الله عليه
واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على الحديث اي على افشائه عرف
بعضه عرف الرسول صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ما فعلت
واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها
وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل هاهنا غيره
لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد
الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم
الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة
وعائشة رضي الله تعالى عنهما على الالتفات للمبالغة في المعاتبة
فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل
قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول عليه الصلاة والسلام
بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا
بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل
وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء
المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رأس الكروبيين قرينه ومن صلح
من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير
متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم

بالاضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما
ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن
على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عليه الصلاة والسلام
لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي
تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرا نافع وابو عمرو بالتخفيف
مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات
مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات
متعبدات او متذللات لامر الرسول عليه الصلاة والسلام سائحات
صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات
ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما
في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها
الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم
بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم
انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة
نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها
وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال
او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله



ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او
لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون
اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر
لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت
به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها
تنصح ما خرق الذنب وقرا ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح
كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح
او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي الله عنه
عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة
وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم
على ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا
بانه تفضل والتوبة غير موجبة وان العبد ينبغي ان يكون
بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين

آمنوا معه عطف على النبي احماداً لهم وتعريضاً لمن ناواهم
وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم
أي على الصراط يقولون إذا طفئ نور المنافقين ربنا أتمم لنا
نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت نورهم
بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلا يا أيها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل
الخشونة فيما تجاهدهم إذا بلغ الرفق مداه ومأواهم جهنم
وبئس المصير جهنم أو مأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا
امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم في أنهم يعاقبون
بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي والمؤمنين
من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام فخانتاهما بالنفاق
فلم يغنيا عنهما من الله فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج
شيئا إغناء ما وقيل ادخلا النار أي لهما عند موتهما
أو يوم القيامة مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة
الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء وضرب الله مثلا للذين
آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم في أن وصلة الكافرين لا تضرهم



لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله تعالى مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله
إذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة
قريبا من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله
من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ونجني من القوم الظالمين
من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة
فرعون تسلية للأرامل التي أحصنت فرجها من الرجال
فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها أي في مريم أو في الحبلة من روحنا
من روح خلقناه بلا توسط أصل وصدقت بكلمات ربها
بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه وكتبه وما كتب
في اللوح أو جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين
وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى والإنجيل
وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة
والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة
الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم فيكون
من ابتدائية عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير
ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون
ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم

وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه
عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا
سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تنجي قارئها
من عذاب القبر وآيها ثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها
وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة
قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدره وقدم الموت عليها لقوله
وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم
معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه
واخلصه وجاء مرفوعا احسنكم عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته
جملة واقعة موقع المفعول الثاني لفعل البلوى المتضمن معنى العلم
وليس هذا من باب التعليق لانه يخل بها وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل
عنها بخلاف اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي
لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات
طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا
على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال
او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة



حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف
وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر
والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار
بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما
جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب
وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب اي قد
نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به
من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي والفطور الشقوق والمراد
الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين
في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك
ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب
كأنه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة
المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح
بالكواكب المضيئة بالليل اضاءة السرج فيها والتنكير للتعظيم ولا يمنع ذلك
كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين باظهارها
فيها وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى وهي رجم
اعدائكم بانقضاض الشهب المسبب عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما

وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح
وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير
في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم
من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب
على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير اذا القوا فيها
سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمار وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل
بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غيظا عليهم وهو تمثيل لشدة
اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة
من الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب
وهو توبيخ وتبكيت للكفار قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل
وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا في
نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر
بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له
ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل
او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم
وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة



على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي
يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث
وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر في حكمه
ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم
فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم الاعتراف اقرار عن معرفة والذنب
لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير
فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة
والتعليل وقرا الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب
يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس
او بالمخفي عنهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير
يصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات
الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق
الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما اقتضت قدرته وحكمته
وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم
الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون
ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله
به رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم

هو الذى جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيهـــا
فامشوا فى مناكبها فى جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذلل فان منكب البعير
ينبو عن ان يطاه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يمشى
فى مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله
واليه النشور المرجع فيسالكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من فى السماء
يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تاويل من فى السماء
امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى فى السماء وعن ابن كثير
وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وآمنتم بقلب الثانية
الفا وهو قراءة نافع وابى عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها
كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هى تمور تضطرب
والمور التردد فى المجىء والذهاب ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم
حاصبا ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذارى
اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين
من قبلهم فكيف كان نكير انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن
قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت



بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل
للتفرقة بين الاصيل فى الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن فى الجو
على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على
اشكال وخصائص هيأهن للجرى فى الهواء انه بكل شئ بصير يعلم
كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذى هو جند لكم من دون
الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا فى امثال هذه
الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب
ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله
ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من
ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدا وهذا خبره
والذى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون
الا فى غرور لا معتمد لهم امن هذا الذى يرزقكم ام من يشار اليه
ويقال هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب
المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا فى عتو عناد ونفور
شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى
يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق
انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعى كب وقشع

بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا يعثر كل ساعة ويخر
على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله أمّن
يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوى الاجزاء والجهة
والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل
الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك
لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد
بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا
هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة
قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا
صنايعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها
فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون للجزاء
ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب ان كنتم
صادقين يعنون النبي والمومنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله
لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار يكفي له العلم بل الظن
بوقوع المحذر منه فلما رأوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود
زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه
الذين كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب

وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون
تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى
قل ارأيتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي او رحمنا
بتاخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي
لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب
لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي ادعوكم
اليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا
للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم
الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال
مبين منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء قل ارأيتم ان اصبح
ماؤكم غورا غائرا في الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر
وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما احيا ليلة
القدر سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم
ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت
وهو الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه
شيء اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبه

بصورة الحرف والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط
به اقسم الله به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي
ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان
النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها
وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد
وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول
على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الة
واجرائه مجرى اولى العلم لاقامته مقامهم او لاصحابه
او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك
بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة
وحصافة الراى والعامل في الحال معنى النفي وقيل مجنون والباء
لا يمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى
وان لك لاجرا على الاحتمال والابلاغ غير ممنون
مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك
بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك
ما لم يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضي الله تعالى عنها
عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت كان خلقه القرآن

الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون
بايكم المفتون ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة
او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او
باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين او بفريق الكافرين
اي في ايهم يوجد من يستحق بهذا الاسم ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم
بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين
تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم
بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون
فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اي
ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن
او للسببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ
او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفي
بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل
حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الراي
من المهانة وهي الحقارة هماز عياب مشاء بنميم
كثير المشي بالنميمة نقال للحديث على وجه السعاية

مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل
الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم عتل جاف غليظ
من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه
زنيم دعي ماخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان
من اذنها وحلقها وقيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه بعد ثماني عشرة
من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده
في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين اي قال ذلك حينئذ لان كان متمولا
مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه
لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة
للا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرا ابن عامر
وحمزة ويعقوب وابو بكر ءان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر
جعل الهمزة الثانية بين بين اي الان كان ذا مال كذب
او لا تطعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى
في النهي عن الاطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد
او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع
للغنى فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم



على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره
وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه
ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر
او نسود وجهه يوم القيامة انا بلوناهم بلونا اهل مكة
بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد البستان الذي كان
دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء
وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل او القته الريح او بعد
من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير
فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر
فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال
اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح
ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء
لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج
بالاستثناء عينه او لان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج
الا ان يشاء واحد او لا يستثنون حصة المساكين كما كان
يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف
من ربك مبتدا منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم

كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول
او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط
اليبس سميا بالصريم لانفكاك كل منهما عن صاحبه او كالرمل
فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اي اخرجوا اليه
غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه
الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ان كنتم صارمين
قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم وخفي
وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول
والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول
كقوله لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين
على النكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل
اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين
فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او غدوا
حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق
بعض لقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من

من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا قاصدين الى جنتهم
بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها
اول ما راوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها
بل نحن اي بعدما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون
حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا
الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون من خبث
نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا
سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمي الاستثناء
تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه
ما لا يريد فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم
بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم
من سكت ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها
ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا
خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون
راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها
معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلوناهم به اهل مكة

واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر
اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما
يؤذيهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم
اى في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم ليس فيها
الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار
لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما
يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا
منهم كما نحن عليه في الدنيا مالكم كيف تحكمون
التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه
صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى ام لكم كتاب
من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما
تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله
ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئت باللام كسرت ويجوز
ان يكون حكاية للمدروس او استينافا وتخير الشيء واختاره
اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان
بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل
فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم
اى

اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا تخرج عن عهدتها حتى نحكمكم
في ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما
تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا
لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه
ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد
وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن
ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه الاستحقاق او وعد
او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا
لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يعني الاصنام يجعلونهم
مثل المؤمنين في الآخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله
نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق
يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك
واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب
ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار
من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم

وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة
او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان
اليوم يوم القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان
وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة
عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة يلحقهم ذل وقد كانوا
يدعون الى السجود في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون
متمكنون منه مزاحو العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
كله الي فانا اكفيكه سنستدرجهم سندنيهم من العذاب درجة درجة
بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون
انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على
المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع
بشيء وانما سمي انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته ام تسألهم
اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون
يحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات
فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر
لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن
كصاحب الحوت يونس اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم

مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة
من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل
للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال
الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء
بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود
عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليه الجواب لانها المنفية
دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه واستنباه
ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين
من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما هو تركه
اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد
حين حل به صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعو على
المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم
ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم
ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك او يهلكونك
من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع
لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان

فبني اسد عيانون فاراد بعضهم على ان يعين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل
القدر ولعله يكون من خصايص بعض النفوس وقرا نافع ليزلقونك
من زلقه فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي يهلكونك
لما سمعوا الذكر اي القران اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم
ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر
للعالمين لما جننوه لاجل القران بيّن انه ذكر عام لا يدركه
ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين
حسّن الله اخلاقهم سورة الحاقة مكية وآيها اثنتان
او احدى وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اي
الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور
اي تعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء
على الاسناد المجازي وهي مبتدأ خبره ما الحاقة واصله ما هي
اي اي شيء هي على التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر
موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة اي شيء
اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها

دراية احد وما مبتدأ وادريك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة
بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار
وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما
ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي
الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب
وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا
بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية
شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد
فلم يقدروا على ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف
او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو
كان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات
جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت
كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا
منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم
حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء
الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان
عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعها الريح في الثامن فاهلكتها

فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام
صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية
متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية
او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرا البصريان
والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه
والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة
او الافعال ذات الخطأ فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة
رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم
في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك
في الطوفان وهو يؤيد من قبله حملناكم اي اباءكم وانتم في
اصلابهم في الجارية في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام لنجعلها
لكم لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة
عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها
وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ
الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شانها
ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه
والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم

الغفير وادامة نسلهم وقرا نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما
لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر
لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار
والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت
الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة
او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت
الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا
بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك
سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض
دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة
قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ
واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك
على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء
بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان
على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك
فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية

لانها في نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روى
مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله تعالى
باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم
الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين
يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ
تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم
وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما للزمان
متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل
الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم
خافية سريرة منكم على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد
منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى
السرائر وقرا حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه
بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه
ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها يا رجل وهاء يا امراة وهاؤما
يا رجلان او امرأتان وياهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله
محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان
مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه

وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط
في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها
في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر
عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس
من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة
راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا
وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم
في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات
او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة
والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا
باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا
او هنئتم بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية
الماضية من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يقول
لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر
ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية
القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت
الموتة التي قضت علي كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها

او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عنى
ماليه ما لى من المال والتبع وما نفى والمفعول به محذوف
او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عنى سلطانيه ملكى
وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا وقرا حمزة
عنى مالى سلطانى بحذف اليائين فى الوصل والباقون باثباتها
فى الحالين خذوه يقوله الله تعالى لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم
صلوه لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم
على الناس ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اى طويلة
فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها
مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة
على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما
بينهما فى الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة
الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق
للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام
المسكين ولا يحث على بذل طعامه فضلا عن ان يبذل من ماله
ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة
فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل

تخصيص



تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقايد الكفر بالله واشنع الرذائل
البخل وقسوة القلب فليس له اليوم هاهنا حميم قريب يحميه
ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم
فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا
من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطا المضاد للصواب وهم
المشركون وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها
فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم
او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم
مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات
وذلك يتناول الخالق والمخلوق باسرها انه ان القران
لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه
كريم على الله وهو محمد او جبريل عليهما الصلاة والسلام
وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون
تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا
بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون
تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية
والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القران للشعر امر بين

لا ينكرها الا المعاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف
على تذكر احوال الرسول عليه الصلاة والسلام ومعاني القران
المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب
وابن عامر بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين
نزله على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام ولو تقول علينا
بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال
المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك
لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه
بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك
بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف
ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه
عن القتل والمقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه
عام والخطاب للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين
لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم
على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين
به وانه لحق اليقين لليقين الذى لا ريب فيه فسبح باسم
ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا

بالتقول

بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

## سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع
اى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء
والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك
او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء ساله
استهزاء او الرسول عليه الصلاة والسلام استعجل بعذابهم
وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش
قال سالت هذيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشة
ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده
انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى
سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو
قتل بدر او في الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى
لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب
كان جوابا والباء على هذا لتضمين سال معنى اهتم ليس له دافع
يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذى المعارج

ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد اليها الكلم الطيب
والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم
او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة تعرجون فيها تعرج
الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل
والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا
وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار
خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان
فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين
الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل
مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش
كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم
من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او بسال
اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته اما لشدته
على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة
كذلك والروح جبريل عليه الصلاة والسلام وافراده لفضله او خلق
عظيم من الملائكة وقرأ الكسائي يعرج بالياء فاصبر صبرا جميلا



لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان
عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء
للنصر او بسال سائل او سال سيل لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر
فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيامة
بعيدا من الامكان ونراه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون
السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع
او بدل عن في يوم ان علق به كالمهل كالذائب في مهل كالفلزات او دردي الزيت
وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان
فاذا بست وطيرت في الجو شبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل
حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وقرأ ابن كثير ولا يُسأل
على بناء المفعول اي ولا يطلب من حميم حميم او لا يسأل عنه حاله
يبصرونهم استيناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل
دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده
وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ
ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استيناف يدل
على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس
واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ

بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وفصيلته
وعشيرته الذين فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب او عند
الشدايد ومن في الارض جميعا من الثقلين والخلائق ثم ينجيه
عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا
ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها
الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى
خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول
عن اللظى بمعنى اللهب وقرئ نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة
او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي
جلدة الراس تدعو تجذب وتحضر كقول ذي الرمة
تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل
تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه
من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال
فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا
شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر الضر جزوعا
يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ في الامساك
والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل عليها

واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء
للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة
قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق
في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة
وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك
في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلاتهم
دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم
كالزكوة والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأل والمحروم
والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين
تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة
الاخروية ولذلك ذكر يوم الدين والذين هم من عذاب ربهم
مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مأمون
اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن عذاب الله وان بالغ
في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك
فاولئك هم العادون سبق تفسيره في سورة المؤمنين
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون

وقرا ابن كثير لامانتهم والذين هم بشهاداتهم قائمون لا يخفون
ولا ينكرون او لا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد
وقرا يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم
على صلوتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها
وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين
للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات مبالغة
لا يخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله تعالى فمال الذين كفروا
قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال
عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة
تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول
رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار
لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا
كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون
تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس
فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية
لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل



النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين
او استدلال بالنشاة الاولى على امكان النشاة الثانية التي بنوا الطمع
على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب
المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم ان
نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا صلى الله عليه وسلم
بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين
بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون مر في اخر الطور يوم يخرجون من الاجداث
سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب منصوب للعبادة
او علم يوفضون يسرعون وقرا ابن عامر وحفص بضم النون والصاد
والباقون بفتح النون وسكون الصاد بالضم على انه تخفيف
نصب او جمع نصب خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره
ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين
هم لاماناتهم وعهدهم راعون سورة نوح مكية وآيها
تسع او ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا
الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر

ويجوز ان تكون أن مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ
بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب أليم
عذاب الاخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير مبين
ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء نظيره
وفي أن يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يواخذكم به في الاخرة
ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان
والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على
الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر
فبادروا في اوقات الامهال والتاخير لو كنتم تعلمون
لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم
في حب الحيوة كأنهم شاكون في الموت قال رب اني دعوت قومي
ليلا ونهارا اى دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان
والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم
ايمانا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه
جعلوا اصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم من استماع
الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة



النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم
والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا واكبوا على الكفر
والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه
واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما
ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا
اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اى وجه امكنني
وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما
اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب
على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف
بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا
للتائبين وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق
فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا
من عصيناه فأمرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح
ولذلك وعدهم عليه ما اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم
وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم
ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه

بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات تجرى ويجعل لكم انهارا
ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء والسماء يحتمل
المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور يستوى فى هذا البناء
المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين مالكم لا ترجون
لله وقارا لا تاملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه
فتكونوا على حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر
ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافون
عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة
وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة
للرجاء فانه تعالى خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اولا عناصر
ثم مركبات تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا
ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأهم خلقا آخر فانه
يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب
وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده
من آيات الآفاق الم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا وجعل القمر فيهن نورا اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا



الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل
الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه
الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من
الارض نباتا انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه
ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا
فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم
يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر
واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة
محققة كالابداء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم
الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا
فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ
قال نوح رب انهم عصونى فيما امرتهم به واتبعوا
من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم
البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك
سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم
لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد وادت بهم الى الخسار
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى والبصريان وولده بالضم والسكون

على انه لغة كالحزن اوجمع كالاسد ومكروا عطف
على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا
فى الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم
فى الدين وتحريش الناس على اذى نوح عليه الصلاة والسلام
وقالوا لا تذرن آلهتكم اى عبادتها ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء
خصوصا قيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح
عليهما الصلاة والسلام فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال
الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع
لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا
بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية
والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام
كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا
عطف على رب انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال فى ترويج
مكرهم ومصالح دنياهم لا فى امر دينهم او الضياع والهلاك
كقوله ان المجرمين فى ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل
خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم



اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب
الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال
او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط
او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النار
فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة
من دون الله لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا اى احدا وهو مما يستعمل فى النفى
العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل
باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا
عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم
واستقرء احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم
وطباعهم رب اغفر لى ولوالدى ملك بن متوشلخ وشمخاء
بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتى منزلى او مسجدى
او سفينتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة
ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة نوح عليه الصلاة والسلام كان من الذين تدركهم
دعوة نوح عليه الصلاة والسلام

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

قل أوحي إلي وقرئ أحي وأصله وحي من وحى إليه فقلبت الواو
همزة لضمها ووحي على الأصل وفاعله أنه استمع نفر من الجن
والنفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية
تغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع من الأرواح المجردة
وقيل نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على أنه عليه
الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم
في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله به رسوله فقالوا إنا
سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه
ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي إلى الرشد
إلى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك بربنا
أحدا على ما نطقت به الدلائل القاطعة على التوحيد وأنه
تعالى جد ربنا قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على أنه من جملة
المحكي بعد القول وكذا ما بعده إلا قوله وأن لو استقاموا
وأن المساجد وأنه لما قام فإنها من جملة الموحى به ووافقهم
نافع وأبو بكر إلا في قوله وأنه لما قام على أنه استئناف أو مقول
وفتح الباقون الكل إلا ما صدر بالفاء على أن ما كان من قولهم



فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى
جد ربنا أي عظمته من جد فلان في عيني إذا عظم ملكه أو سلطانه
أو غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه تعالى بالاستغناء
عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقوله ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد ربنا بالكسر
أي صدق ربوبيته كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما
اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وأنه كان يقول
سفيهنا إبليس أو مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط
وهو البعد ومجاوزة الحد أو هو شطط لفرط ما أشط فيه
وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله تعالى وأنا ظننا أن لن تقول
الإنس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك
لظنهم أن أحدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لأنه
نوع من القول أو الوصف لمحذوف أي قولا مكذوبا فيه ومن قرأ
لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لأن التقول لا يكون إلا كذبا
وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فإن الرجل
كان إذا أمسى بقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه
فزادوهم فزاد الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا

او فرادى الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل
غشيان الشئ وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن
او بالعكس والايتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام
من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله
احدا ساد مسد مفعولى ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ
السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب يقال لمسه والتمسه
وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا
حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين
يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهى المضئ المتولد من النار
انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس
والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد
فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اى شهابا راصدا له ولاجله
يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين على انه اسم جمع
للراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات وانا لا ندرى اشر اريد
بمن فى الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا
منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اى قوم دون
ذلك فحذف الموصوف وهو المقتصدون كنا طرائق ذوى طرائق

اى مذاهب ومثل طرائق فى اختلاف الاحوال او كانت طرايقنا طرايق
قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا
علمنا ان لن نعجز الله فى الارض كائنين فى الارض اينما كنا فيها ولن
نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا
ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اى القرآن آمنا
به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول
ادل على تحقق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم بخسا ولا رهقا
نقصا فى الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء بخس نقص لانه لم يبخس
حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقرآن ان يجتنب ذلك
وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق
وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا
رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا
لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا
اى ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق
وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة
ولعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه

وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا
باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم
في الفتنة ونعذبهم في كفرانهم ومن يعرض عن ذكر ربه
عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله وقرا
غير الكوفيين بالنون عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب
ويغلبه مصدر وصف وان المساجد لله مختص به فلا تدعوا
مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام
علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها
جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه
قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله
وارابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله
اي النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه
واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه وقرا
نافع وابو بكر بكسر الهمزة يدعوه يعبده كادوا كاد الجن
يكونون عليه لبدا متراكبين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا
من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس يكونون عليه
مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض



على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة
وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود
قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر
يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرا حمزة وعاصم قل على الامر
للنبي عليه الصلاة والسلام ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم
ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما
باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين
قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد
من دونه ملتحدا منحرفا وملتجأ الا بلاغا من الله
استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع
وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه
ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف
على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله عليه الصلاة
والسلام بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر
بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه
ان له خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون
في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا

بالمعنى الثاني او المحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له
فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا اهو ام هم قل ان ادري
ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول
مدتها كأنه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون
انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب
هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب
المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة
من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه
تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء
على المغيبات انما يكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة
بتوسط الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه يسلك من بين يديه
من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه
من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي
عليه الصلاة والسلام الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون
بالوحي او ليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا
رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم
بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا عليه الصلاة والسلام
وكذب به عتق رقبة سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل

اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي
وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره
او زمل نفسه سمي به النبي عليه الصلاة والسلام تهجينا لما كان عليه
لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة
او تحسينا له اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة
رضي الله عنها فنزل او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد
في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل الذي تحمل اعباء النبوة
قم الليل اي قم الى الصلاة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها
للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد
عليه الاستثناء من ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة
الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين
والناقص عنه او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير
في منه وعليه للاقل من الليل كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل
منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان تقوم

اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر
او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف
والناقص عنه والزائد عليه ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ اقرأه
على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم
ثغر رتل ورتّل اذا كان مفلجا ﴿انا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾
يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين
سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان ان يتحملها ويحملها
امته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه
مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه
او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر
او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة
رضي الله تعالى عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد
فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة
للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد
يعد للنفس ما به يعالج ثقيله ﴿ان ناشئة الليل﴾ ان النفس التي
تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال
نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد



او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل
اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى
او ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت ﴿هي اشد وطأ﴾ اي
كلفة او ثبات قدم او مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة
لما يراد من الخشوع والاخلاص وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء
﴿واقوم قيلا﴾ واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو
الاصوات ﴿ان لك في النهار سبحا طويلا﴾ اي تقلبا في مهماتك
واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا
وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف
وهو نفشه ونشر اجزائه ﴿واذكر اسم ربك﴾ ودم على ذكره
ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد
وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم ﴿وتبتل اليه تبتيلا﴾
وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزمة
ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا ﴿رب المشرق والمغرب﴾
خبر محذوف او مبتدأ خبره ﴿لا اله الا هو﴾ وقرأ ابن عامر
والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك
وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو ﴿فاتخذه وكيلا﴾

مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور
واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا
بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله تعالى
كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الى امرهم
فان بي غنية في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد به
صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا قليلا
ان لدينا انكالا ثقيلا للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما
وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم
وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه
الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح
والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى
مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة
بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان ان تجلي
بانوار القدس فتر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى
يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدنيا
انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا
كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا اجمعته مهيلا



منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا
يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة
والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى عليه
الصلاة والسلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى
فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا
ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر
العظيم فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر
يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله
وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى
وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء
منفطر منشق والتذكير على تأويل السقف او اضمار شيء به
بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة
كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل او لليوم على اضافة المصدر
الى المفعول ان هذه الايات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء
ان يتعظ اتخذ الى ربه سبيلا اي يتقرب اليه بسلوك التقوى
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرا ابن كثير

والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على الادنى وَطَائِفَةٌ
مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وتقوم ذلك جماعة من اصحابك وَاللَّهُ يُقَدِّرُ
اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله تعالى فان تقديم
اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله
عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ اى لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط
الساعات فَتَابَ عَلَيْكُمْ بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة
فيه فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل
عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا
على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات
الخمس او فاقرءوا القرآن بعينه كيف ما تيسر عليكم عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ
مِنْكُمْ مَرْضَى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف
ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه فقال وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ
يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة
وتحصيل العلم وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ المفروضة وَآتُوا الزَّكَاةَ الواجبة وَأَقْرِضُوا
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير
او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح

به فى قوله وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ
هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت
او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجد وهو تاكيد او فصل
لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير
على الابتداء والخبر وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ فى مجامع احوالكم فان الانسان
لا يخلو من تفريط إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والاخرة

## سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ وهو لابس الدثار روى انه عليه الصلوة والسلام
قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئا فنظرت
فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه
فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل عليه الصلوة
والسلام وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هى اول سورة نزلت وقيل
تاذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت
وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفى فانه
كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اى الذى
دثر هذا الامر وعصب به قُمْ من مضجعك او قم قيام عزم وجد

فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك
الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا
وقولا روى انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه
الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وما بعده
لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن من شيء فكبر ربك او الدلالة
على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه
فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه
والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير
واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها وبحفظها عن النجاسة
بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات
المذمومة او طهر نفسك عن الاخلاق الذميمة والافعال الدنية
فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية
والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر
وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي
اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرا يعقوب وحفص والرجز
بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر اي لا تعط مستكثرا اي

نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه
او نهيا خاصا به لقوله صلى الله عليه وسلم المستغزر يثاب من هبته
والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك
مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا
اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من منّ بكذا
وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا
يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي احضر الوغى بالرفع
ولربك ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق
التكاليف واذى المشركين فاذا نقر في الناقور في الصور
فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت
والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك
واعداؤك عاقبة ضرهم فاذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ
يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين
وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ
بدل له او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير
غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه
ويشعر بتيسيره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزل

في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرني وحدى معه فاني
اكفيكه او من التاء اى ومن خلقته وحدى لم يشركني في خلقه احد او
من العائد المحذوف اى من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه
كان ملقبا به فسماه الله به تهكما او اراده انه وحيد ولكن في الشرارة
او عن ابيه لانه كان زنيما وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا مبسوطا كثيرا
او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وَبَنِينَ شُهُودًا
حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء
بنعمته ولا يحتاج هو الى ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل
والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم
رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا
وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد
اى باستحقاق الرياسة والتقدم ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ على ما اوتيه
وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب
ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا
عَنِيدًا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة
آيات المنعم المناسبة لازالة النعم المانعة عن الزيادة وقيل ما زال بعد نزول
الآية في نقصان ماله حتى هلك سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ساغشيه عقبة

عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه الصلاة
والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى
به كذلك ابدا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ تعليل للوعيد او بيان للعناد
والمعنى فكر فيما تخيل طعنا في القران وقدر في نفسه ما يقول فَقُتِلَ
كَيْفَ قَدَّرَ تعجيب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما
يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ في الشجاعة
مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر
بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال
لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن
وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه
ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام
فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق
وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر
فهل رايتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه
يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بهذا القول وتفرقوا
متعجبين منه ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ تكرير للمبالغة وثم للدلالة

على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر
في امر القران مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه
طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول
واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم
والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير
تلبث وتفكر وقوله ان هذا الا قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى
ولذلك لم تعطف عليها سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا
وما ادراك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان
لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء
يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد
او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر
ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان
اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى
عشرة والطبيعة السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف
الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب
يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة

الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف
او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلوة
فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها
الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو
كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير
جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا
اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله تعالى روي
ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم
ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم
وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك عنه
وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم
ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل
بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين
بنبوة محمد عليه الصلوة والسلام وصدق القران لما راوا ذلك موافقا
لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل

الكتاب له ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون أي في ذلك
وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الإيمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه
شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك أو نفاق فيكون إخبارا بمكة
عما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب
ماذا أراد الله بهذا مثلا أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب
استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوه أنه مثل مضروب كذلك
يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من
من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود
ربك جموع خلقه على ما هم عليه إلا هو إذ لا سبيل لأحد
إلى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص
كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر
أو عدة الخزنة أو السورة إلا ذكرى للبشر إلا تذكرة لهم
كلا ردع لمن أنكرها أو إنكار لأن يتذكروا بها والقمر والليل
إذ أدبر أي أدبر كقبل بمعنى أقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب إذ أدبر
على المضي والصبح إذا أسفر أضاء إنها لإحدى الكبر أي
لإحدى البلايا الكبر أي البلايا الكثيرة وسقر واحدة منها وإنما جمع كبرى
على كبر إلحاقا لها بفعلة تنزيلا للألف منزلة التاء كما ألحقت قاصعاء بقاصعة

فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض
للتأكيد نذيرا للبشر تمييز أي لإحدى الكبر إنذارا أو حال مما دلت
عليه الجملة أي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا أو خبرا
لمحذوف لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر بدل من للبشر أي نذيرا
للمتمكنين من السبق إلى الخير والتخلف عنه أو لمن شاء خبر لأن يتقدم
فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس
بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة أطلقت
للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين إلا أصحاب اليمين
فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم الملائكة
أو الأطفال في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من أصحاب اليمين
أو ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين أي يسأل بعضهم بعضا
أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه أي دعوناه وقوله
ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين
أجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلاة الواجبة ولم نك
نطعم المسكين ما يجب إعطاؤهم وفيه دليل على أن الكفار
مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل
مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين أخره لتعظيمه أي وكنا

بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة حتى أتانا اليقين الموت او
مقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا
فما لهم عن التذكرة معرضين اى معرضين عن التذكير يعنى القران
او ما يعمه ومعرضين حال كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة
شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة
اى اسد فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى
صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم
ان نتبعك حتى تأتى كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان
اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم كلا ردع عن اقتراحهم الايات
بل لا يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء
الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة واى تذكرة فمن شاء ذكره
فمن شاء ان يذكره ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم
او مشيته كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل
العبد بمشية الله تعالى وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا
هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان
يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون بسم الله الرحمن
الرحيم لا أقسم بيوم القيامة ادخال لا النافية على فعل
القسم للتاكيد شائع فى كلامهم قال امرؤ القيس لا وابيك
ابنة العامرى لا يدعى القوم انى افر وقد مر الكلام فيه
فى قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ولا أقسم بالنفس اللوامة
بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيامة
على تقصيرهن او التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة
او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روى
انه عليه الصلوة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة
الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد
وان عملت شرا قالت يا ليتنى قصرت او نفس آدم فانها لم تزل
تتلوم على ما خرجت به من الجنة فضمها الى يوم القيامة لان المقصود
من اقامتها مجازاتها أيحسب الانسان يعنى الجنس واسناد الفعل
اليه لان فيهم من يحسب او الذى نزل فيه وهو عدى بن ربيعة
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره به فقال
لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام
ألن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول

بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه بجمع سلامياته
وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام
او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل
الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون بل يريد الانسان
عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون
الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره
فيما يستقبله من الزمان يسأل ايان يوم القيامة متى يكون
استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر
الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى
لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح وخسف القمر
وذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر
في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار
للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء
البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من
كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه
وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله
قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان كلا



ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه
من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده
استقرار العباد او الى حكمه تعالى استقرار امرهم او الى مشيئته تعالى
موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤ
الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر
منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة
او سنة سيئة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به
او بما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه
بصيرة حجة بينة على اعمالها لانها شاهد بها وصفها بالبصارة
على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره
وجاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع
معذرة على غير القياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر
وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك يا محمد به بالقرآن لسانك
قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتأخذه على عجلة مخافة ان
ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه واثبات
قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قرأناه بلسان جبريل
عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك

ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل
على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد
التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم
الامور واصل الدين فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء
نزول هذه الايات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه
يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك
به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك
وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار والتامل فيه ثم ان علينا
بيان امر الجزاء عليه كلا ردع للرسول عليه الصلاة والسلام
عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة
وتذرون الاخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون
على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير
للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه
يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة
في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول
وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة
انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة

خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر
واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال
فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة
العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد
كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية
تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة اذا بلغت
التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر
لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال الحاضرون صاحبها
من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه
ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق
وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت
الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها
او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الاخرة الى ربك يومئذ
المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه
او فلا صدق ماله اي فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه
والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب
وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا

بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون يتمطط امن المطا
وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله
اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او ولي لك الهلاك
وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤل
بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد
اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا
يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان
الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبايح والتكليف لا يتحقق
الا بالمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الاخرة الم يك نطفة
من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله وقرا حفص
يمنى بالياء فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى
وهو استدلال اخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك
رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا قراها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة
انه كان مؤمنا به سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون
بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب



ولذلك فسر بقد واصله اهل كقوله سائل فوارس يربوع بشدتنا
اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة
من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا
منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال
من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس
لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم عليه الصلوة والسلام
بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه من نطفة امشاج اخلاط
جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وجمع ووصف النطفة
بها لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء
في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو
وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء
المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضر او اطوار فان النطفة تصير علقة
ثم مضغة الى تمام الخلق نبتليه في موقع الحال اي مبتلين له
بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء
فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات
فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به
ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اي بنصب الدلائل وانزال

الآيات إمّا شاكرا وإمّا كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل
او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم
شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من
السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ أمّا بالفتح على حذف الجواب
ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا
بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما الماخوذ به المتوغل فيه
إنّا أعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون وأغلالا بها
يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر
ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين
احسن وقرا نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة إنّ
الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كأس من
خمر وهي في الاصل القدح يكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها
كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة
يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور
فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء
او من محل من كأس على تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب
على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعده يشرب بها عباد الله

اي يشرب ملتذا بها او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من
لان الشرب مبتدأ منها كما هو يفجّرونها تفجيرا يجرونها حيث
شاءوا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف ببيان ما رزقوه
لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ من وصفهم بالتوفر
على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى
بما اوجبه الله تعالى عليه ويخافون يوما كان شرّه شدائده
مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق
والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم
عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبّه حب الله او الطعام او
الاطعام مسكينا ويتيما وأسيرا يعني اسارى الكفار فانه
عليه الصلوة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين
فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون
وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك إنما نطعمكم لوجه الله
على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة
المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها تبعث بالصدقة
الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فاذا ذكر دعاء فدعت لهم
بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء

ولا شكورا اى شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم
او لا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا يعبس فيه
الوجوه او يشبه الاسد العبوس فى ضراوته قمطريرا شديد
العبوس كالذى يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت
ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم الله
شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم ولقاهم نضرة وسرورا
بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء
الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا
ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
ان الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على
وفاطمة رضى الله تعالى عنها وفضة جارية لهما صوم ثلاثة ايام ان
برءا فشفيا وما معهم شى فاستقرض على رضى الله عنه من شمعون
الخيبرى ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضى الله تعالى عنها صاعا
فاختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم
مسكين فاثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما
امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فاثروه ثم وقف عليهم

فى الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام
بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله فى اهل بيتك فاقراه السورة
متكئين فيها على الارائك حال من هم فى جزاهم او صفة لجنة
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون حالا
من المستكن فى متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار
محم ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر فى لغة طى قال الشاعر
وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها
مضئ بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها
حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اى وجنة
اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت
قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل
القطوف ان يجعل سهل التناول لا يمتنع على قطافها كيف شاؤا
ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب واباريق بلا عروة
كانت قواريرا قواريرا من فضة اى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة
وشفيفها وبين الفضة ولينها وقد نون قواريرا من نون سلاسل
وابن كثير الاولى لانها راس الاية وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير

قدّروها تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها
كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون
بها المدلول عليهم بقوله ويطاف عليهم شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ
قُدِّروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من قدرت الشئ
وقدّرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ويسقون فيها كأسا كان مزاجها
زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان العرب يستلذون الشراب
الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق
وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك
حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه
وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من
سال اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون
دائمون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم
في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رأيت ثمّ ليس له
مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رأيت
نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه
مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر من ذلك وهو
ان ينتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضئ بانوار قدس



الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب
الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم
او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع
وعاصم وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر
حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب
وقرأ ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة
والكسائي بالجر وقرئ واستبرقَ بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل
من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلّوا اساور من فضة
عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان
الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف باختلاف
اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا
وانوارا يتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم
باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين
وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا اخر يفوق
على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيهم الى الله عز وجل
ووصفه بالطهورية فانه مطهّر شاربه عن الميل الى اللذات
الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله متلذذين

بلقائه وهو منتهى درجات الصديقين ولذلك اختتم به ثواب الابرار
ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم
وكان سعيكم مشكورا مجازا عليه غير مضيع انا نحن نزلنا
عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير
مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتاخير
نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم آثما او كفورا اى كل واحد
من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه
واو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به
والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتيب النهى على الوصفين مشعر
بانه لهما وذلك يستدعى ان لا يكون المطاوعة فى الاثم والكفر فان
مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك
بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلوة الفجر والظهر
والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له
وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء وتقديم
الظرف لما فى صلوة الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا
طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء يحبون
العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا

ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل
لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا
ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا
واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم فى الخلقة وشدة الاسر
يعنى النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا
لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة
الى السورة او الايات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن
ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر يشاؤن بالياء ان الله كان عليما بما يستاهل كل احد
حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته يدخل من يشاء
فى رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد
لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد
وكافا ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه
على الله جنة وحريرا سورة والمرسلات مكية وايها
خمسون بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا

فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُلْقِيَاتِ
ذِكْرًا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله تعالى باوامره
متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرائع في الارض
او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق
والباطل فالقين الى الانبياء عليهم السلام ذكرا عذرا للمحقين ونذرا
للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه وسلم
فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم
في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين
العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها
فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين
الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه
فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله تعالى
او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب
في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد
هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض
النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى متتابعة
من عرف الفرس وانتصابه على الحال عُذْرًا أَوْ نُذْرًا مصدران لعذر



لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة
ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين
بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا
على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر
وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص
بالتخفيف إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ جواب القسم ومعناه ان الذي
توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ
محقت او اذهب نورها وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ صدعت وَإِذَا الْجِبَالُ
نُسِفَتْ كالحب ينسف بالمنسف وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ عين لها
وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين
لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت
على الاصل لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل
للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي
اقتت على انه بمعنى اعلمت لِيَوْمِ الْفَصْلِ بيان ليوم التاجيل وَمَا أَدْرَاكَ
مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ اي بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله
عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرف

اوصفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نَهلك
من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين اى ثم نحن نتبعهم نظراءهم
ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الاخرين المتاخرين من
المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم الصلوة والسلام كذلك
مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين
بايات الله تعالى وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق
فى الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا للاهلاك
فى الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شايع فى كلام العرب الم نخلقكم
من ماء مهين نطفة مذرة ذليلة فجعلناه فى قرار مكين هو الرحم
الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة
فقدرنا فقدرنا على ذلك او فقدّرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائى
بالتشديد فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين
بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم
لما يكفت اى يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت
به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض
باعتبار اقطارها احياء وامواتا منتصبان على المفعولية وتنكيرهما
للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية



من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعولية وكفاتا
حال او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت
وجعلنا فيها رواسى شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير
للتفخيم او الاشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا
بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم
انطلقوا اى يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب
انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر
اضطرارا الى ظل يعنى ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم
ذى ثلاث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق
ذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس
الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الواهمة
الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يسار
ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة
عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغنى
من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمى بشرر كالقصر
اى كل شررة كالقصر فى عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وجمع قصرة وهى
الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر

جمع قصرة كحاجة وحوج وكالقصر وهي اصل العنق والهاء للشعب
كأنه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار
لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب
الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة
والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرا حمزة والكسائي جمالة
وعن يعقوب ورويس جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها
وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق فان
النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا
في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا ذكر واقع يومئذ ولا
يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون
على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله
جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن فاوهم ذلك ان لهم
عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل
جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون
تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ
للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك

لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون
مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا
لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة والعمل ويل يومئذ
للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد
كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم
في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم
من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا
انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم اركعوا اطيعوا
واخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلوة اذ روي انه نزل حين امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها
مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون
لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب
وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث
بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته
مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عليه الصلوة والسلام
من قرا سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين سورة النبا
مكية وآيها اربعون بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام
تفخيم شان ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير
لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم
ويتراءونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبأ العظيم
بيان للشان المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل
عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه
او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد
عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد
الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة او الاول للبعث والثاني
للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا
من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث
كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به
ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم
سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة
لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع

ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء
وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به
او حيوة تبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات
اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا
وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر
والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت
ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه
اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب
او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب
وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة
يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت
بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به
حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا
ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق او لفيف
كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم
الفصل كان في علم الله او في حكمه ميقاتا حدا يوقت به الدنيا
وينتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان

يوم الفصل فتأتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه
الصلوة والسلام سئل عنه فقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة
القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم
وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم
يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم
وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم
يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات
واهل السحت واكلة الربوا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين
خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان
والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء
وشقت وقرا الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق
كان الكل ابواب او فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال اي في الهواء
كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على
حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد
يرصد فيه خزنة النار الكفار وخزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها
في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي تضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد
الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة

الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرا
حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس
فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة
او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب
لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه اخر
وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار
ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا
حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان
يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا
اخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطاه
الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها
حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم
وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم
وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤس الاي
وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا
بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا
فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه

هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع
في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها
وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة
على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين
وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين
في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى
كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون
للمبالغة فيكون صفة المصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه
قرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء
والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا
في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه
على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن
على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا
بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او
البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن اترابا لدات وكأسا
دهاقا ملآنا واذهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا

وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك
بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء
وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه
حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك
رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان
وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفة له في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب
وجره على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو
لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب
او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا
وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله
لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى
اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه
فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف لا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك موكل
على الارواح او جنسها او جبريل عليه السلام او خلق اعظم من الملائكة
ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه الى ثوابه
مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة

وقربه لتحقق وقوعه فان كل ما هو آت قريب ولان مبداه الموت يوم ينظر
المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو
الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم
وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى
شئ قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا فى الدنيا فلم اخلق
ولم اكلف او فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص
ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
عم سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية وآيها خمس او ست واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات
سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون
ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها
من اقاصى الابدان او نفوسا غارقة فى الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح
المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون فى اخراجها
سبح الغواص الذى يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار
وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها
بادراك ما اعد لها من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف

لطوائف من الملائكة يسبحون فى مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به
فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع
بان تقطع الفلك حتى تنحط فى اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج
من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبحون فى الفلك فيسبق بعضها
فى السير لكونه اسرع حركة فيدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير
الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب
قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا
او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا
اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس فتنشط الى عالم الملكوت
وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها من المدبرات او حال
سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم الملكوت فتسبح فى مراتب
الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة
او ايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون
فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم
فانها تغرق فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من
دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر
اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه

يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام
الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم
ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي
النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب
تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع الحال قلوب
يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهو صفة
القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من
الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم
رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها
بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل
وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي
حفرة ائذا كنا وقرا نافع وابن عامر اذا كنا على الخبر عظاما ناخرة
بالية وقرا الحجازيان والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا
تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت
فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة
واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة



واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه
الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية
سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري
ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم
هل اتيك حديث موسى اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب
قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم
منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه في سورة طه
اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء من
معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من
الكفر والطغيان وقرا الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك
الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك
المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله
فقولا له قولا لينا فاراه الاية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه
المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل
او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية الواحدة فكذب
وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر
ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ما راى

الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى
في المجمع بنفسه او منادٍ فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلي امركم
فاخذه الله نكال الآخرة والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه
في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الآخرة وهي هذه
وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما
ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى
لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء
ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل
مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسواها
فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير
وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه
منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها واخرج
ضحاها وابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها يريد النهار والارض
بعد ذلك دحاها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها
بتفجير العيون ومرعاها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد
الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارساها
اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف

لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا
جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى اي هي
اكبر الطامات وهي القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة
الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا
في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت
وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى للرائي
بحيث لا يخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم
كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول عليه الصلوة والسلام
اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما
بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر وآثر الحيوة الدنيا فانهمك
فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هي المأوى
هي مأواه واللام فيه سادّ مسدّ الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي
وهي فصل او مبتدأ واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه
لعلمه بالمبدأ والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة
هي المأوى ليس له سواها مأوى يسألونك عن الساعة ايان مرساها
متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة
وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكراها في اي شيء

من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شىء

فان ذكرها لا يزيدهم الا عتوا ووقتها مما استأثره الله بعلمه وقيل

فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستأنف معناه انت ذكر من ذكرها

اى علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها

وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهاها اى منتهى علمها

انما انت منذر من يخشاها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب

تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابى عمرو منذر

بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كأنهم يوم يرونها

لم يلبثوا فى الدنيا او فى القبور الا عشية او ضحاها اى عشية يوم او

ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما

من يوم واحد عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان

ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة المكتوبة

سورة عبس مكية وآيها احدى واربعون بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى

الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله

علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله

صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله

٦٤٢

صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى

فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة

وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ أان بهمزتين

وبالف بينهما بمعنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار

بعذره فى الاقدام على قطع كلام الرسول بالقوم والدلالة على انه احق

بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كأنه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات

فى قوله وما يدريك لعله يزكى واى شىء يجعلك داريا بحاله لعله

يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية

غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل

الضمير فى لعله للكافر اى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام وتذكره

بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن

وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى

تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصّدى

بالادغام وقرئ تُصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى وما عليك الا يزكى

وليس عليك بأس فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه

الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى

يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار فى اتيانك او كبوة الطريق

لانه اعمى لا فائدة له فانت عنه تلهى تشاغل يقال لهى عنه والتهى
وتلهى ولعل ذكر التلهي والتصدي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه
بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع
عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره
حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتانيث الاولى
لتانيث خبره في صحف مثبتة فانها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر
محذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة
عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء
ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسله
او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال
سفرت المرأة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين
على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء قتل الانسان
ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران
وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شيء خلقه بيان
لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب
عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له من الاعضاء
والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره ثم



ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس
او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر
للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام
وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه
بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار
في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة
والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور
غير متعين في نفسه وانما هو موكول الى مشيئته تعالى كلا ردع للانسان
عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام
الى هذه الغاية ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما
فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية
انا صببنا الماء صبا استيناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون
بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي
بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب
فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة
سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا
وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها

او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وأبا
مرعى من اب اذا أم لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه مهيأ
للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم ولأنعامكم فان الانواع
المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فإذا جاءت الصاخة اى النفخة
وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر
من مطالبتهم بما قصر فى حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل
يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه اى يهمه وجوه
يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح ضاحكة مستبشرة
بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة
ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة
الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة
قال عليه الصلوة والسلام من قرا سورة عبس جاء يوم القيامة
ووجهه ضاحك مستبشر سورة التكوير مكية وآيها تسع و
عشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت
لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف

لف او لف ضوءها فذهب انبساطه فى الآفاق وزال اثره او القيت
عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع
وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب
الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر
او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه
الارض او فى الجو واذا العشار النوق اللواتى اتى على حملهن
عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحائب
عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من
كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا
اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار
سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا
من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرا ابن كثير وابو عمرو وروح
بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها
بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المومنين بالحور ونفوس
الكافرين بالشياطين واذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب
تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت
باى ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى

لعيسى عليه الصلوة والسلام ء انت قلت للناس اتخذونى الاية
وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها وقتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت
على الحكاية وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ يعنى صحف الاعمال فانها تطوى
عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائى بالتشديد للمبالغة فى النشر او لكثرة الصحف
او شدة التطاير وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ قلعت وازيلت كما تكشط
الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير وَإِذَا
الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص
وورش بالتشديد وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ قربت من المؤمنين
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ جواب اذا وانما صح والمذكور فى سياقها
ثنتا عشرة خصلة ست منها فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا
وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها
ونفس فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ
بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ما سوى النيرين من السيارات
ولذلك وصفها بقوله الْجَوَارِ الْكُنَّسِ اى السيارات التى تختفى تحت ضوء
الشمس من كنس الوحشى اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس



عسعس الليل وسعسع الليل اذا ادبر وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ اذا اضاء غبرته
عند اقبال روح ونسيم إِنَّهُ ان القران لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ
يعنى جبريل عليه الصلوة والسلام فانه قاله عن الله تعالى ذِي قُوَّةٍ
كقوله شديد القوى عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ عند الله ذى مكانة
مُطَاعٍ فى ملائكته ثَمَّ أَمِينٍ على الوحى وثم يحتمل اتصاله بما
قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات
وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ كما بهته الكفرة واستدل بذلك على فضل
جبريل على محمد عليه الصلوة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر
على نفى الجنون من النبى عليه الصلوة والسلام وهو ضعيف اذ المقصود منه
نفى قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما
والموازنة بينهما وَلَقَدْ رَآهُ ولقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ بمطلع الشمس الاعلى وَمَا هُوَ
وما محمد عليه الصلوة والسلام عَلَى الْغَيْبِ على ما يخبره من الوحى اليه
وغيره من الغيوب بِظَنِينٍ بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر
بِضَنِينٍ بالضاد من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد
من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره
والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ

يقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي قولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون
استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول صلى الله عليه وسلم والقران
كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم
لمن شاء منكم ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين
لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها
الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيتكم فله الفضل والحق
عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال عليه الصلوة
والسلام من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته
سورة الانفطار مكية وايها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت
متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا
واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب
من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت
نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سيئة او تركة
ويجوز ان يراد بالتاخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجراك على عصيانه
وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال



اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم
صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل
ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة
كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي
خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم
منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل
الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة
متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها من القوى وقرا الكوفيون فعدلك
بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك
ومميزا بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك
اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها
والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك
كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله بل تكذبون بالدين
اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون
ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما
عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما

يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها
بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا
يجدون سمومها في القبور وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم
الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا يدركه دراية دار
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله
وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين
او الخبر المحذوف قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة انفطرت كتب الله
له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة سورة المطففين
مختلف فيها واياتها ست وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم
ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف
اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه
وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط عليهم عدوهم
وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم ياخذونها وافية وانما
ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم



عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم
يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا
بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن
جعل المنفصل تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود
بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف
بعد الواو كما هو خط المصحف الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن
ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب
من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس
نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين
لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام
الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف
وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب
ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي سجين
كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين
كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه
فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل
تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين

او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك
الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما
يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة
الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات
المخدجة حيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى
عليه اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا ينفعه
شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم
الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ
على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات
كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة
سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرا حفص بل ران باظهار اللام
كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم
باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب
ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلونها ثم يقال
هذا الذي كنتم به تكذبون يقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب

ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور
والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك
ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون
يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيامة ان الابرار
لفي نعيم على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم
من النعم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة
التنعم وبريقه وقرا يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع
يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك
اي مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته
او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرا الكسائي خاتمه
بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او
النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه
من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها
او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها
صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب
عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها
عباد الله ان الذين اجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين

آمنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين وإذا مروا بهم
يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم وإذا انقلبوا
إلى أهلهم انقلبوا فاكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص
فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وإذا رأوا المؤمنين
نسبوهم إلى الضلال وما أرسلوا عليهم على المؤمنين حافظين
يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم أذلاء مغلولين في النار وقيل
يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليه أغلق
دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الأرائك ينظرون حال من
يضحكون هل ثوب الكفار أي هل أثيبوا ما كانوا يفعلون
وقرأ حمزة والكسائي بإدغام اللام في الثاء قال عليه الصلوة والسلام
من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم يوم القيامة

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت بالغمام لقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام
وعن علي رضي الله تعالى عنه تنشق من المجرة وأذنت لربها واستمعت
له أي انقادت لتأثير قدرته تعالى حين أراد انشقاقها انقياد المطواع
الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد

والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق وإذا الأرض مدت
بسطت بأن تزال جبالها وآكامها وألقت ما فيها ما في جوفها
من الكنوز والأموات وتخلت وتكلفت في الخلو أقصى جهدها
حتى لم يبق شيء في باطنها وأذنت لربها في الإلقاء والتخلية
وحقت للإذن وتكرير إذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة
وجوابه محذوف للتهويل والاكتفاء بما مر في سورتي التكوير
والانفطار أو لدلالة قوله يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك
كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الإنسان كدحه أي جهد يؤثر
فيه من كدحه إذا خدشه أو فملاقيه ويا أيها الإنسان إنك كادح
إلى ربك كدحا اعتراض والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه فأما من أوتي
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه
وينقلب إلى أهله مسرورا إلى عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين
أو أهله في الجنة من الحور وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي يؤتى
كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه ويجعل يسراه وراء
ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك
ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلى لقوله ونصليه
جهنم إنه كان في أهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه

فارغا عن الآخرة إنه ظن أن لن يحور لن يرجع الى الله تعالى بلى إيجاب لما
بعد لن إن ربه كان به بصيرا عالما بأعماله فلا يهمله بل يرجعه
ويجازيه فلا أقسم بالشفق الحمرة التي ترى في أفق المغرب
بعد الغروب وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه البياض الذي يليها سمي به
لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من
الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات
لو يجدن سائقا أو طرده الى أماكنه من الوسيقة والقمر إذا اتسق
اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة
لأختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة أو مراتب من الشدة
بعد المراتب وهي الموت ومواطن القيامة وأهوالها أو هي وما قبلها من الدواهي
على أنه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على
خطاب الإنسان باعتبار اللفظ أو الرسول عليه الصلوة والسلام على
معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة أو طبقا من أطباق
السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة
وعن طبق صفة لطبقا أو حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق أو مجاوزين له
فما لهم لا يؤمنون بيوم القيامة وإذا قرئ عليهم القرآن
لا يسجدون لا يخضعون أو لا يسجدون لتلاوته لما روي أنه عليه الصلوة

٦٥١

والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش
تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به أبو حنيفة رحمه الله تعالى
على وجوب السجود فإنه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت إلا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون أي بالقرآن والله أعلم
بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم
بعذاب أليم استهزاء بهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
استثناء منقطع أو متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم أجر غير ممنون
مقطوع أو ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت
أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره سورة البروج مكية وآيها
اثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لأنها
تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب
سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل
التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود
ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب وتنكيرها
للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو للمبالغة

في الكثرة كأنه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي صلى الله عليه وسلم
وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه
فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف
او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم
واهله قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل
والاظهر انه دليل جواب محذوف كأنه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما
لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم
وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الشق في الارض ونحوهما
بناء ومعنى الخق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم
اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه
ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب
احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه
والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فسأله الملك عن ابرائه
فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار
وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا
ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا
ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي



من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع
في صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران
فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي
يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله تعالى عنه ان بعض
ملوك المجوس خطب الناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه
فامر باخاديد النار فطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس
اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النَّارِ بدل من الاخدود
بدل الاشتمال ذَاتِ الْوَقُودِ صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به
لهبها واللام في الوقود للجنس إِذْ هُمْ عَلَيْهَا على حافة النار قُعُودٌ
قاعدون وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ يشهد بعضهم لبعض
عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم
القيامة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وَمَا نَقَمُوا وما انكروا
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ استثناء على طريقة قوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه
بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ للاشعار
بما يستحق ان يؤمن به ويعبد إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب
الحريق العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود
وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير
اذ الدنيا وما فيها يصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه
فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده
او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور الودود
لمن تاب المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ
ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب
الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش
ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله
وافعال غيره هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما عن الجنود
لان المراد من فرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق
بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما حاق بهم
بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم
اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا آثار هلاكهم وكذبوا
اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت



يفوت المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد بل هو الذي كذبوا به كتاب شريف
وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ
من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء
يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون في الدنيا
عشر حسنات سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق
واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه وما ادراك ما الطارق
النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك
والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم
فسره بما يخصه تفخيما لشأنه ان كل نفس لما عليها حافظ اي ان الشأن
كل نفس لعليها حافظ رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما
زائدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة
على الوجهين جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس
عليها حافظ اتبعه توصية الانسان بالنظر في مبدائه ليعلم صحة اعادته
فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق جواب استفهام
وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين
الممتزج

في الرحم لقوله يخرج من الصلب والترائب بين صلب الرجل
وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل
الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها
مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين
فلا شك ان الدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه
في الصورة ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع
وهو في الصلب وله شعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى
اوعية المني ولذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب
بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب انه على رجعه لقادر والضمير
للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز
بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف
لرجعه فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه
يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة
الى الموضع الذي يتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي اوبا
لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء
من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب
والارض ذات الصدع ما تتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات



بالنبات والعيون انه ان القرآن لقول فصل فاصل بين الحق
والباطل وما هو بالهزل فانه جد كله انهم يعني اهل مكة
يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا واقابلهم
بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل
الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم
امهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة
التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق
اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات سورة الاعلى
مكية وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه تعالى عن الالحاد فيه بالتأويلات
الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم
وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم
قال عليه الصلوة والسلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى
قال عليه الصلوة والسلام اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون
في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق
فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم
معاشه والذي قدر اي الذي قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها

ومقادير‌ها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى فوجهه الى افعاله
طبعا واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات
والذى اخرج المرعى انبت ما يرعاه الدواب فجعله بعد حضرته
غثاء احوى يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى
من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك
قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ مع انك امى ليكون
ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا
من الايات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا الا ما شاء الله
نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روى انه عليه الصلوة
والسلام اسقط آية فى قراءته فى الصلوة فحسب ابى رضى الله عنه انها نسخت
فساله فقال نسيتها او نفى النسيان راسا فان القلة تستعمل للنفى انه
يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالك وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبريل
عليه السلام وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء
وانساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى
او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك
وانه يعلم اعتراض فذكر بعد ما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى
لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض



عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم لقوله وما انت عليهم بجبار
او لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير
انما يجب اذا امكن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى
سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله بان يتأمل فيها فيعلم حقيقتها وهو
يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى
الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر الذى
يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عليه الصلوة والسلام قال ناركم
هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم او ما فى الدرك الاسفل منها
ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى
تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلوة
او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى لقوله اقم الصلوة
لذكرى ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر
وذكر اسم ربه كبر يوم العيد فصلى صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا
فلا تفعلون ما يسعدكم فى الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات
او على اضمار قل او للكل فان السعى للدنيا اكثر فى الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء
والآخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع
له ان هذا لفى الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع

امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابراهيم وموسى
بدل من الصحف الاولى قال عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الاعلى
اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابراهيم
وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام سورة الغاشية مكية
وآيها ست وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدايدها
يعني يوم القيامة او النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه
يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل
وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها
ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا حامية
تدخلها وقرا ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى
بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية
بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو
شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله
طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه
الابل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع
والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او



او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رات ثوابه في جنة عالية
علية المحل او القدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرئ على بناء المفعول
بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس والتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة
ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية
يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة
السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو آنية لا عروة لها موضوعة
بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها
الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة
افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال
قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية
فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق
لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها
قطع البوادي والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر
لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا
ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على
الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت
فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا

وقرئ الافعال الثلاثة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب
والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا
كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد
ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم
ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر
بمتسلط وعن الكسائي بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر
لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الآخرة وقيل متصل
فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا
وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر
فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا
على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه
فيعال مصدر ايب فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى
ياء فقلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر
وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا سورة الفجر
مكية وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلوته

٦٥٧

وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان
الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر
الايام والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها لقوله ومن كل
شيء خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك
او البروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيومي النحر وعرفة
وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر
دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلهما او اكثر منفعة
موجبة للشكر وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل
اذا يسر اذا يمضي لقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب
من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسري فيه من قولهم
صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو
بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين
المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك القسم او المقسم به قسم حلف
او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل
سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو
الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف
فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود

سمّوا باسم أبيهم كما سمّي بنو هاشم باسمه إرم عطف بيان لعاد
على تقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم ان صحّ انه اسم بلدتهم وقيل
سمّي اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدّهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث
ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات
وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص
الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على
مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله
فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا
وعن عبد الله بن قلابة رضى الله عنه انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها التى لم يخلق
مثلها فى البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة
او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوا منازل لقوله
وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادى القرى وفرعون ذى الاوتاد
لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد
الذين طغوا فى البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب
او مرفوع فأكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصبّ عليهم ربك
سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمّي به
الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبّه



بالسوط ما احلّ بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعدّ لهم
فى الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد
المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو
تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله ان ربك
لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الا السعى لها فاما الانسان
فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر
فأكرمه ونعّمه بالجاه والمال فيقول ربى اكرمن فضّلنى بما اعطانى
وهو خبر المبتدأ الذى هو الانسان والفاء لما فى امّا من معنى الشرط
والظرف المتوسط فى تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربى اكرمن
وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه
اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه
فيقول ربى اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة
الدارين اذ التوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك فى حب الدنيا
ولذلك ذمّه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول
مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان
التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن
واهانن بغير ياء فى الوصل والوقف وعن ابى عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف

وقرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضّون على
طعام المسكين اى بل فعلهم أسوأ من قولهم وادلّ على تهالكهم
بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرّة ولا يحثّون اهلهم
على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون تحاضّون وتأكلون
التراث الميراث واصله وراث اكلا لمّا ذا لمّ اى جمع بين الحلال
والحرام فانهم كانوا لا يورّثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم
او يأكلون ما جمعه المورّث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبّون
المال حبّا جمّا كثيرا مع حرص وشهوة كلّا ردع لهم عن ذلك
وانكار وما بعده وعيد عليه اذا دكّت الارض دكّا دكّا
بعد دكّ حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثّا وجاء
ربّك اى ظهر آيات قدرته وآثار قهره مثّل ذلك بما يظهر عند حضور
السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفّا صفّا بحسب مراتبهم
ومنازلهم وجيء يومئذ بجهنّم كقوله وبرّزت الجحيم وفي الحديث
يؤتى بجهنّم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك
يجرّونها يومئذ بدل من اذا دكّت والعامل فيهما يتذكّر
الانسان اى يتذكّر معاصيه او يتّعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها
وانّى له الذكرى اى منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدلّ به



به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكّر توبة غير مقبولة يقول
يا ليتني قدّمت لحياتي اى لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا
اعمالا صالحة وليس في هذا التمنّي دلالة على استقلال العبد
بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنّى ان كان ممكّنا منه فيومئذ لا يعذّب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله اى لا يتولّى عذاب الله
ووثاقه سواه اذ الامر كله له او للانسان اى لا يعذّب احد من الزبانية
مثل ما يعذّبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول
يا ايّتها النفس المطمئنّة على ارادة القول وهي التي اطمأنّت بذكر الله
فان النفس تترقّى في سلسلة الاسباب والمسبّبات الى الواجب لذاته
فتستقرّ دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها
شكّ او الآمنة التي لا يستفزّها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعي
الى ربّك الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت
النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث راضية
بما اوتيت مرضيّة عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي
الصالحين وادخلي جنّتي معهم او في زمرة المقرّبين فتستضيء
بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي
التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعدّت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرا سورة الفجر في الليال العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كان له نورا يوم
القيامة سورة البلد مكية وآيها عشرون بسم الله الرحمن الرحيم
لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه وتعالى
بالبلد الحرام وقيد بحلول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه اظهارا لمزيد
فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه
كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار
فهو وعد لما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم
او ابراهيم عليهما الصلوة والسلام وما ولد ذريته او محمد عليه الصلوة
والسلام والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله
اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد في تعب ومشقة من كبد
الرجل اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في الشدائد
مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابد من قريش والضمير في ايحسب
لبعضهم الذي كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاشد بن كلدة فانه
كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه
او لكل واحد منهم او للانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول
اي ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما

ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول صلى الله عليه وسلم ايحسب
ان لم يره احد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله
يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله الم نجعل له
عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمايره وشفتين يستر بهما
فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين
طريقي الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة
اي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول في امر شديد
والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها الله به من الفك والاطعام
في قوله وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد
المراد بها حسن وقوع لا موقع لها فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك
رقبة ولا اطعم يتيما ولا مسكينا والمسغبة والمتربة والمقربة مفعلات
من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرا ابن كثير وابو عمرو
والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادريك
ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدرك كنه صعوبتها وثوابها ثم كان
من الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق
والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا

بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله تعالى وتواصوا
بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله تعالى اولئك
اصحاب الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه
دليلا على الحق من كتاب او حجة او بالقرآن هم اصحاب المشئمة الشمال
او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شان
لا يخفى عليهم نار موصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته
واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى
الامان من غضبه يوم القيامة سورة والشمس مكية وآيها خمس
عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار
والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد
ينتصف والقمر اذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر
او غروبها ليلة البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا
جلاها جلى الشمس فانها تتجلى اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا
او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشاها يغشى الشمس
فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو



للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها لا النائبة مناب فعل القسم
من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور
والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا
وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين
والسماء وما بناها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية
كانه قيل والشئ القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته
بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحاها
ونفس وما سواها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل
ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقواها بقوله وما سواها
الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله
علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهامها الفجور والتقوى افهامهما
وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكاها انماها
بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث
على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود
الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة
النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه
الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس

والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله
صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه الصلوة و
السلام وقد خاب من دساها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق
واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغواها بسبب
طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا
بالطاغية واصله طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة
وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت او طغوى
اشقاها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن والاه على قتل
الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم
لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اى ذروا ناقة الله واحذروا
عقرها وسقياها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من
حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب
وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم
بسببه فسواها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها
صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقباها اى عاقبة الدمدمة
او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرا نافع
وابن عامر فلا يخاف على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة



سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اى يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه
والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس
وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى
من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم
لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى
من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت
على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي
الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هياه للركوب بالسرج و
اللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا
عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى
للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله
نفي او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل من الردى او تردى
في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب
قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل

وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب
الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى
تتلهب لَا يَصْلَاهَا لا يلزمها مقاسيا شدتها إِلَّا الْأَشْقَى
إلا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه
بقوله الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتْقَى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها
ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها
ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يصرفه
في مصارف الخير لقوله يَتَزَكَّى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وَمَا لِأَحَدٍ
عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى فيقصد بايتائه مجازاتها إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ
الْأَعْلَى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى لا لمكافأة نعمة وَلَسَوْفَ يَرْضَى وعد بالثواب الذي يرضيه
والآيات نزلت في ابي بكر رضي الله تعالى عنه حين اشترى بلالا في جماعة
يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى
وعافاه من العسر ويسر له اليسر سورة والضحى مكية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم وَالضُّحَى ووقت ارتفاع الشمس

٤٤٩

وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه وألقي السحرة سجدا
او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا وَاللَّيْلِ
إِذَا سَجَى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه
وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار
هنا باعتبار الشرف مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ما قطعك قطع المودع وقرئ
بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وَمَا قَلَى وما ابغضك و
حذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عنه
اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا
ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا عليهم وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى فانها باقية خالصة عن الشوائب
وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي
والكرامة في الدنيا وعده ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او ولنهاية
امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء
الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف
المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع
الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة

وإن تأخر لحكمة ألم يجدك يتيما فآوى تعديد لما أنعم الله عليه
تنبيها على أنه كما أحسن إليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك من الوجود
بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني أو المصادفة ويتيما حال ووجدك
ضالا عن علم الحكم والأحكام فهدى فعلمك بالوحي والإلهام
والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك أبو طالب
إلى الشام أو حين فطمتك حليمة وجاءت بك لترد إلى جدك فأزال
ضلالك عن عمك أو جدك ووجدك عائلا فقيرا فأغنى
بما حصل لك من ربح التجارة فأما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه
على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر أي فلا تعبس في وجهه وأما السائل
فلا تنهر فلا تزجر وأما بنعمة ربك فحدث فإن التحدث
بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى
لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يشفع وعشر حسنات يكتبها الله تعالى
له بعدد كل يتيم وسائل سورة ألم نشرح مكية وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك
ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق وكان غائبا حاضرا أو ألم نفسحه
بما أودعناه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل أو بما يسرنا لك من تلقي

الوحي بعد ما كان يشق عليك وقيل إنه إشارة إلى ما روي أن جبريل أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيمانا
وعلما ولعله إشارة إلى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام إنكار نفي الانشراح
مبالغة في إثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك عبأك
الثقيل الذي أنقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل
عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة
أو جهله بالحكم والأحكام أو حيرته أو تلقي الوحي أو ما كان يرى من ضلال قومه
مع العجز عن إرشادهم أو من إصرارهم وتعديهم في إيذائه حين دعاهم إلى الإيمان
ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها وأي رفع مثل أن قرن اسمه باسمه
في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وأمر المؤمنين
بالصلاة وخاطبه بالألقاب وإنما زاد لك ليكون إبهاما قبل إيضاح فيفيد المبالغة
فإن مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وإيذائهم
يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح
الله إذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في إن مع من المصاحبة المبالغة
في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين إن مع العسر يسرا
تكرير للتأكيد أو استئناف وعد بأن العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة
كقولك إن للصائم فرحة أي فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب

قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد
سواء كان للعهد او للجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير
ما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة
شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل
فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت من الصلوة فانصب في الدعاء
والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه
وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الم نشرح فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني سورة والتين
مختلف فيها وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم
والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة
لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع
ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال
ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام
ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل
المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان
وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء
اسمان للموضع الذي هو فيه وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو

امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد مكة شرفها الله تعالى لقد خلقنا
الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة
وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه
اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار
وقيل هو ارذل العمر فيكون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منقطعا
فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب
على الاستثناء مقرر له فما يكذبك فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا
بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب
للانسان على الالتفات والمعنى فما الذي يحملك على هذا التكذيب أليس الله
باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق
والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة
والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين
اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من
قرأ هذه السورة سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
اقرأ باسم ربك اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به الذي خلق
اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا
وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او الذي

خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته
من علق جمعه لان الانسان في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله
تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير
للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلوة ولعله لما قيل له اقرأ
باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وربك الاكرم الزائد في الكرم
على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده
على الحقيقة الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم
ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل
وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه وتعالى
مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس
المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا
الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر
نعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى اي راى نفسه واستغنى مفعوله الثاني
لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد
وقرأ قنبل بقصر الهمزة ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات
تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارأيت الذي

ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت
عنقه فجاء ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار
وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة
على كمال عبودية المنهي ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت تكرير
للاول وكذا الذي في قوله ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى
والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني
الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته
ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يامر به
من عبادة الاوثان كما كان يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب
كما نقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل
المعنى ارأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي
مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى
كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكانه قال يا كافر
اخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه
ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان
عن الصلوة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل او لان
نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه

بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه
لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع
القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن
وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة
للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية
وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها
بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع
ناديه اي اهل ناديه ليعينه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روي
ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك
فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتتهددني وانا اكثر
اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار
وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع
او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا
ردع ايضا للناهي لا تطعه اي اثبت انت على طاعتك واسجد
ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث
اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كأنما قرأ المفصل كله سورة القدر

٢٢٧

القدر مختلف فيها وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم
انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير
ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند
انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر
ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدئ بانزاله
فيها او انزل جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل
عليه الصلاة والسلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث
وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير
من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها
ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى
فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه عليه
الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر
فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك
الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما
له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم
الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ
اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها

الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما
يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه
وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان
واحيى ليلة القدر سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد
في صفات الله تعالى والمشركين وعبدة الاصنام منفكين
عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى
تأتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول
باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة
بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة صفة او خبره والرسول
وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل عليه الصلوة والسلام
وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب
قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما
كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر
الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين

المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم
بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا
الزكوة ولكنهم حرفوا وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة
ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيامة
او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب
اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة
وقرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا
في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها
اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد رضي الله عنهم
استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم
ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك
الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن
كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا سورة الزلزال مختلف فيها
وآيها تسع بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها

عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح
وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض
اثقالها ما في جوفها من الدفائن او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت
وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر
فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث تحدث الخلق بلسان الحال
اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل
عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك
اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار
او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا
واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس
من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا
اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم
ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر يؤثران في نقص الثواب والعقاب
وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء
والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت
انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل
بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا
فالتي تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى
فالمغيرات تغير اهلها على العدو صبحا اي في وقته فاثرن به
فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فوسطن
بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء
روي انه عليه الصلوة والسلام بعث خيلا فمضت شهرا لم يأته منهم
خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات
بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن
مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين
ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة
او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان
على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده
لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا
لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في القبور

من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحُصّل جمع محصلاً في الصحف او ميّز
ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم
يومئذ وهو يوم القيامة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم
وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ ان وخبير بلا
لام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا سورة القارعة
مكية وايها عشر بسم الله الرحمن الرحيم القارعة
ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم
يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم
واضطرابهم وانتصابه بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال
كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها
وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع
حسناته فهو في عيشة راضية ذات رضى او مرضية
واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبا بها او ترجحت سيئاته
على حسناته فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها
ولذلك قال وما ادريك ما هيه نار حامية ذات حمي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله تعالى ميزانه يوم القيامة





يوم القيامة سورة التكاثر مختلف فيها وايها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم
الهاكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل التكاثر
التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم
الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر
روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف
فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات
فكثرتهم بنو سهم وانما حذف الملهو عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين
للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم و
قبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخراكم
فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل
ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال
وحسرة سوف تعلمون خطا رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار
ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد
وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر
والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم
علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم
ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله

لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به
الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها
تكرير للتاكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها
او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اى الرؤية التى
هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ
عن النعيم الذى الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم
مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة لقوله قل من حرم زينة الله
كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله تعالى
بالنعيم الذى انعم به عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة والعصر مكية وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم
والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله
على الاعاجيب والتعريض بنفى ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفى خسر
لفى خسران فى مساعيهم وصرف اعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا
بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذى
لا يصح انكاره من اعتقاد وعمل وتواصوا بالصبر عن المعاصى او على الحق

او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة
الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر سبب الربح
دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدى الى خسر ونقص حظ
او تكرما فان الابهام فى جانب الخسر كرم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر سورة الهمزة مكية
وآيها تسع بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة
الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن
فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود
وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذى يأتى بالاضاحيك
فيضحك منه ويشتم ونزولها فى الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او فى الوليد بن
المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جمع مالا بدل من كل او ذم
منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتشديد للتكثير وعدده
وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام
يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا فى الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال
اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت
وفيه تعريض بان المخلد هو السعى للآخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن
ليطرحن فى الحطمة فى النار التى من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك

ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسيرها الموقدة التي اوقدها
الله وما اوقده لا يقدر احد ان يطفئه غيره التي تطلع على الافئدة تعلوا وساط القلوب
وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لانه الطف ما في البدن واشده تالما او لانه
محل العقايد الزايغة ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة
من اوصدت الباب اذا اطبقته قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها
ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة
مثل المقاطير التي تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص عمد
بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من استهزء بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين سورة الفيل مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم
الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر
اخبارها فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها
من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله
فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن
من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف

ان يصرف اليها الحجاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك
فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة
اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهه الى الحرم
برك ولم يبرح واذا وجهه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله تعالى
طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة
فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر
جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام
الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال
بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات
جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها
وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على
تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى الضمير ربك من سجيل من طين
متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو
الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم
كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود
او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكله الدواب وراثته عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الفيل عصمه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وآيها اربع بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش
متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى
ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم
رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام
فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي
فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة
وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول
من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن فلا تطاق الا بالنار
فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق
الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع
اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام
وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام
فلا يصيبهم ببلدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف
اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها سورة الماعون
مختلف فيها وآيها سبع بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت استفهام معناه
التعجب وقرئ أريت بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام
سهل امرها وقرئ ارأيتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او

او بالاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي
يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه
عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم
لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك
ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك
رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون اي غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن يرون الناس
اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور
في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف
الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء
الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك
ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين
موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكوة مؤديا سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث
بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر وقرئ انطيناك الكوثر الخير
المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عليه الصلوة والسلام
انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج

والكيزان من الزبرجد حافاته من الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه
وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن فصل لربك
فدم على الصلوة خالصا لوجه الله تعالى خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه
فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب
وتصدق على المحاويج خلاف من يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة
للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلاة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك
ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر
واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة
ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى
من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر
سورة الكافرون مكية وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون
يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا
يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما
يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل
الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران
لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما
اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة البلغ



وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة
الاصنام وهو عليه الصلوة والسلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما
دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة
وقيل انها مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم
الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن
في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة
وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه
مردة الشياطين وبرئ من الشرك سورة النصر مدنية وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم
اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وسائر البلاد عليكم
وقيل جنس نصر الله المؤمنين وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات
متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر
من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورأيت الناس يدخلون
في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن
وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان
على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد
حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روي انه عليه الصلوة والسلام لما دخل مكة

بدء بالمسجد الحرام فدخل الكعبة وصلى ثماني ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة
يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له
على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا
لما فرط منك من الالتفات الى الغير وعنه عليه الصلوة والسلام اني لاستغفر الله في اليوم
والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار
على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله انه
كان توابا لمن استغفره مذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه
نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قراها بكى العباس فقال عليه الصلوة والسلام
ما يبكيك فقال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك للدلالة على تمام
الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اليوم اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار
تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه الصلوة والسلام
من قرا سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد عليه الصلوة والسلام يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت
والتباب خسران يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه الصلوة والسلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك
الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا
ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره

لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان
من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او ليجانس قوله ذات لهب وقرئ
ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وتب اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضي
لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات
وقد فعل ويدل عليه قراءة وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه
والثاني عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين نزل به
التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه
او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي
ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق
به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك
ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب
طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه
ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم
مخففا ومشددا وامراته عطف على المستكن في سيصلى او مبتدا وفي جيدها
الخبر وهي ام جميل اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم
فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها
على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك

كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم
بالنصب على الشتم فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ اي مما مُسِد اي فُتِل ومنه
رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة
التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها في نار جهنم
حيث تكون على ظهرها حزمة من حطب الزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة
من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء
وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سألتم
عنه هو الله تعالى اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه
فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على
جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب
والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة
وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية
للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون
ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول صلى الله عليه

وسلم او موادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان تكون منه واما هذا
فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد
المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق
فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه
لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من
لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة
للاولى والدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه
او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي
لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح بن الله او ليطابق
قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم
ولم يكن له كفوا احد اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله من صاحبة
وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة لكن لما كان المقصود نفي المكافأة
عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا
او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف
لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل
وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة
وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها جميع المعارف الالهية

والرد على من الحد فيما جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده
محصورة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن عدها بكله اعتبر
المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرؤها
فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة سورة الفلق
مختلف فيها وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق
ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات
فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون
والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه
لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة
والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل
عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من ساير اسمائه تعالى لان الاعاذة
من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه
لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد
كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق
ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت
العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه
وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه في كل شيء و



وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل
وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر
النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن
عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي
ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه
في بئر فمرض النبي عليه الصلوة والسلام ونزلت المعوذتان واخبره جبريل
عليه الصلوة والسلام بموضع السحر فارسل عليا فجاء به فقرأهما عليه فكان
كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة
في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد
بالنفث في العقد ابطال عزايم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد
بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف
كل غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل
بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه
بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز
ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات
النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها
كانها تنفث في العقد الثلاث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا

طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها اسباب قريبة للمضرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك

لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين سورة

الناس مختلف فيها وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ

وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس

لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم

الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض للنفوس

البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها ههنا فكانه قيل اعوذ من شر

الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس

اله الناس عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون

الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع

عنها والاشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه

من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه

غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به

على انه المستحق للعبادة لا غيره ويتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة

تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة

المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف



الانسان من شر الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة

واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمي بفعله مبالغة

الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي

يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة

الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنس

واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع

على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس

اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس

على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي لقوله تعالى

يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى والحمد لله

رب العالمين قال المؤلف رحمه الله وقد اتفق تعليق هذا الكتاب المنطوي

على فرائد فوائد ذوي الالباب المشتمل على خلاصة اقوال اكابر الائمة

وصفوة آراء اعلام الامة في تفسير القران وتحقيق معانيه والكشف

عن غويصات الفاظه ومعجزات مبانيه مع الايجاز الخالي عن الاخلال

والتلخيص العاري عن الاملال الموسوم بانوار التنزيل واسرار التاويل

واسال الله ان يعمم نفعه للطلاب ولا يخلي سعي من يتعب فيه من الاجر والثواب

ويختم كل خاتمة امر يؤمه بتمحيص الآثام وبتبليغه اعلى منازل دار السلام
مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد اتفق الفراغ من
تعليق هذا الكتاب بعون الملك الوهاب في ثامن شهر شوال من شهور سنة
ستين والف من الهجرة النبوية احسن ختامها على يد افقر عباد الله الشيخ
عمر الواعظ غفر الله له ولجميع المسلمين والمسلمات والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وحسبنا الله
ونعم الوكيل تم بعون الله تعالى